كتاب اليوم



ملاعيب الولد الشقي

!

محمود السعدني

كتاب
اليوم
يصدر عن دار
أخبار اليوم
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعده
رئيس التحرير :
نبيل أباظة

أغسطس ١٩٩٤

اسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	٢٥	درهما
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	٧٥٠	فلسا
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل . س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	فلس
سلطنة عمان	١	بيسة
غزة	١٥٤	سنتا
ع . اليمنية	٣٥	ريالا
الموبل نيجيريا	٨٠	بنتيا
السنغال	٦٠	فرنكا
الامارات	١٠	درهما
قطر	١٠	ريالات
انجلترا	١,٧٥	جنيه
فرنسا	١٠	فرنكات
المانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلنا
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	فلورن
الهند	٣٥٠	روبية
كندا امريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٠ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٢٥ دولارا

امريكيا او مايعادله

اوربا وامريكا ٣٠ دولارا

امريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٠ دولارا امريكيا او مايعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (١) ش الصحافة

القاهرة ت ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

ملاعيب الولد الشقى



محمود السعدنى

الغلاف والرسوم الداخلية للفنان :

ايهاب شاكر

التصميم الداخلى :

احمد سامح

■ ملاعيب الولد التقي ■ ملاعيب الولد التقي ■ ملاعيب الولد التقي ■ ملاعيب الولد التقي ■ ملاعيب الولد التقي ■ ملاعيب الولد التقي ■ ملاعيب الولد التقي ■ ملاعيب الولد التقي ■





انجلترا إن أمكنا!

■ كتاب اليوم . عدد أغسطس ■

أيام الصبا المبكر ؛ وفى عام ١٩٤٦ على وجه التحديد ، كان مجال العمل السياسى مفتوحا للشباب الصاعد ، الأحزاب على قفا من يشيل والجرائد على ودنه والجمعيات أكثر من الشماسى على شاطىء اسكندرية . وبعد هذا وقبل هذا أيضا ، كانت المظاهرات كمركبات الترام ، مظاهرة وراء مظاهرة ، وكانت متعددة الألوان ، أحمر شفتشى يرفع المطرقة والمنجل وبعضها أخضر مسخسخ .يدعو للانفتاح والانبطاح ، وبعضها يرفع راية بنى العباس ، وبعضها يرفع بيرق الإمام الحسن الشاذلى ، وبعضها سكلانس يهتف .. مصر والسودان لنا ، وانجلترا إن أمكنا .

والحق أقول اننى وشلتى كنا نفضل الاندماج فى المظاهرات التى ترفع شعار « إن أمكنا » على أساس أنها مظاهرة قومية لاتفرض القيود على المنضمين إليها كما تفعل المظاهرات الحمراء أو الخضراء أو السوداء ولكن حكومة صدقى باشا التى كانت تحكم مصر تلك الأيام ، كانت حكومة عملية للغاية ، ولذلك كان إيمانها ضعيفا بمسألة انجلترا إن أمكنا . وبناء على موقفها المتخاذل ، هجمت علينا عساكر الشرطة ذات مظاهرة وفقعتنا علقة لاتزال آثارها موجودة على ظهر العبد لله وعلى ظهور باقى الشلة . وكانت هذه العلقة سببا فى البحث عن وسيلة أخرى لنواصل العمل السياسى بعيدا عن الضرب بالشوم وجريد النخل وأيادى المقشات ، وكلها أسلحة مشروعة

فى العمل السياسى أيام زمان . فكرنا فى الانضمام إلى حزب سياسى ، وكان الوفد هو أقرب الأحزاب إلى فكرنا وكان النحاس باشا هو أقرب الزعماء إلى قلوبنا ، ولكننا صرفنا النظر عن الانضمام لحزب الوفد بعد أن ذهبنا إلى لجنة الوفد بالجيزة فلم نجد أحدا فى استقبالنا ولم نجد أحدا نتحدث إليه . والسبب ان الوفد لم يكن حزبا فى الواقع ولكنه كان شعب مصر كله . يجمعه النحاس باشا بإشارة ويصرفه النحاس باشا بإشارة .

ولذلك لم يكن الوفد فى حاجة إلى لجان أو وكلاء أو مندوبين يتحدثون باسمه . وألقينا نظرة على الساحة السياسية فى مصر واخترنا جماعة الاخوان المسلمين للانضمام إليها . كانت الجماعة فى تلك الأيام فى أوج نشاطها وفى عز ازدهارها ، وكان للجماعة فروع فى كل حىٍ وأحيانا فى كل شارع .

وكانوا على وفاق مع حكومة صدقى ، وكان صدقى باشا يستخدمهم ضد حزب الوفد ، ولم نكن نحن فى تلك الأيام على بينة بما يجرى تحت السطح ، ولم نكن ندرك على وجه الدقة الفرق بين الوفد والاخوان . أو حتى الفرق بين الاخوان والشيوعيين . كل ماكنا نعرفه فى تلك الأيام هو أن النحاس باشا زعيم شعبى طيب ومحبوب من الجماهير . أما الزعماء الآخرون فلم نكن نعرف عنهم شيئا كثيرا والشيخ حسن البنا مثلا كنا نسمع عنه ولانراه. أما هيكل باشا والنقراشى باشا وحافظ رمضان باشا فقد كانوا بالنسبة لنا أشبه بخفرع وخوفو ومنقرع ولكن الذى شجعنا على الذهاب إلى شعبة الاخوان بالجيزة شىء آخر غير حسن ومكتب الارشاد . كان الاخوان المسلمون قد نجحوا فى تربية مجموعة من الشباب أغلبهم من طلبة الجامعة ، وانطلق هؤلاء يخطبون فى المناسبات وفى الاحتفالات ، ونجح هؤلاء فى لفت أنظار الشباب ، فقد كان اسلوبهم فى الخطابة حماسيا ، ويتناولون موضوعات تثير خيال الشباب وتلهب مشاعرهم . كانوا يتحدثون عن استعادة لواء الاسكندرونة السليب ، والحق أقول اننى أعجبتنى حكاية السليب دى . رغم اننى لم أفهم معناها عند سماعى لها أول مرة ولكنى بالرغم من ذلك شعرت براحة كبيرة ربما للتجانس فى العبارة والهارمونى الذى يجمعها ، لواء الاسكندرونة السليب ! ولم أكن أعرف على

وجـه التحديـد أين تقع الاسكنـدرونـة ولاهى مشكلتها الحقيقيـة ، ولكنى صفقت بشدة عندما استمعت إلى الخطيب الشاب يدعونا إلى الزحف المقدس لاسترداد لـواء الاسكنـدرونـة السليب . ليـس هـذا فقط فقـد استمعت إلى خطيب شاب آخر فى إحدى المناسبات ، انفعل بشدة وهو يدعونا نحن شباب تلك الأيـام إلى تحريـر اشبيليـة وطليطلـة والأنـدلس . وأعجبتنى الفكـرة وتمنيت أن أكـون جنديـا فى فيـالق التحريـر لكى أزور الأنـدلس واستمتع بمغـانيها وبسـاتينها ومفـاتنها . المهم أن العبـد لله بعـد خطبتين من دول خطفت رجلى ومعى الصـديق طـوغـان « رسام الكـاريكـاتير الشهير الآن » أقول خطفت رجلى إلى شعبة الاخوان فى الجيـزة ، وكان الوقت ظهرا ، ورجل يبدو عليه الهدوء والطيبـة والسماحة يؤدى صلاة الظهـر وحيدا فى المكتب ، يـؤديها فى هدوء وعلى المهل ، وانتظـرناه حـوالى ربع ساعـة حتى انتهى من صلاتـه ، وعندما حاولنـا فتح حوار معه ، انهمك فى تـلاوة بعض الأدعية فى الوقت الـذى كانت أصابعه تعـزف على حبات المسبحة لحنا صـامتا استمر عدة دقائق ، وعنـدما حاولنا فتح حـوار معه ألقى علينا السـلام وصافحنا بحرارة ثم ألقى علينا سؤالا مفاجئـا : أنتو أديتم صلاة الظهر ؟ وكذبنا على الـرجل الطيب وزعمنـا لـه أننـا أدينا الصـلاة قبل أن نحضر إليـه . وظهـر واضحـا على وجهه أنــه صدقنـا ، ثم عرضنـا عليه رغبتنـا فى الانضمام إلى صفوف الاخوان ، فرد علينا بهدوء قـائلا ... على بركة الله ورسوله ! ثم اتجه نحـو المكتب بخطوات بطيئـة وفتح دفترا كدفـاتر البقـالين وتناول ريشـة غمسها فى دواة ثم استفسر منا عن أسمائنا ، وبعـد أن دون سدد إلينا نظرة طويلة . ثم مـد يده اليمنى نحونا وقـال بنفس النبرة الهادئة .. خمسة صاغ كل واحـد .. وضربت لخمـة معنـا نحـن الاثنين فلم يكن فى جيـوبنـا صنف العملـة ، ولم نتصور فى أى لحظـة أن التحـاق زعيمين مثلنا يحتـاج إلى دفع اشتراك ! وأصـارحكم الآن أننى تصـورت أن مجرد إبداء رغبتى فى دخـول حزب سيقـابل بالترحـاب الشديد . وقـد يقرر الحزب الـذى اخترته صرف معاش شهـرى للعبد لله ! ولـذلك كانت دهشتى كبيرة عنـدما طلب منـا هذا المطلب العسير ، وهو عسير لأن الخمسة صـاغ أيامها كانت تسـاوى يومية عاملين من عمال شركـة مـاتوسيان . المهم أننـا اعتذرنا للـرجل الطيب بعدم

وجود فكة معنا واستأذناه فى الخروج إلى الشارع لفك ورقة من فئة العشرة جنيهات ! وخرجنا بالفعل ولم نعد إلى هناك لحسن الحظ فى أى وقت .

وأقول لحسن الحظ لأننا لو كنا نملك نقودا فى ذلك الوقت لدفعنا الاشتراك وأصبحنا أعضاء فى الإخوان المسلمين ، ومن يدرى ربما استبد بنا حماس الشباب فى تلك الأيام فدخلنا نحن أيضا فى زمرة الخطباء ودعونا إلى استرداد لواء الاسكندرونة السليب وتحرير أشبيلية وطليطلة والأندلس ، وربما استبد بنا الحماس أكثر فندعو إلى تحرير برشلونة ولابأس من تحرير مرابيا وريال مدريد .ومن يدرى ؟ ربما كنا ضمت الألوف الذين عكموهم بعد مقتل النقراشى باشا، ومن يدرى ؟ ربما كان العبد لله أميراً لمنطقة ديروط فى الوقت الحاضر وطوغان أميراً لمنطقة أسيوط !

المهم أننا هربنا بفضل الله من شعبة الإخوان المسلمين بالجيزة ، وقضينا أسبوعا كاملا لانقترب من شارع عبد المنعم ، حيث يقع مقر الشعبة ، وحتى لايقع علينا نظر الرجل الهادىءالبطىء الوقور الذى طلب من كل واحد منا خمسة صاغ وأجبرنا على أن نتحول إلى فص ملح وداب ! ولقد حاولت بعد ذلك البحث عن هذا الرجل الطيب لكى أشكره وأقبل وجنتيه ، لأنه طلب منا هذا المبلغ الجسيم وقتئذ فأجبرنا على الهروب ، ولكن ماحدث بعد ذلك كان أغرب من الخيال .. فبعد مقتل النقراشى باشا امتلأت السجون بأعضاء الجماعة ، فالقاتل كان منهم ، وكان عضوا بالتنظيم السرى للجماعة،وارتدى بدلة ضابط شرطة ودخل وزارة الداخلية ، ووقف عند الأسانسير حتى جاء النقراشى ، فأخرج مسدسه وأطلق عليه النار وأرداه قتيلا . وكانت حاسة الأمن فى تلك الأيام ليست قوية كما هى الآن . كانت الدنيا طيبة والناس طيبين .. ورجال الشرطة أيضا . وكان من السهل على أى إرهابى أو خلبوص أن يقتحم أى مكان أو يتسلل إلى أى موقع ويعمل عملته المهيبة ، وبعد أن امتلأت السجون با لمتهمين وا لمشتبه فيهم والذين ليس لهم فى الطور ولا فى الطحين ، مر على بيتنا كونستابل ممتاز اسمه عنتر ، كان يسكن بالقرب منا ، وطلب منى الذهاب إلى القسم لأمر هام . ثم مر على منزل طوغان وسحبه هو الآخر . وقطعنا الطريق إلى قسم الشرطة سيرا على الأقدام ، عنتر يسير فى الوسط وطوغان عن يمينه

وأنا عن يساره ، صحبة بريئة لا تلفت الأنظار . ولكن الفار لعب فى عبنا عندما اقتربت القافلة من قسم الشرطة . أمسكنا السيد الكونستابل من مكان تحت القفا بقليل . وعندما نظرنا إليه بدهشة ، قال معتذراً .. معلهش .. علشان البيه المأمور ماياخدش ملاحظة علىَّ . ولم يتسع الوقت أمامنا لسؤال عنتر عن علاقة البيه المأمور بالموضوع الذى جئنا من أجله إلى القسم فقد وجدنا أنفسنا فجاة أمام البيه المأمور ، عنتر يضرب تعظيم سلام اهتزت له جدران الحجرة ، وقال عنتر فى لهجة حازمة :

— المطلوبين أهم يافندم .

إذن نحن مطلوبين .. ليه ؟ هذا هو الذى لم نتوصل إليه حتى تلك اللحظة. وقال المأمور وهو يفحصنا بنظرات حادة .. خليهم عندك لما الجماعة ييجوا ياخدوهم ، وخرجنا إلى مكتب عنتر ، وهو مكتب حقير ليس به إلا ترابيزة كأنها ترابيزة بقال فى حى شعبى ، وجلس عنتر خلف الترابيزة ووقفنا أمامه فى حالة ضياع وسألنا عنتر عن الحكاية فقال :

فى الحقيقة ماأعرفش ، لكن أنتم مطلوبين فى القسم المخصوص .

ياخبر أسود فى القسم المخصوص ؟! المهم جاء أفندى متين البنيان ، شكله يوحى بأنه مدرس ألعاب رياضية ، عاملنا بلطف واصطحبنا فى سيارة إلى إدارة القسم المخصوص . وأمام ضابط آخر جلس يستجوبنا لمدة نصف ساعة ، فتح دفترا وأطلعنا عليه كان اسم طوغان مكتوبا علي سطر وسنه وعنوان سكنه، وفى السطر الثانى اسم العبد لله وسنى وعنوانى ، ثم قلم حبر مر على السطور فشطب على الأسماء وعلى المعلومات ، ولكنه شطب يسمح بقراءة كل شيء ..

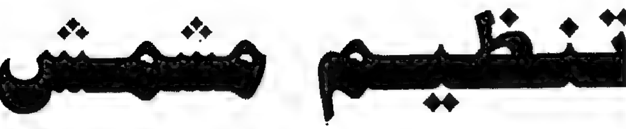
سألنا الضابط هل أنتم أعضاء بالجماعة ؟ فجاءه الجواب بالنفى .

عاد يسألنا .. طيب كيف وصلت أسماؤكم إلى هذا الدفتر؟! سؤال وجيه أجبناه عليه بمنتهى الصراحة ، وحكينا له قصة الخمسة قروش التى اضطرتنا إلى الهروب من مقر الشعبة ، وضحك الضابط ضحكة طويلة ، وقال حظكم حلو وعلى العموم معلوماتنا عنكم إنكم شبان كويسين ،

تلعبـون الكورة أحيـانا والطـاولـة أحيانـا ، كما أنكم مشاغبـون ، ولكنكم مـواطنون صـالحون !! واستـدعاؤكم إلى هنـا كان ضروريا لكى نستوثق منكم عن سر وجود أسمائكم فى هذا الدفتر .

وخرجت من مكتب الضابط وأنا اشكر الله على الفقـر والسلامة . لو كان مع العبـد لله خمسة قـروش ، فربما قضيت خمس سنـوات وراء الشمس ، وشكرت الله على النجاة وقلت .. وداعا أيها اللـواء السليب ، ووداعا للأندلس وطليطلة وأشبيلية وريال مدريد .

ولكن .. هل نكف عن الاشتغال بالسياسة ؟ بالطبع لا . لقد ذهبنا نبحث عن الشيوعيين .. ولكن هذه قصة أخرى !



■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

فى الطريق إلى الكرملين لم تصادفنا أية عقبات كتلك التى صادفتنا فى شعبة الإخوان المسلمين، وكان للعبدلله صلة بأعضاء التنظيمات الشيوعية فقد كانت جلستهم المفضلة على رصيف قهوة إيزافتش بميدان التحرير . وكان النشاط الشيوعى قد امتد إلى مساحات شاسعة فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية بعد أن أصبحت روسيا رفيقة سلاح لأمريكا وبريطانيا وفرنسا ضد هتلر وموسيلينى ، وكان أغلب زعماء الحركة الشيوعية من اليهود الفرنسيين والطلاينة ، وتمكنوا فى تلك الفترة من تجنيد مئات من طلبة الجامعة وعمال النسيج فى شبرا الخيمة ، وأطقم كاملة من الصولات داخل صفوف القوات المسلحة ونجحت الحركة المصرية (حدتو فيما بعد) فى تجنيد عشرات من شباب الفنانين والكتاب.

وكانت قهوة إيزافتش تحتل موقعا استراتيجيا وسط ميدان التحرير ، ويملكها مهاجر يوغسلافى فر من بلاده بعد انفراد تيتو بالسلطة . والسبب أنه كان مسلما من البوسنة ووالده كان من رجال الدين واستطاع المهاجر اليوغسلافى بالتعاون مع شقيقه أن يجعل من قهوة إيزافتش أشهر قهوة فى

مصر منذ عام ١٩٤٢ وإلى عام ١٩٧٢ ،عندما اضطر المهاجر اليوغسلافى إلى بيعها وهاجر إلى استراليا وكانت القهوة مكانا مختاراً للمحامين وكبار الموظفين وأعيان الريف ، الذين كانوا يترددون على وزارات الحكومة ومصالحها فى حى لاظوغلى ، فإذا حل المساء ازدحمت القهوة بالفنانين والمفكرين والمثقفين من كل لون. كان المهندس العالمى العبقرى حسن فتحى يتردد عليها ، والدكتور صبرى السوربونى ، وأبو بكر سيف النصر ، الذى كان يشبه الملك فاروق كثيرا ، وكانت عساكر البوليس فى ميدان الإسماعيلية (التحرير) يضربون له تعظيم سلام كلما جاء إلى القهوة على أساس أنه الملك فاروق فى جولة ليلية لمعرفة أحوال الرعية .

وكان يأتى إليها أيضا أحمد رشدى صالح الكاتب والأديب وأستاذ الفن الشعبى ، كما كان يأتى إليها مجموعة من أشبال ذلك الزمان ، من بينهم محمد عودة ولطفى الخولى وصلاح حافظ وكان الجميع يتخذون لهم أماكن داخل القهوة الواسعة ماعدا مجموعة الشيوعيين ، أو هكذا كانت فكرة العبدلله عنهم فكانوا يحتلون رصيف القهوة فى صف واحد وكأنهم فى مسرح . وكانوا يطلقون شواربهم على طريقة الرفيق ستالين ، والبعض منهم يطلقون ذقونهم على طريقة الرفيق لينين ويجلسون صامتين طول الوقت يحدقون فى اللاشىء فإذا مرت أنثى أمامهم تعقبوها بنظراتهم وأداروا رؤوسهم من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين فإذا اختفت عن الأنظار أو غابت فى الظلام عادوا إلى وضعهم الأصلى فى انتظار أنثى جديدة.

وكانوا نادرا ما يتكلمون فاذا طلبوا شيئا من الجرسون طلبوه بالإشارة، وكان بينهم وبين الجرسون التركى (على) شفرة خاصة متفق عليها فإذا أشاروا إليه بالسبابة فالمقصود قهوة سادة فإذا أشاروا إليه بالسبابة والوسطى فالمطلوب عيش سرايا وعندما تناولت مقعدا وضعته بجانبهم على الرصيف سددوا إلىّ نظرات نارية وكأننى ارتكبت جناية ، ثم لزموا الصمت طول الليل فلم يهمس أحدهم بكلمة ، ويبدو أنهم تصوروا أننى مخبر فى المباحث ويبدو أن هذا الشك تأكد لديهم فى اليوم التالى .

عندما حضرت للمرة الثانية وجلست معهم على نفس الخط ولم أكن وحدى فى تلك المرة ، ولكن كان معى الفنان طوغان ومن حسن الحظ أن

أحـدهم وقد جـاء متأخرا كـان يعرف طـوغان فصـافحه بحـرارة وبحكم الصحبة صافحنى أنا الآخر ، وعندما اتجه نحوهم ليتخذ مكانا بينهم التفوا حولـه ودار بينهم همس طويل ، ثم التفتـوا نحونا وحيـونا بهز رؤوسهم ، وكان هذا أول الغيث .

وفى الليلة التـالية انفتح بيننا وبينهم بربخ كـلام لم ينقطع طول الليل . كان الموضـوع الذى يـدور حولـه الحديث مقالاً للـدكتور محمـد مندور ، وأكذب عليكم لـو قلت لكم إننى فهمت حرفـا واحدا ممـا دار. ولأول مرة فى حيـاتى أستمع إلى كلمة الاستـاتيك والدينـاميك والاستغلاق والاستبطـان والشـواشى العليـا للبـورجـوازية وطبقـة الكـولاك والتنـاقض الـرئيسى والتناقض الثانوى .

والحق أقول إن الـرطانة التى كـان يتكلمها أفراد هـذا التنظيم أصابتنى بعقدة فترة غير قصيرة من الزمان فقد تصور العبدلله أن هذه اللغة هى التى يجب أن يتكلم بها المثقفون وانتابنى يأس شديـد فى أن أصبح مثقفا يوما ما فإجادة هذه اللغة تحتاج إلى وقت طويـل .وعندما صارحت محمد عودة بهذا الإحساس الذى انتابنى ، استنكـر ضعفى وقلة حيلتى ووصف هؤلاء الذين يستخـدمون هـذه الرطـانة بـالجهلاء ، وقـال إنهم بعيدون كل البعـد عن الشعب المصرى ولايتكلمـون لغته ، وأنهم يشبهـون جـرسـونات الفنـادق الكبرى ، يرتـدون الاسموكـن أثناء العمل ويـرتدون الجلابيـة الكستور فى البيت . وذات مسـاء دار نقـاش حـاد بين طوغـان من نـاحيـة وبين تنظيم ايزافتش من ناحية أخرى بدأ النقاش حول الموسيقى الكلاسيك .. موسيقى بتهوفن وبـاخ وموزارت ورمسكى كـورساكـوف وعاب أحـدهم على إذاعة القاهرة عدم اهتمامها بهذا النوع من الفن الرفيع ، ونجح العبدلله فى التسلل إلى المناقشة عنـدما قلت لهم إن سكان حارة أبـو الليف فى الجيزة سيغلقون الـراديـو عنـد إذاعـة مـوسيقى كـورسـاكـوف لأنهم سيتصـورون أن كورساكوف هو نوع من أنواع السجاير .

امتعض بعضهم من التعليق ، ومـط بعضهم شفتيه احتقـارا ، وانتقل النقاش بسرعـة إلى جهل الشعب الذى مهد الطـريق للسلطة لكى تسـوقه فى الاتجاه الـذى تريـده . فـالشعب يحب أم كلثـوم مع أنها فى الحقيقة عميلـة

للرأسمالية والإقطاع والشواشى العليا للبورجوازية واغانيها هى أفيون الشعب الذى يخدره ويفقده الإحساس بمشكلاته ، وعبد الوهاب يحبه الشعب والسلطة تفرضه على المساحة الأكبر من وقت الإذاعة ، لكى يتلهى الشعب عن واقعه المر ويسبح مع عبد الوهاب فى الليل والنجوم طالعة تنورها مع أن الشعب لو نال حقه من الثقافة الحقة لوضع عبد الوهاب فى خانة أعدائه ، فهو فى الحقيقة مطرب الملوك والأمراء وبينه وبين الشعب «بيد بينها بيد» على رأى الشاعر المتنبى .

عند هذه النقطة من النقاش غلب الطبع على التطبع ، فانهلت بالشتائم على رأس أعضاء التنظيم الماركسى الذى كنت أتصور حتى تلك اللحظة أنه الحزب الشيوعى المصرى . وكانت الشتائم من النوع المقتبس بعناية من خناقات حارة الطشطوشى تناولت الآباء والأجداد . وانتهت الجلسة بأن هبوا واقفين فجأة وانصرفوا بربطة المعلم وتوغلوا فى الميدان دون أن يدفعوا الحساب ، مما دفع الجرسون «على» إلى الجرى وراءهم ولم يعد إلا بعد أن قبض ثمن ماتناولوه من أطعمة ومشروبات. فى الليلة التالية جاءوا متأخرين بعض الوقت ، وعندما شاهدونا فى أماكنا على الرصيف ابتعدوا عنا قليلا وجلسوا صامتين ، ثم علمت بعد ذلك أنهم اتهمونا بأننا بوليس . وفكرت أنا وطوغان بعد أن وصلنا نبأ هذا الاتهام فى الاستعانة بشلة الجيزة لضربهم علقة ساخنة ، ولكن محمد عودة نهانا عن ذلك وقال فى لهجة ساخرة .. شغل الجيزة ده ماينفعش هنا . قلت لمحمد عودة : لقد اتهمونا بأننا بوليس وهى تهمة فى وزن الشرف الرفيع الذى لايسلم من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم .

وشرح محمد عودة للعبدلله ماغمض علينا . فهؤلاء هم أعضاء تنظيم شيوعى يدعى (مشمش) وهؤلاء الذين يجلسون على رصيف إيزافتش هم كل أعضاء التنظيم ولديهم تحليل لاينزل الأرض ولايخر المية، تحليل يقول: إن تنظيمهم هو التنظيم الوحيد الذى يحاول بشرف إعادة صياغة الحياة فى مصر وعلى النحو الصحيح وعلى ذلك فكل من ليس عضوا بالتنظيم فهو بوليس ، ولذلك فقد قاطعوا الجميع حتى أعضاء التنظيمات الشيوعية

الأخرى ، لأن الجميع يتحالفون مع البوليس لضرب التنظيم الوحيد الذى سيقود المسيرة إلى الوضع الأفضل والأمثل !

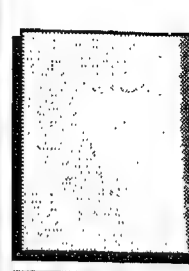
شىء واحد فقط استفدناه من مشمش ، أصحاب الشوارب الاستالينية والصلعات اللينينية ، أثناء النقاش حول الفن والأغانى تردد اسم سيد درويش أكثر من مرة ، ووصفوه بالمعلم والرائد والقائد أيضا ، وكان للعبدلله رأى مخالف فى سيد درويش، فقد كانت الإذاعة المصرية تذيع برنامجا أسبوعيا عن فن سيد درويش ، وكان يقوم بتقديم البرنامج الفنان محمد البحر الذى هو فى الوقت نفسه ابن الفنان سيد درويش ولكن لأن الفرق بين الابن محمد البحر والأب سيد درويش كان مثل الفرق بين الأرض والسماء ، فقد جاء البرنامج فى غير صالح سيد درويش ، خصوصا بالنسبة لجيل العبدلله الذى لم يعاصر سيد درويش ولم يستمع إليه فى حياته ، ولذلك رحت أتلمس الطرق نحو سيد درويش وفنه الحقيقى .

وكان مدخلى إليه ثلاثة من فحول الفنانين ، على رأسهم زكريا أحمد وزكريا الحجاوى ومحمود الشريف ، ومن خلال هؤلاء الفنانين الثلاثة تعرفت على سيد درويش .. وتشرفت .. وكانت هذه هى الحسنة الوحيدة التى أسداها إلينا تنظيم مشمش ، الذى انتهى أغلب أفراده نهاية غريبة بعضهم اشترك فى أكبر عملية اختلاس شهدتها مصر ، وبالمبالغ التى تم اختلاسها أنتجوا فيلما للممثلة كاميليا ، وانتهى الأمر بهذا البعض إلى الحياة خلف الأسوار سنوات طويلة ، وأحدهم وكان يدعى الدكتور كركور قام فى بداية حياته بمحاصرة قصر الأمير محمد على بالمنيل ، وأنزل العلم المصرى من فوقه ورفع بدلا منه بطانية صوف من النوع الذى كان يستعمله الجيش البريطانى ، ثم أنهى حياته بالحصول على الدكتوراه من جامعة ألمانية ، أما رسالته فكانت عن فرع من فروع العلم لايعرفه العبدلله وأعتقد أن الدكتور نفسه لايعرفه أيضا ثم ألقى القبض عليه فى عام ١٩٧٢ بتهمة النصب على بعض الأثرياء العرب ، فقد حصل منهم على مبالغ جسيمة بدعوى أنه مندوب إحدى الشركات الألمانية المعروفة .

وهكذا ضاع تنظيم مشمش فى الكازوزة وكنسه التاريخ فى ترابه . التنظيم الذى قاطع أم كلثوم وعبد الوهاب والشيخ محمد رفعت وخاصم

الشعب المصرى كله واتهمه بأنه بوليس ، وعاش فى شرنقته يجتر جهله وغباءه ويتصرف كما وصفه محمد عودة كجرسونات الفنادق يرتدى السموكن فى الشغل والجلابية الكستور فى البيت، وانتهت أيضا قهوة إيزافتش التى أسسها مهاجر يوغسلافى اشترك فى الحرب الشعبية ضد النازى ثم فر من تيتو ومن بلاده ولجأ إلى مصر ، ولكن تيتو لم يتركه ، وكان البوليس المصرى يقبض على الشقيقين اليوغسلافيين كلما حضر تيتو إلى القاهرة ولايفرج عنهما إلا بعد أن تصبح طائرة تيتو فى الجو .

ولكن .. هل تتوقف محاولتنا عن الاشتغال بالعمل السياسى فى تلك الفترة المبكرة من الشباب بالطبع لا فقد كانت لنا أحلام وتطلعات .. ولذلك عدنا نبحث من جديد عن مكان لنا تحت الشمس بعد أن أقنعنى طوغان بأن مصر على أبواب مرحلة جديدة من النضال . وكان الزمن قد زحف بنا إلى عام ١٩٤٩ . وتلفتنا حولنا نبحث عن مكان نلجأ إليه بعد أن فشلنا فى الوصول إلى مكتب الإرشاد ، ثم فشلنا مرة أخرى فى الوصول إلى الكرملين ، ولم نجد أمامنا إلا حزباً جديداً بزعامة على ماهر با شا ، وذهبنا بالفعل لمقابلة الباشا ، ولكن ماحدث هناك كان أغرب من الخيال .







حزب تايه.. يا اولاد الحلال

■ كتاب اليوم - عدد أغسطس ■

أصبحنا فجأة أعضاء فى اللجنة المركزية لحزب جبهة مصر الذى يقوده صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر. أما كيف قفزنا مرة واحدة من زبائن على رصيف قهوة إيزافتش إلى اللجنة المركزية لحزب رفعة الباشا، فقد تم الأمر ببساطة وبهدوء وطبقا للمثل الشائع: تجرى جرى الوحوش وغير رزقك ماتحوش.. وإذا كانت الخمسة قروش قد منعتنا من الوصول إلى مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، كما منعتنا لغة الخنجورى التى كان يتحدث بها تنظيم مشمش من الوصول إلى الكرملين، فقد وصلنا مباشرة إلى اللجنة المركزية لحزب جبهة مصر بسبب نيتنا الطيبة ودعاء الوالدين، وقد حدث الأمر دون إعداد أو تمهيد، التقينا بالصدفة بشارع سليمان باشا (طلعت حرب الآن) طوغان وأنا بصحفى كبير كان يعمل فى دار الهلال، وبعد السلام والكلام، قال لنا الصحفى الكبير:

ـــ انتوا وراكوا إيه بكرة؟

ولما لم يكن ورانا أى شىء بكرة أو بعد بكرة، فقد دعانا لحضور اجتماع اللجنة المركزية لحزب جبهة مصر، الذى سيعلن رفعة الباشا

شخصيا عن قيامه فى اجتماع الغد ، وعندما استفسرنا من الصحفى الكبير عن كيفية حضورنا اجتماع اللجنة المركزية فى الوقت الذى لم نلتحق فيه بالحزب بعد ، رد الصحفى على الفور :

ــ ستحضرون اجتماع اللجنة المركزية باعتباركم ممثلين عن شباب الحزب !

قال ذلك وانصرف دون أن يوضح لنا الطريقة التى تم بها اختيارنا ممثلين لشباب الحزب

ولم ينس الصحفى الكبير أن يكتب لنا العنوان الذى ستجتمع فيه اللجنة المركزية بقيادة رفعة الباشا ، المهم أننى عشت الوقت الفاصل بين التقائنا بالصحفى إياه وموعد الاجتماع فى حلم اللجنة المركزية ، وبالطبع عندما يؤلف صاحب المقام الرفيع حزبا «لخوض الانتخابات القادمة» وعندما يختار رفعة الباشا طوغان وأنا ممثلين للشباب فى اللجنة المركزية ، فلابد أن رفعة الباشا قد أحسن الاختيار ، ولابد أن فى الجعبة وزارة أو مصلحة أو هيئة أو أى شىء من هذا القبيل يضمن لنا المكتب والسكرتيرة والعربية والسواق .

وسرح خيال العبدلله بعيدا ، ففكرت فى التصريحات التى سأدلى بها للصحف عقب اجتماع اللجنة المركزية ،لأن رفعة الباشا بالتأكيد سيختار العبدلله متحدثا رسميا عن اللجنة المركزية لعدة أسباب ، منها أننى أمثل الشباب فى اللجنة المركزية والشباب هو المستقبل . ومنها أيضا أننى متحدث عام ، على وزن نائب عام ومدير عام ومراقب عام وأنا أتحدث عادة فى الفاضى وفى المليان ، وأتحدث بلا انقطاع وأستطيع أن أتحدث وأنا جالس وأتحدث وأنا واقف وأتحدث وأنا نائم وأتحدث وأنا أتحدث ! وسيكون أول حديث للعبدلله لمندوبى الصحف بمثابة قنبلة تحدث دويا فى كل الأوساط،

سأؤكد للجميع أن حزبنا هو حزب المستقبل وأن برنامجه هو الكفيل بحل مشاكل مصر من الألف إلى الياء ، وعندما نتولى السلطة بإذن واحد أحد ، فسنعمل بكل طاقاتنا ليكون لكل مواطن منزل وسط حديقة غناء ، وسيارة مع صرف بونات بنزين مجانية أول كل شهر مع المرتب ، وسنوفر عملا لكل عاطل ، وملجأ لكل متشرد ، وزنزانة لكل مسجون ، ورطل لحم

لكل جائع ، ومرضعة لكل طفل وعريسا لكل عانس ، وطقم أسنان لكل أهتم عديم الأنياب والأضراس ! ولاشك أن حديثي سيكون له وقع السحر في المعركة الانتخابية وسيحملنا الناخبون على الاكتاف إلى مكاتب الحكومة في لاظوغلي .

وعندما جاء موعد اجتماع اللجنة المركزية ارتديت الحتة الزفرة ، وقمت بتلميع الجزمة بعلبة ورنيش كاملة ، وحرصت على أن أضع في جيب الجاكتة العلوى منديلا أبيض على شكل الأهرامات ، وأشتريت علبة سجاير عشرين ، ماركة واسب ، ومعها مشط كبريت شغل بره .وخرجت في الصباح الباكر إلى بيت طوغان ، ومن هناك زحفنا إلى ميدان الجيزة وركبنا الترام درجة أولى ودفع كل منا ثلاثة تعريفة كاملة ، مع أنه في الماضي وقبل أن نصبح أعضاء في اللجنة المركزية كنا نركب درجة ثانية بستة مليمات ، وفي أحيان كثيرة ولدواع أمنية كنا نتشعبط على السلم ونقفز من ترام إلى ترام.

ونزلنا في ميدان الإسماعيلية (التحرير الآن) وتوغلنا في شارع سليمان باشا ، كان منظر الشارع هذه المرة يختلف عن منظره في المرات السابقة ، ولفت نظر العبدلله وجود بعض الباعة السريحة على رصيف الشارع .. البعض يبيع فاكهة المانجو والبعض سارح بأمشاط .. وقررت أن أضيف إلى برنامج الحزب العمل على إخلاء الشوارع الرئيسية من جميع الباعة السريحة ، وإلحاقهم بوظائف حكومية بمرتبات مجزية تضمن لهم العيش الكريم وسنضمن تأييد أصحاب المحلات لحزبنا ، وكذلك تأييد السادة المثقفين والأثرياء والصياع ، الذين يقطعون شارع سليمان باشا أثناء النهار ، وعندما وصلنا إلى مكان الاجتماع وجدنا الصحفي إياه واقفا عند الباب ، استقبلنا بشوق شديد ، ثم قادنا بسرعة إلى الداخل قائلا لنا في لهجة احتجاج :

— انتو اتأخرتوا ليه ؟ دا رفعة الباشا منتظركم .

انتفخت أوداجنا وانتعشت آمالنا ونحن ننقل خطواتنا وراءه ، نخرج من دهليز إلى دهليز آخر ،حتى انتهى بنا إلى صالة فسيحة . كان رفعة الباشا يجلس في صدر المكان ، وعن يمينه واحد باشا آخر من أقربائه . وعن يساره رجل آخر يبدو عليه أنه باشا ، فقد كانت ملابسه توحي بذلك ، وكما توقعنا

هب البـاشا والبشـوات الآخرون وقـوفـا وصافحـونا بحـرارة ، وانتفخت أوداجى أكثـر ، فكل أحـلامى ستتحقق وعلى الفـور ، ولكن قلبى غـاص فى ركبتى عندما أخطأ الباشا فى نطق أسمائنا ، فنادى طوغان بطوقان ، ونادى العبدلله بـالسعداوى ، ولكن طـوغان طمأننى ونحن نسير خلف البـاشا إلى مكـان الاجتماع بأن طبقة البشـوات لها لهجة خـاصة تختلف عن لهجتنـا نحن أبنـاء الناس اللى مش بشـوات ، واقتحم الباشـا مكان الاجتماع ، ولم يكن هناك سوى عشرين شـخصا ، أغلب الظن أنهم مثلنا جاءوا صدفة وبلا ميعاد .

وجلسنا أنـا وطوغان فى الصف الأول بعد أن انتهت عـاصفة التصفيق ، ووقف البـاشا خطيبا ، فهنـأ مصر بحزبها الجديد ، وهنـا الشعب المصرى بقيادتـه الواعية التى ستقـوده على طريق الخلاص إلى الغد السعيـد ، وقال رفعة البـاشا وهو يضرب المنضدة بقبضـة يده ، ثم وهو يشير نحونـا : لقد تعـاهـدت مع هؤلاء الـرجـال الشرفـاء على أن نخوض المعـركـة مهما تكن الصعاب والعقبات ، وسنخوض المعـركة بإذن الله ونحن نضع رؤوسنا على أكفنـا مضحين بكل غـال ورخيص وحتى بأرواحنـا ، حتى يتحقق للـوطن مايصبو إليه من عز وسؤدد .

ألقيت خلفى نظرة لأرى الـرجال الذين تعـاهدوا مع رفعة الباشـا ، فهو بالقطع لايقصدنا أنا وطوغـان ، ولكنى رأيت الصفوف الخلفية تنظر خلفها أيضا ، فهم بالقطع مثلنا لم يلتقوا بالبـاشا إلا هذه اللحظة ولم يعاهدوه على أى شىء !! المهم أن الخطبـة انتهت وسط عـاصفـة من التصفيق ، بينما عدسـات المصورين تلتقط صورا للبـاشا وهـو يلوح للجماهير ، ثم انشغل المصورون بتصـوير اللجنـة المركزيـة ، وانشغلت أنا الآخـر بالمصـورين ففشخت بقى عن ابتسـامة عريضـة ، وتحفزت لـلإدلاء بالتصريحات التى ستنفجـر كـالقنبلة فى المحـافل السيـاسيـة ، ولكن المصـورين ومنـدوبى الصحف انطلقوا خلف البـاشا ، وعندمـا انطلقت به السيارة تفـرقوا وذهب كل منهم فى اتجاه ، وقلت لطـوغـان ونحن عـائدان إلى الجيـزة مشيـا على الأقدام :

ـ أنت مـاخدتش بـالك .. الباشـا ماسلمش علينـا وهو مـاشى .. وقال طوغان :

— مش مشكلة دي .. إحنا نتصل بيه بالتليفون بكرة .

— وتليفونه عندك ؟

— نجيبه من الصحفى بتاع دار الهلال

وقضيت الليل أفكر فى مستقبلى السياسى ، سنتصل برفعة الباشا غدا ونحدد موعدا للاجتماع به لنخطط معا لمستقبل الحزب ، والباشا بالطبع مشغول بأشياء كثيرة ولذلك سيترك لنا أمر الحزب نتصرف فيه كما نريد ، وليس على الباشا إلا حضور الاجتماعات وإلقاء الخطب فى الاجتماعات الشعبية ، وفى الصباح جلسنا بجوار التليفون فى قهوة محمد عبدالله نتصل بالصحفى إياه ،ولكنه لم يكن موجودا فى كل مرة نسأل عنه وقال طوغان :

ـ طبيعى لازم يرتاح بعد المجهود اللى عمله فى اللجنة المركزية .

واقترحت على طوغان أن يستفسر من الدليل عن رقم تليفون الباشا ، فلابد أن لديه تليفونا للاتصال بجماهير الحزب التى عاهدته على السير وراءه حتى الموت من أجل تحقيق مصالح الوطن . ولكن موظف التليفونات ضحك من الأعماق على سذاجتنا ، لأن تليفونات الباشا لايعلمها إلا علام الغيوب والباشا ، وتكررت محاولة الاتصال بالصحفى الذى قام بدور مقاول الأنفار لحزب الباشا ، ولكن جميع محاولاتنا للاتصال به باءت بالفشل . فقررنا أن نذهب إليه فى عقر مكتبه .

وفى اليوم الرابع قمنا بهجوم خاطف عليه ، وفوجىء بنا ونحن ندخل عليه مكتبه ، وأبدى دهشته الشديدة لأننا نريد مقابلة الباشا ، وأخبرنا أن الباشا سافر إلى الاسكندرية للاستجمام بعد المجهود الرهيب الذى بذله فى تكوين الحزب ، وأن الأطباء نصحوه بالتزام الراحة وحرموه من تناول أى أطعمة إلا كوب عصير فى الصباح وصدر فرخة فى المساء ، وأكد أن الباشا سيعقد اجتماعا معنا بعد شفائه لتنظيم كل الأمور المتعلقة بالحزب ، ثم ضحك ضحكة صافية وقال :

— على فكرة .. الباشا بيكلمنى النهارده فى التليفون وبيسلم عليكم ومبسوط منكم قوى !

وبالرغم من كل شىء صدقنا الأستاذ الصحفى وانبسطنا جدا لأن رفعة الباشا يسأل عنا ، وانتهزنا الفرصة فسألناه عن رقم تليفون الباشا ، ولكنه أكد لنا أنه لايعرف رقم تليفون الباشا لسبب بسيط هو أن الباشا

لايعطى رقم تليفونه لأحد ، ولكن الباشا يتصل بالذين يريد أن يتصل بهم ، ثم قال :

ـ وانتو كمان بعد ماتقعدوا مع الباشا إن شاء الله هيتصل بيكم .

والغريب أننا شعرنا بالراحة لأن رفعة الباشا سيتصل بنا فى المستقبل ، ولم نكلف أنفسنا عناء الاستفسار عن كيفية اتصال الباشا بنا ، لأننا لم نكن نملك تليفونا ، ولم يكن هناك احتمال أن يكون لدينا تليفون فى المستقبل القريب .

على العموم .. الباشا سيتصل بنا .. وودعنا الصحفى وانصرفنا ..

حدث هذا فى عام ١٩٤٩ وجرت الانتخابات وانتهت ، وجاء الوفد واحترقت القاهرة وقامت الثورة وجاء محمد نجيب ومضى وجاء عبد الناصر وذهب إلى رحاب الله ، وجاء أنور السادات وذهب إلى حال سبيله . ثم جاء حسنى مبارك ، واجتاح الأشاوس أرض الكويت ، ثم نشبت أم المعارك ، ثم لقيت حتفها وهى فى عز الشباب ، وحتى كتابة هذه السطور ، لم يظهر لحزب نهضة مصر أى أثر ، ولم يتصل بنا الباشا ،ولم نتصل نحن بالباشا ومع ذلك سيذكر التاريخ السياسى أن العبدلله كان عضو اللجنة المركزية لحزب رفعة الباشا ، الذى سيتسلق الجبال والحبال لكى يحقق لمصر النصر والسؤدد !!





البرنامج الخنفشارى

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس

قررنا ، طوغان وأنا ، أن نختصر طريق المجد وأن نصنع المجد بأيدينا لابيد عمرو أو زيد . قررنا إصدار جريدة نعرض فيها برنامجنا على الأمة وننتظر رأيها فى الانتخابات التى سنفوز بها بلاشك . ولكن طموحنا لم يكن بقدر إمكانياتنا . فإصدار جريدة فى ذلك الوقت كان يتكلف مائة ألف جنيه على الأقل ، ولما كنا لانملك أكثر من عشرة جنيهات ، فقد اكتفينا باستئجار رخصة مجلة أسبوعية ، وقررنا إصدارها مرتين فى الشهر ، واستعنا بالصديق على كامل ، فصار مديراً للتحرير ، وكتب العبدلله مقالا سياسيا وقصة قصيرة ، وتولى طوغان جميع الرسوم الكاريكاتورية ولوحات (وموتيفات) شخصيات سياسية ودينية وفنية ورياضية . وصدر العدد الأول بعد أن طبعناه فى مطبعة بدائية اشتركنا نحن الثلاثة ، على كامل وطوغان وأنا ، فى إدارتها يدويا .

وعندماصدر العدد الأول ، لم يكن فى العدد أكثر من عشر صفحات مكتوبة ، بينما الصفحات الأخرى بيضاء من غير سوء ، لأن الرقابة شطبت جميع المواد التى كنا فى طريقنا إلى نشرها على الشعب المصرى لكى يقتنع

ببرنامجنا السياسى الخطير و يحملنا على الأعناق فى الانتخابات النيابية القادمة ، ويقتحم بنا قصر رئاسة الوزارة فى لاظوغلى لنصبح حكومة تحكم الشعب بالشعب للشعب ! وأذكر اننا نحن الثلاثة خرجنا نطوف بالأسواق نسأل باعة الجرائد عن أرقام توزيع جريدتنا .

وجاءتنا الأنباء مطمئنة ومشجعة ، أحدهم قال انه باع مائة نسخة ، وآخر أكد أنه باع أربعمائة نسخة وثالث أكد لنا أنه باع كل النسخ التى وصلته ولم يحدد عددها ، ولكنه طلب منا أن نضاعف له الكمية فى الأعداد القادمة . وقمنا بإجراء عملية حسابية بسيطة بناء على ماصرح به الباعة الذين توجهنا إليهم بالسؤال ، وخرجنا منها بنتيجة وهى أن كل النسخ التى نزلت السوق تم بيعها عن آخرها .

كنا قد طبعنا ثلاثة آلاف نسخة من مجلة الأسبوع ، أخذنا منها مائتى نسخة لزوم السادة المسئولين عن المجلة من أمثالنا ولارسال بعض النسخ إلى زملائنا من المحررين الكبار أمثال مصطفى أمين ومحمود أبو الفتح وشكرى زيدان والسيدة روز اليوسف !! وأمسكنا بورقة وقلم ورحنا نحسب على وجه الدقة المبلغ الذى سيدخل جيوبنا من حصيلة توزيع مجلة الأسبوع . فلو افترضنا أن الكمية المبيعة هى ألفان وثمانمائة نسخة ، وتباع النسخة بقرشي صاغ ، فمعنى ذلك أن حصيلة البيع ستة وخمسون جنيها تأخذ شركة التوزيع منها الثلث .. أى ثمانية عشر جنيها وعدة قروش فيتبقى لنا سبعة وثلاثون جنيها وعدة قروش ، كان فى ذمتنا لتاجر الورق ثمانية عشر جنيها ، وللمطبعة عشرة جنيهات ، وكان فى المجلة ثلاثة إعلانات تغطى حصيلتها كل الديون ويتبقى لدينا ماننفقه فى الجلسات التاريخية التى سنعقدها فى مطاعم شارع الألفى وفى مقاهى شارع عرابى ، كان الإعلان الأول عن كينا لاييس ، وهو مشروب يقول عنه أصحابه انه يمنح شاربه الصحة والقوة ، والشعور بالشباب يتدفق فى عروقه حتى ولوكان فى سن السبعين ، وكان صاحب كينالاييس شابا يونانيا يدعى لوانيدا .

وعندما التقينا به وشرحنا له الهدف من إصدار المجلة وهو الوصول إلى السلطة لكى نحقق برنامجنا الذى سيحل مشاكل الشعب المصرى قرر على

الفـور نشر إعلان فى كـل عدد من المجلـة على الغـلاف الخلفى بمبلغ عشرة جنيهات كاملـة . أما الإعلان الثانى فقد كـان من مصمم أزياء مصرى ، وقد ذكـر فى إعلانـه أنـه المصمم المصرى الـوحيـد الذى نـال الجائزة الأولى فى المهرجـانات العالميـة . ولم نسأله طبعـا عن شكل هذه الجائزة الأولى أو عن طبيعتها ، كما لم نسأله عن هـذه المهرجانات العـالمية التى حصل فيها على الجائزة الأولى ولاعن المكان الذى انعقدت فيه . أمـا الإعلان الثالث فكان عن أسماك الحرية إدارة الحاج محمد هريدى وشركاه .

والحقيقة أن منظر الدكان كان لايسمـح بوجود أى شركاء للحاج محمد هريدى ، ثم علمنا بعد أن توطـدت الصلة بيننا وبينه أن زوجته هى شركاه ! أما مصمم الأزياء العالمى فقد دفع خمسة جنيهات نظير صفحة فى الداخل ، أما الحاج محمد هريدى وشركاه فلم يدفع شيئا ، بعد أن نشر ثلاثة إعلانات فى صفحـات متفرقـة ، كل إعـلان على ربع صفحة ، ولكننـا أخـذنا بحقنـا أسماكا وسلطات وخبزا ، فقد تناولنا طعام الغداء عند الحاج محمد هريدى ، وكنا أربعة بعد أن انضـم إلينا صاحب المطبعة الذى قام بطبع العدد الأول .

المهم أن شركة التوزيع أرسلت إلينـا كشف توزيع العدد الأول . لم تكن شركات التـوزيع فى ذلك الزمان على هـذا النحو الذى عليه شركـات التوزيع الآن ، ولكن شركة التـوزيع كانت مجرد حجـرة بسيطة ، وصـاحب الشركة (معلم) يـرتدى الـلاسة والجلبـاب البلدى والحذاء أبـو رقبة الـذى يصدر أنغاما موسيقية أثناء السير بـه . جاءنا المعلم رئيس شركة التوزيع وأخبرنا بنبأ جعل شعـرنـا الأسـود يشيب ، الخبر الذى حملـه إلينـا رئيس شركـة التوزيع .. أن أعـداد المجلة المرتجعـة ، بلغت ثلاثـة آلاف وخمسمائة عدد ، كيف يامعلم ؟ هـذا هو الذى حـدث نحن لم نطبع من المجلة إلا ثـلاثة آلاف نسـخة ، وسلمنـا شركة التوزيـع ألفين وثمانمائة نسخة ولكنها عـادت إلينا ثلاثـة آلاف وخمسمائة نسخة ، فكيف وصلت هـذه السبعمائة نسـخة التى أضيفت إلى المرجوع ؟

المهم أن هذه النتيجة السيئة لم تفت من عضدنا ولم تمنعنا من المضى إلى نهاية الطريق فقـررنا إصدار العدد الثانى ، وقد صـدر بعد ظهور العدد الأول ، بخمسة وعشرين يوما ، وكان مصير العدد الثانى كالعدد الأول ، مع

اختلاف بسيط هو أن المعلم رئيس شركة التوزيع رفض أن يعيد إلينا الأعداد المرتجعة وقام ببيعها بالأقة لبعض محلات بيع اللب والفول السوداني ، وقال في تبرير هذا العمل انه باع الكمية ليأخذ عرقه .. بفتح العين والراء ، ولم يفصح لنا عن حجم الأعداد المبيعة والأعداد المرتجعة ، واكتفى بقوله عندما سألناه : أهو بخيتة زى بخيت !

العدد الثالث من مجلة الأسبوع كان نهاية الطريق ، صدر العدد الثالث بافتتاحية كتبها محام بعنوان (يا أيها النمل) ولم يظهر من المقال إلا العنوان فقط ، أما المقال فقد أكلته الرقابة ضمن ماأكلت من العدد الثالث. وكان مقال العبد لله عن مصر المخترقة أرضها المستباحة بفضل وجود مطارات على أرضها وموانيء في بحارها لاتخضع لسيادة الدولة المصرية ولكنها تخضع لجيش الاحتلال ، وقلت في المقال إن كل المواد المخدرة التي تصل إلينا تصل عن طريق هذه المطارات ، وكل الأموال المهربة من مصر تأخذ طريقها للخارج من خلال هذه المطارات .

ولكن مقال العبد لله لم يظهر منه إلا عدة أسطر متناثرة على مساحة ثلاث صفحات ، ورسم طوغان صورة لجندي إنجليزي يفتح فمه ، الذي بدا كأنه جراج عمومي وطابور من العربات يتدفق داخله وكل سيارة مكتوب عليها كلمتان . أرز مصر ، قمح مصر ، قطن مصر ، ولكن الرقيب وضع بقعة سوداء على وجه العسكري البريطاني . فبدت الصورة بعدالطبع وكأن فم العسكري الإنجليزي هو مجرد مخزن كبير ، بينما السيارات تدخل إلى المخزن وهي تحمل كل هذه المواد الغذائية ، والحمد لله لأنه لم يكن هناك قراء للمجلة وإلا لأبدى بعضهم رأيه في رسوم طوغان عمليا بضربات الأيدي وكعوب الأقدام .

المهم اننا بعد طبع العدد الثالث ، وكنا جلوسا في المطبعة والساعة تدق الخامسة صباحا ، جلسنا نتناقش في مستقبل الجريدة ومستقبلنا السياسي أيضا ، اقترحت على علي كامل وطوغان اختصار الطريق ، وبدلا من تسليم النسخ للموزع ثم يقوم الموزع بتوزيعها في السوق ، ثم يقوم بجمعها من السوق ، ثم يكتشف في العدد الأول أن المرجوع أكبر من المطبوع، ويبيع الموزع العدد الثاني لباعة اللب والفول السوداني ولايكلف خاطره بابلاغنا عن حجم البيع سواء للقاريء أولمحلات الفول السوداني ،

معللا بيع العدد بالآفة للحصول على عرقه الذى بددناه .

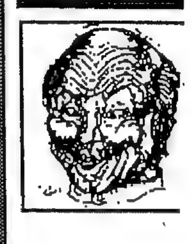
فاقترحت على زميلى على كامل وطوغـان أن نقوم نحن ببيع العدد الثالث من المطبعــة رأسا إلى بتوع اللــب والفول السودانـــى دون المرور بهذه اللفة الطويلــة التى ليس لها مبرر على الاطلاق . ولم يستغرق النقاش بيننـا أكثر من دقائق حتى اقتنع الصـديقان على كامل وطـوغان بأن بيع المجلة لبـاعة الفول السودانى الآن وعلى الفور هو أحسن حل لمشاكلنا كأفراد ولمستقبلنا كسياسيين ولبرنــامجنا السيــاسى الاجتماعى الخنفشارى الـذى من أجله سيرفعنــا النــاخبون على الأعنــاق ، وسيــذهبــون بنا إلى كـراسى الأحكـام والسلطان والهيلمان .

وبالفعل خطفت رجلى إلى أحد تجار الـورق بشارع كلوت بك ، وتصور العبد لله انه بعد السلام عليكم وعليكـم السلام فان الأمر لن يستغرق أكثر من دقــائق معـدودة وينتهى كل شىء على مــايـرام ، ولكنى أدركت فى ذلك اليوم أن الســوق له قـوانين وانه لابـد من احترام قوانين الســوق ، حتى فى عملية هايفــة كتلك العملية التى كنت مكلفا باتمامهــا فى ذلك الصباح ، وعلى رأس قوانين الســوق التى تعلمتها أن الأمــر يختلف اختلافــا رهيبا ، بين أن تسعى أنت إلى التاجر أو يسعى التاجر إليك . ويبدو أيضا أنه كان يبدو على العبد لله اننى أتعجل إتمام الصفقــة وكأننى حرامى وأرغب فى التخلص من جـريمتى بأى ثمن وفى أقصر وقت ، وظهـر على التاجـر المدرب انــه لايريـد الصفقة ، فلـديه كميـات ضخمة من الورق ، وقــال وهو يتثـاءب .. السوق ميت الأيام دى ، ولوخليتهم عندك شهرين ثلاثة يمكن العجلة تتحرك.

وكادت أعصــابى أن تفلت منى وهممت بشتيمة التاجر ، إلا أن طـريقته فى الاستفزاز لم تكن من النوع الـذى يبرر رد الفعل العنيف الذى كنت أفكر فيه ، وسيطـرت على أعصابى وقلت لــه بنفس الغتاتــة والغلاســة التى كان يتكلم بها .. طيب إن شاء الله أفـوت عليك بعد شهرين ، فـرد بنفس الصوت النحاسى الردىء .. ولو بعد ثلاثة أشهر يبقى أحسن ! .

ودخت دوخــة الأرملــة وأنــا أسعـى بين شــارع كلـوت بك إلى شــارع عبدالعـزيز وبين الفوالــة والعشماوى ، باحثا عـن تاجر يـرضى الحضور معى إلى المطبعــة لشراء المجلة ، وعندمــا أعيتنى الحيل رحت أجـر رجلى جرا

نحو المطبعة ، وكم كانت دهشتى عندما شاهدت على باب المطبعة رجلا بجلباب ومعه عربة وميزان ضخم بينما راح بعض العمال يحملون نسخ المجلة إليه ويجرى وزنها بإشراف طوغان ، وكان البائع يبدى تذمره بين الحين والآخر لأن أعداد المجلة وزنها أكبر من حجمها الحقيقى ، لأنها سخنة وخارجة لتوها من المطبعة ، المهم اننا اختلفنا بعض الوقت ثم اتفقنا فى النهاية وحصلنا من البائع السريح على أربعة وثلاثين جنيها ثمنا لأعداد المجلة ، وكان هذا المبلغ هو أول أرباح نحققها من العمل الصحفى وبهذا المبلغ قضينا أربعة أيام على شاطىء البحر فى الاسكندرية ، وقضيناها فى تفكير هادىء وقمنا برسم خطوط مستقبلنا السياسى فى الفترة القادمة ، وتجنبنا فى الخطة الجديدة كل الكمائن والشراك التى نصبت لنا من قبل ، واتفقنا على الخطة الجديدة وتعاهدنا على تنفيذها على أكمل وجه ، وعدنا إلى القاهرة وبدأنا فى تنفيذ الخطة ، ولكن .. ما هى الخطة ؟ وماهو الهدف ؟ هذا ما سوف نكشف عنه وعن تأثيره الخطير ، ليس بالنسبة لنا فقط ولكن بالنسبة لمصر وللعالم العربى وللعالم الثالث عشر !





خنجر فى الظلام

■ كتاب اليوم - عدد أغسطس ■

وهكذا .. أصبحت اللجنة المركزية فى حالة انعقاد دائم للبحث عن وسيلة لتأدية الدور التاريخى الـــذى وضعته الأقدار على أكتافنا لقيادة مصر والعالم العربى .. واجتمعت اللجنة المركزية بالفعل .. على كامل وطوغان وأنا لاتخاذ القرارات اللازمة والحازمة لتحقيق هذا الهدف الذى سيدخل التاريخ من بوابة المتولى .. ولما كان الرسام طوغان هو مدير عام المشروعات ، فقد طرح للمناقشة مشروعا خطيرا سرعان ماوافقنا عليه واعتمدناه . واتخذنا قرارا فوريا بوضعه موضع التنفيذ .

كان الاقتراح هو تأليف حزب خاص بنا ودعوة الجماهير إلى حضور الهيئة التأسيسية لوضع الخطوط العريضة لبرنامج الحزب ، وللبحث فى إصدار جريدة أو مجلة للحزب حسب التساهيل ، وباعتبار العبد لله مفكر الحزب وفيلسوفه الوحيد ومسئول مكتب الاعلام فى اللجنة المركزية ، فقد وضعوا فى عنقى مهمة دعوة جماهير الحزب وعقد الاجتماع الذى تحدد له تاريخ بعد أسبوع ، ولكن المشكلة التى واجهتنى هى جماهير الحزب التى سندعوها للاجتماع . فقد كنا حتى هذه اللحظة لاعلاقة لنا بأية جماهير من أى نوع ، ولكن التجربة مفيدة فى مثل هذه المواقف ، والعبد لله صاحب تجربة فى حزب رفعة الباشا ، ولذلك قررت الاستفادة من تجربة رفعة

الباشا فندعو الجماهير إلى الاجتماع ولأسباب مختلفة تغرى كل إنسان حسب أطماعه أو حسب تطلعاته على الحضور ! .

وبدأت الشغل على ودنه . خطفت رجلى إلى عبده بكر المكوجى لحضور الاجتماع مع شلته ، ولم يكن عبده بكر إلا المكوجى الذى يقوم بكى ملابسنا ويمتلك دكانا بشارع عباس بالجيزة . وكان عبده قلقا وطموحا ومتطلعا ونهما إلى الشهرة وتحقيق ذاته، وهداه طموحه فى فترة الحرب العالمية الثانية إلى تكوين فرقة مسرحية ضم إليها بعض الخدم والطباخين وبعض الخادمات من المترددين على محله ، وقام بالفعل بتأليف رواية اسمها « خنجر فى الظلام » استأجر لتأليفها طرابيشى سابق أهمل عمله بعد أن أهمل الناس ارتداء الطربوش قبل أن تقوم الثورة بإلغائه بعد ذلك بعدة سنوات .

وكان السبب فى إهمال الناس للطربوش هو ولع العساكر الإنجليز بخطف الطرابيش من على رؤوس المصريين ، وسجلت أقسام الشرطة فى القاهرة محاضر بخطف خمسين أوستين طربوشا كل يوم . هذا بالطبع غير الطرابيش التى آثر أصحابها الصمت وترك عوضهم على الله .

المهم أن المؤلف الطرابيشى وكان اسمه أحمد شلبى ، و كان حريصا على أن يكتب اسمه أحمد جلبى ، على أساس ان هذا هو الصواب أقول .. المهم أن المؤلف أحمد شلبى أو جلبى حضر إلى دكان عبده المكوجى ذات صباح وفي يده كشكول وعدة أقلام «كوبيا» لزوم تأليف المسرحية ، وجلس على كرسى بالقرب من عبده ، الذى كان يتولى عملية التأليف شفاهة أثناء قيامه بعملية كى ملابس الزبائن ، بينما يقوم عم شلبى أو جلبى بالتأليف الفورى آخذا فى الاعتبار وضع الأحداث التى يرويها عبده فى الاطار المسرحى الملائم وحسب قواعد أرسطو ودرينى خشبة وعبدالفتاح البارودى .

وكان عبده بكر من ممثلى مسرح رمسيس ومن عشاق يوسف بك وهبى ، أما اشتغاله بالتمثيل مع يوسف وهبى فقد جاء عن طريق مقاول أنفار استأجر عبده ضمن مجاميع كثيرة من البشر ليؤدى دور كومبارس صامت فى رواية « أبناء الفقراء » وبعد انتهاء عرض الرواية ظل عبده

مــلازما للمسرح يبحث عن دور ، وعنــدمــا أغلقت فــرقة رمسيس أبــوابها ، تضخمت أحــلام عبده إلى درجـة أنـه قرر تأليف فـرقـة مسرحية والقيـام بأدوار يوسف بك وهبى شخصيا . ولذلك أيضــا جاءت مسرحية « خنجر فى الظلام » خليطا من مسرحيات يوسف بك وهبى من أول « أولاد الفقراء » إلى « عريس فى علبــة » وتتناثرت فى أنحــاء مشاهد « خنجر فى الظــلام » عبارات مشهورة ومحفــوظة ليــوسف وهبى ، عبارات من أمثــال .. شرف البنت زى عود الكبريت مايولعش غير مرة واحدة و .. ياجــوليا يامرات الكل يامزبلة .. و .. روح عليك اللعنة يــاعدو الله . وكــانت هذه العبــارات تجرى على ألسنة أبطال « خنجر فى الظلام » بدون مناسبة وبغير سبب على الإطلاق .

كانت فاطمة فى رواية « خنجــر فى الظلام » تعتب على حبيبها تخلفه عن الحضور فى الموعد المحــدد ، فصرخ فيها كامل بطل الرواية قائلا : يــاجوليا يامرات الكل يامزبلــة ! وكان الأجر الذى يحصل عليه المؤلف شلبى يحسب باليومية ، ولذلك استغرق تأليف المسرحية وقتا طويلا ، وكان عبده لايخفى تبرمه من هــذا الوضــع ، وينفخ بشــدة وهو يقول للمترددين على دكــانه : دا بيلهف يــوميــة خمســة قروش . دا غير الأكل اللى بيطفحــه طــول النهــار ، والسجــاير اللى نــازل شرب فيهــا زى الحريقة ، وكــان عبــده بكر يبــالغ فى مسألة السجاير .

كان شلبى قنوعــا فى مسألة التدخين ويقوم بــالتخميس مع عبده فى كل سيجــارة يشعلها ، عبـده يشفط نفســا وشلبى يشفط نفسا ، وهكــذا حتى تنتهى السيجارة ، وغالبــا كانت تنتهى بين أصابع عبــده ، الذى تحول لون أصابعه إلى شىء أشبه بصفار البيض وكــانت « أفلة » المسرحية أو خاتمتها معقدة إلى درجة أن العم شلبى استغرق فى كتابتها عدة أسابيع . وكان عبده يصرخ فى وجه شلبى بين الحين والآخر مطــالبا بالاسراع فى وضــع الخاتمة ، بينما كــان شلبى مصرا على أن تأتى الأفلــة « روعة .. تعمــل هزة فى البلــد » ولكن عندمــا نفد صبر عبده ، أصــدر قرارا عاجــلا بفصل عم شلبى وصرفه بمعروف بعد أن استولى منه على كشكول المسرحية . وعندئذ كتب عبده على غلاف الكشكول « رواية خنجر فى الظــلام » تأليف عبده بكر .. إخراج عبده بكر .. بطولة عبده بكر .. بالاشتراك مع أمينة رزق وفاطمة رشدى »

وبدأت بالفعل عملية البروفات على المسرحية ، وفى المساء من كل يوم كان عبده يزيح الترابيزة على جنب ثم يبدأ فى إجراء البروفات .. وكان عبده هو البطل ، والبطلة خادمة عند عند أحد القضاة وتدعى أمينة . أما الأبطال الآخرون فكان أبرزهم صابر الطباخ ومحمد حشيف .. وشدت الضجة المنبعثة من دكان عبده أنظار رجال المباحث فهجموا على دكانه وألقوا القبض على الخادمات والطباخين والسفرجية . وغاب عبده وفرقته أياما فى التخشيبة ، ثم خرجوا جميعا بعد عمل التحرى اللازم وثبوت براءتهم من ارتكاب أعمال جنائية .

وانفض مولد « خنجر فى الظلام » ولكن ظل عبده يبحث عن مكان لإجراء البروفات وعن مسرح لعرض الرواية ، ولذلك كان يرقص طربا والعبد لله يدعوه لحضور الاجتماع للبحث عن أنسب الطرق للقيام بعدة أنشطة فنية وللنظر فى إجراء بروفات على مسرحية « خنجر فى الظلام » ، وفى فورة حماسه قرر تخفيض سعر الكوى للعبد لله ، ليصبح قرش صاغ واحداً لكل ثلاثة قمصان ، وكانت بقرش ونصف قبل توجيه الدعوة إليه !

وانتقلت بعد ذلك إلى دكان الكابتن أنور ، وهو سمكرى سيارات وكابتن فرق السلاح الماضى لكرة القدم . وكان الفريق يضم بين أفراده نجم الكرة المصرى الشهير فى الأربعينيات والخمسينيات فؤاد صدقى . وكان من أحلام الكابتن أنور إنشاء اتحاد لكرة القدم فى الجيزة للإشراف على دورى فريق الحوارى من « الأسهم النارية » و « الأسد المرعب » إلى « السلاح الماضى » و « العفاريت الزرق » وجلست مع الكابتن أنور وأقنعته بضرورة حضور الاجتماع التاريخ الذى سينظر فى أمور كرة القدم فى الجيزة تمهيدا لتأسيس الاتحاد والاشراف على دورى فرق الحوارى والأحياء .. وأقنعته بضرورة حضور أكبر عدد ممكن من الناس لكى نضمن التصويت لصالحنا أثناء عملية الانتخاب ،

وفى اليوم الثالث خطفت رجلى إلى دكان المعلم قطب وأقنعته بحضور الاجتماع وضرورة حضورعدد من أصدقائه لضمان التأثير على الحاضرين لكى نخرج فى النهاية بقرار يضمن لنا العفو عن كل الجرائم التى ارتكبت أثناءالحرب العالمية الثانية ضد قوات الحلفاء ، وكان المعلم قطب صاحب

دكان فى الجيزة ، وكان يستخدمه كمسكن يقيم فيه مع زوجته وأطفاله الثلاثة ، ولم يكن بالدكان أى شىء معروض للبيع ، ومع ذلك كتب قطب على جدرانه حكمة « ملك الملوك إذا وهب لاتسألن عن السبب . الله يعطى من يشاء فقف على حد الأدب »

وكان المعلم قطب لايخفى عداءه للانجليز ويتمنى لهم الهزيمة ويعلن حبه الشديد للألمان ويدعو «هلتر» بالنصر .. وكان يحتقر كل من يتعامل مع الانجليز ، ولو بشراء السجاير منهم أوبخطف المحافظ من جيوبهم .. وأحيانا كثيرة كان قطب يسأل العبد لله : إلا لو روميل دخل مصر هيدوروا على الناس الجدعان اللى وقفوا ضد الانجليز ؟ وإلا برضه هترجع ريمة لعادتها القديمة !

ولكن لسوء حظ المعلم قطب أن روميل تراجع وتقدم مونتجمرى ، وتبددت أحلام قطب وأصيب بالإحباط ، فقد كان يتصور أن حل جميع مشاكله يتوقف على انتصار روميل ، الذى سيبحث عن الجدعان الذين قاطعوا الانجليز ودعوا لهم بالهزيمة . وفى ظل تلك الظروف الكئيبة التى أحاطت بالمعلم قطب ، هبط عليه ذات مساء أحد فتوات الجيزة ويدعى مصطفى لطفى ، وعرض على المعلم قطب عرضا سال له لعابه ، عرض الفتوة مصطفى لطفى استئجار دكان قطب لتخزين بعض البضائع .. مجرد تخزين فقط ، ومقابل عشرين جنيها كل شهر .

يا إله السماوات والأرض ، عشرين جنيها مرة واحدة لم تدخل جيب المعلم قطب طوال حياته ، ياالها من صفقة العمر ، ومع من ؟ مع مصطفى لطفى الفتوة الذى تنحنى له كل الرقاب ،وفى الصباح جاء الفتوة ومعه عربة لورى وأنزل الشحنة .. صناديق مغلقة وفرد كاوتش وبطاريات سيارات جديدة وأدوات أخرى لم يدقق المعلم قطب كثيرا فى حقيقتها .

وانقلبت أحوال المعلم قطب رأسا على عقب . استأجر شقة جديدة بثلاثة جنيهات على مقربة من الدكان ، نقل إليها الزوجة والأطفال وجلس هو على باب الدكان يحرس بضائع لايعرف منها شيئا .. ومرت ستة أشهر كاملة وهو يرتع فى هذا النعيم ، حتى جاء صباح أسود من قرون الخروب ، حين هجم على دكان قطب عدد من الضباط والمخبرين وفتشوا الدكان ولينقلوا كل شىء إلى سيارة كانت معهم ، وساقوا المعلم قطب أمامهم مقبوضا عليه

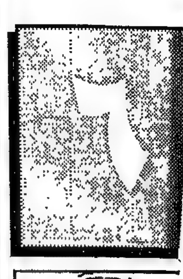
إلى سجن مصر ، وفى التحقيق اكتشف المعلم قطب أن دكانه عامر بأشياء مسروقة من معسكرات الجيش الانجليزى . وأنكر قطب معرفته بأى شىء وادعى أن أشخاصا مجهولين حملوها إليه نظير إيجار شهرى هو فى أشد الحاجة إليه .

ولم يجرؤ المعلم قطب أن يكشف للمباحث عن شخصية مالك الأشياء هذه ، ووجد قطب نفسه بين نارين ، إذا كشف عن حقيقة مصطفى لطفى فقد يلقى حتفه تحت الضربات الساحقة لقبضة مصطفى لطفى القوية ، وإذا سكت فسيدخل السجن ويضيع فى الكازوزة . ومرت سنوات طويلة بين تحقيق ومحاكمة وتأجيل وخرج بكفالة مائة جنيه دفعوها له ، وعاد من جديد يجلس أمام الدكان الذى تحول إلى مسكن لأسرته مرة أخرى ، ثم صدر حكم غيابى ضد قطب بالحبس لمدة سنة ، ثم استأنف الحكم ، ثم تاهت القضية ولا أحد يعرف السبب ، ثم عادت القضية فجأة وأعلنوا قطب بضرورة الحضور ، ولكن قطب صمم على الاختفاء ، ولكن أحد المحامين طمأنه بأنه ومجموعة من كبار المحامين يعملون بكل جهدهم لإصدار قانون يقضى بإسقاط جميع الجرائم التى ارتكبها مصريون ضد قوات الاحتلال أيام الحرب ..

وكان مدخل العبد لله إلى المعلم قطب هو ضرورة حضور الاجتماع مع أكبر عدد ممكن من الناس للضغط على الحكومة لإصدار قانون العفو عن جميع المصريين وعلى رأسهم المعلم قطب، وعندما سمع المعلم قطب من العبد لله هذه الاسطوانة ، وقف ورقص بالفعل وطبع على رأس العبدلله قبلة ودعا للعبد لله بالنصر .

وهكذا .. أصبحت الجماهير مستعدة لحضور اجتماع أول جمعية تأسيسية لحزبنا الجديد الذى سيقود المسيرة ويرفع العلم المصرى على منابع النيل .. فقد كانت هذه النقاط من أهداف حزبنا !

ويوم الاجتماع جلست كما على ماهر باشا فى حجرة جانبية بمكتب محاسب صديقى يقع فى ميدان الجيزة .. ولكن ياللهول .. على رأى يوسف بك وهبى على الذى جرى لنا فى هذا الاجتماع ، الذى شابت لهول أحداثه الغربان والفئران ورأس العبد لله أيضا ، مع اننى كنت فى الثانية والعشرين من العمر !!







صفيحة السوابق

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

ياداهية دقى .. فضيحتنا ووكستنا يوم الاجتماع الجماهيرى الحاشد لإعلان قيام حزبنا الحديدى الذى سيقود المسيرة من الجيزة إلى برج بيزا ، مروراً بالإسكندرية والأندلس وطليطلة ومالطا وصقلية وكل الجزر التى كانت تبعنا ومن أملاكنا يوم كنا خير أمة أخرجت للناس ثم ضاعت من أيدينا عندما صرنا (....) أمة بين الناس !

جلس العبدلله فى حجرة جانبية ، فى مكتب المحاسب الصديق بميدان الجيزة وجلست جلسة «الخالق الناطق» عمنا رفعة على ماهر باشا يوم اجتماع حزبه الجماهيرى الذى يشبه حزبنا الجماهيرى أيضا .. على أساس أن جماهيرى هو لقب أحزاب تلك الأيام ، وهمس طوغان فى أذنى ونحن جلوس فى انتظار الجماهير بكلمة جعلتنى أرتعد من هول المفاجأة .. قال طوغان :

- إحنا نسينا حاجة مهمة قوى .

- إيه ؟

نسينا نطلق اسما على حزبنا !!

ياخبر أسود ومهبب ومزفت .. صحيح لقد نسينا فى غمرة انشغالنا بمستقبل حزبنا أن نطلق عليه اسما ، ولكن بسيطة ! واقترح على كامل أن نتدارك الموقف ونطلق عليه اسم حزب الأهالى ، تشبها بحزب الأهالى العراقى ، ولكنى رفضت لأن صلتنا بالعراق ليست على مايرام .. ولذلك من

الافضل أن نطلق عليه اسم حزب الشعب على اسم حزب الشعب السورى الذى كان من بين زعمائه السيد على بوظو .. وكان صديقا للعبدالله ، وهى الصداقة التى استمرت بيننا حوالى ربع ساعة هى المدة التى استغرقها لقائى به عند زيارته للقاهرة فى فترة سابقة ، وهتف طوغان صارخا .. أقترح تسمية حزبنا بحزب النجادة ، على غرار حزب النجادة اللبنانى ، وقال طوغان .. انه حزب طيب ومواصفاته كلها طيبة ، وهو حزب كشافة ومعسكرات خلوية ، وأعضاؤه يعلقون المطاوى فى أحزمة بنطلوناتهم ، ورئيس الحزب له جولة كل عام فى أنحاء العالم العربى المتيسر لجلب الإعانات والإكراميات .

المهم أننا بعد أن استعرضنا كل الأحزاب العربية من أول حزب الكتائب الى حزب الاستقلال إلى حزب وداد جلبى يابوى لمعت فى ذهن العبدالله فكرة جهنمية ، لماذا لانطلق على حزبنا اسم حزب الجماهير ؟!! يالها من فكرة رائعة مثل فكرة واحد صاحبنا اسمه عبد الفتاح الجيزاوى .

كان يغنى فى الأفراح والليالى الملاح فى الجيزة وكان يدعى كذباً أنه على صلة قرابة با لمنولجست عمر الجيزاوى ، وكان عبد الفتاح هو التجسيد الحى لمطرب الأخبار الذى ابتدعه خيال الكاتب أحمد رجب ونفخ فيه الروح على صفحات الأخبار .

وكان عبد الفتاح لاينجو فى كل فرح من علقة حتى تورم قفاه بالفعل ، وبمرور الزمن وإيأسه من أن يصبح مطرباً قام بتغيير اسمه من عبد الفتاح الجيزاوى إلى عبد الفتاح المطرب ، ونشر إعلاناً رسمياً يطالب المعترضين بالتقدم إلى الجهات الرسمية بأسباب الاعتراض ، وبعد مرور المهلة المحددة ، صار اسمه الرسمى عبد الفتاح المطرب ، ولكن اسمه الفعلى ظل على ألسنة الناس ..عبد الفتاح الجيزاوى !!

المهم أن الاسم الذى أقترحته لحزبنا نال استحساناً وموافقة على الفور ، وصار اسمه حزب الجماهير ، بدأت الوفود تتوافد على مقر الحزب .. وجاء فى البداية وفد الكابتن أنور ، وجاء معه عدد من أعضاء الفريق ، بعضهم حمل كور أنبوبة والجميع يرتدون زى الكورة ، ولما كانت العين بصيرة واليد قصيرة ، فقد جاء بعضهم وقد أخفوا الجلباب داخل اللباس ، وكان

معهم أيضا عم بسيونى ، وهو رجل عجوز كان يعمل فراشا فى أحد البنوك ، ويرتدى نظارة طبية ، فلما اعتزل العمل فى البنك عمل حكما بين فرق الحوارى ، وكان يتقاضى خمسة قروش عن كل مباراة .

وكان فى الملعب شديد العنجهية والغرور ، والكارت الأحمر حاضر دائما ومستعد لطرد كل من يرفع صوته بالاحتجاج .. وعندما لمحنى عم بسيونى أجلس منجعصا وواضعاً ساقاً على ساق ، أخرج صفارته من جيبه وأطلقها تحية منه للعبدلله ، وجلس أعضاء الفريق واحتلوا الصفوف الأمامية ، ثم راحوا يهتفون : يامحنى ديل العصفورة ، فرقتنا هيه المنصورة !

وجاء فريق المعلم قطب ومعه بعض حرامية المعسكرات الذين كانوا يسطون على معسكرات الجيش الإنجليزى أيام الحرب ، بعضهم دخل السجون ، وبعضهم لاتزال قضاياهم معلقة أمام المحاكم ، ولكن الأمر الذى جعل قلبى يغوص فى ركبتى هو ظهور الفتوة مصطفى لطفى فى القاعة ، فلما رآنى أتصدر المكان ، أدرك أننى الرئيس فهتف على الفور بصوته الجاعورة .. ياميت مسا ، أجدع ناس واللى خلق الخلق .. أهو كده .. لازم القواضى دى تنشطب ، همه يعنى عملوا إيه ؟ سرقوا إنجليز ، طيب وفيها إيه دى ؟ ثم دى غنايم ،والنبى ألف صلاة عليه خد الغنايم من الكفار ! وصاح واحد آخر من أصحاب السوابق الذين ترددوا على السجن أكثر من مرة ، طب واللى خلق الخلق الحكومة دى ــ يقصد حكومة إبراهيم عبد الهادى ــ كافرة ، دول قعدونى فى السجن ٥ سنين ، عشان إيه يعنى ؟ شوية مواسير خدناهم من المعسكر ، واللى خلق الخلق لازم نرفع قواضى ونأخذ التعويض !

وهب بعده واحد من السوابق وأزاح جلبابه عن ظهره ، فبدأ أثر لجرح قديم وقال بصوت عليظ : اللى انت شايفه ده ضربة سونكى من عسكرى انجليزى ، ولولا لطف الله كنت زمانى نايم فى قرافة الإمام الشافعى من سنين ، ودا غير الضرب والإهانات اللى شفناها فى مكتب البيه ضابط المباحث واللى زاد وعاد رمونا فى السجن أربع سنين ! ودعا المعلم قطب فرقته إلى الهدوء ، وقال .. الحمد لله ربنا وقفلنا البيه فى سكتنا وربنا يكافئه حسب نيته ، والليلادى وإن شاء الله هتنشال كل القواضى من(صفيحة)

السوابق ونرجع أنضف من الصينى بعد غسيله ! واقتحم مقر الحزب عبده بكر المكوجى على رأس فريقه ، لمحت على رأسهم صابر الطباخ ومحمد شيف وهو طباخ هو الآخر ، ولكنه اشتغل فترة فى بيت أحد السفراء ، فأطلقوا عليه فى السفارة لقب (الشيف) أى رئيس الطباخين . فلما ذهب إلى القهوة فى المساء وأبلغهم نبأ تعيينه (شيف) فى السفارة سخروا منه وأطلقوا عليه اسم محمد شيف ، وصار علماً عليه بعد ذلك ، وبعد قليل دخل الاجتماع عم جلبى مؤلف (خنجر فى الظلام) ولاحظت فى يده نسخة من الرواية ، كما لاحظت وجود نفس النسخة فى يد عبده بكر !

اكتملت الآن اللجنة التأسيسية لحزب الجماهير ، وما على الزعيم الذى هو حضرتنا إلا بدء الاجتماع وإلقاء الخطبة النارية التى لابد ستذيعها وكالات الأنباء فى أنحاء المعمورة ، وكان طوغان قد استدعى المصورين لالتقاط الصور التذكارية للاجتماع التاريخى ، وقد حضر متأخراً ووقف يعتذر عن التأخير حاملا فى يده كاميرا سوداء اللون تشبه الصندوق مركبة على حامل بثلاث أرجل ويتدلى منها قماش أسود طويل كالشوال ، وفى اليد الأخرى جردل ماء ، ومعه مساعد بلمبة كهربائية (فلاش) لزوم التصوير فى الليل ، وبعد أن نصب العدة أدخل المصور رأسه فى الشوال الأسود ، وراح المساعد يفرقع الفلاشات ، ثم يسحب أوراقا من الكاميرا ويضعها فى ماء الجردل ، ثم مد حبلا يشبه حبل الغسيل نشر عليه الورق الذى استخرجه من الكاميرا !

ووقف العبدلله وسط عاصفة من التصفيق ، وانطلقت الهتافات من فريق الكابتن أنور السمكرى (يامحنى ديل العصفورة) وبعد أن ألقيت السلام على الحاضرين ، وقبل أن أتفوه بأى كلمة ، وقف عم جلبى وقال موجها الحديث لحضرتنا :

ـ أنا بس عندى كلمة قبل حضرتك ماتتكلم .. أشرت له بالجلوس ولكنه مضى قائلا :

ـ أنا عارف ! إنك عاوز تساعد عبده وربنا يسهله ، أنا راجل بأحب الخير للناس ، لكن أنت مايرضكش إن حقى يتاكل (خنجر فى الظلام) أنا اللى كاتبها والنسخة بخطى أهه ، والنسخة اللى مع سى عبده بخطى برضه

.. وأنت ..

وقبل أن ينتهي من كلمتـه ، نهض عبـده كالمجنـون ولعن سنسفيل اللى نسلوا عم جلبى ، وقـال .. دا راجل مجنون ، كل الحكـاية أنا جيبتـه عشان خطه حلـو ، طيب .. خليه يقول كده جملـة فى المسرحية .. خليه يقول جـوليا يـامرات الكل يـامزبلـة ، ثم نظر نحـو جلبى وقال .. تعـرف معناهـا دى ؟ تعرف تقول .. أنـا لما كنت فى سويسرا واشوف الثلج نازل كنت أتـذكر عرق الفـلاح اللى بيتصبب من الجبـاه بالشكل ده !! تعـرف يتصبب يعنى ايـه؟ وتعـرف بقى إن مـاكنتش هتخـرج مـن هنـا ، أنـا هـابيتك فى المستشفى الليـلادى .. عنـد هذا الحد هـب مصطفى لطفى غـاضبا وصـاح فى صـوت سمعه بالتأكيد الذين فى الميدان .

- إيه دى ؟ إحنا فى إيه والا فى إيه ؟ خنجر إيه اللى فى الظلام ده .. طب علىَّ الطلاق إن ماقعـدتوا ياولاد الهرمة لتكـون ليلتكو مش فايتـة .. أحنا جايين هنا عشان سى عبده بكر ولا إيه ؟

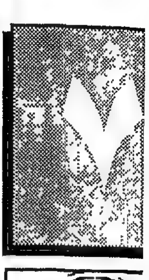
ملعون أبوكوكلكو ..

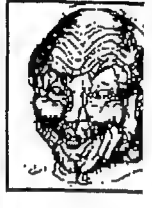
ويبدو أن عم جلبى لم يكن يعـرف من هو مصطفى لطفى ، فنظـر نحوه شذراً بعد أن عوج الطربوش وقال له :

- إيه قلة الأدب دى والسفـالة دى .. أنت ياراجل أنت مش تشوف بتكلم مين ؟ ولم ينتـه من عبـارته إلا ورفع مصطفى لطفى مقعـداً وضرب بـه عم جلبى ، فوقـع على الأرض والدماء تنـزف من رأسه ، وهب صـاحب المكتب كـالمجنـون وصرخ فى وجـه مصطفى لطفـى ، فهبـده الأخير مقعـداً آخـر ، وطـاطت القـاعـة ودبت الفـوضى بين الجماهير ، وطـاح مصطفى لطفى فى الجميع ، ونال العبـدلله من الحب جانب ، فأصابنى مقعـد شارد فى وجهى ، وسقط طــوغــان على الأرض وهـــو يحاول تهدئة الجماهير ، وأطلق عم بسيونى صــافرته لتهدئة المبـاراة ، وحاولت الخطابـة ، ولكن جسماً صلباً ضرب جبهتى مرة أخـرى .. وساد الظلام القـاعة فجأة ، فلم يعـد هناك إلا صــوت ضرب الكـراسى وصرخــات الجرحى والمدهـوسين تحت الأقـدام ، وتسللت فى الظـلام من بين أجسـام الجماهير وخــرجت إلى الميـدان ، ومن الميدان إلى الشـارع ومن الشـارع إلى حى شبرا حيث كانت تقيم عمتى هناك .

وشهر كامل لم أستطع دخول الجيزة أو أهوب نحوها . وعندما اتصلت تليفونيا بقهوة محمد عبدالله للسؤال عن طوغان ، أفهمنى عم زكريا الحجاوى أنه مريض ومصاب بكسر فى ضلوعه وأن إحدى أسنانه تحطمت ، وهو نائم فى سريره لايستطيع مغادرة الفراش . أما على كامل فلم نره إلا بعد ستة أشهر . فقد كان لحسن حظه يسكن فى السيدة زينب وجاءنا ومعه مشروع جديد على طريق المسيرة نحو عالم الغد السعيد ، ومن أجل مجتمع الورود والخدود والشواشى العليا للأنكشارية .

والنحل ياهوه !







شبشب على ملوخية !

■ كتاب اليوم - عدد أغسطس ■

قال على كامل وهو يرقص طربا : حصل فرج الله يا أولاد ، وسنودع أيام الشقاوة . وراح على كامل يحكى لنا تفاصيل مشروعنا الجديد ، فهناك مشروع مجلة جديدة وراءها تمويل ضخم ومستمر ولاينقطع . وأصل الحكاية ان أحد بشوات الصعيد وقطبا من أقطاب حزب الوفد ويمتلك ألف فدان من أجود الأراضى الزراعية ، الباشا الكبير اختلف مع شقيقه الأصغر ويدعى إبراهيم بك ، وتطور الخلاف بين الشقيقين إلى درجة أن كلا منهما راح يشنع على الآخر ويهاجمه ، وانضمت صحف الوفد إلى الشقيق الأكبر الباشا ضد الشقيق الأصغر ، ولما كان الشقيق الأصغر يتصور أنه صاحب الشعبية الأكبر فى الاقليم وأنه أحق من أخيه بعضوية مجلس الشيوخ وعضوية اللجنة العليا قرر الشقيق الأصغر أن يصدر مجلة للرد على مزاعم أخيه ولإجبار حزب الوفد على الاعتماد عليه بدلا من شقيقه الباشا ، الذى ليس له من المواهب إلاالألف فدان وحظائر الماشية التى اشتهر الباشا بتربيتها فى أحد أقاليم الصعيد .

وأكد لنا على أن سعادة البيه الشقيق الأصغر رصد للمجلة ميزانية ٣٠

ألف جنيه وهـو مبلغ كان يـومئذ يكفى لبناء نـاطحة سحـاب على شـاطىء النيل .

عندما بـدأنا الانهماك فى العمل سألنا على كامل هـل وضع سعادة البيه أى مبلغ من المال تحت حسـاب المجلـة ؟ فأجـاب بـالنفى وأكـد أن البيـه سيفعل ذلك عندما نجتمع معه فى الأسبـوع القادم لوضع اللمسات الأخيرة على مشروع المجلة ، وجاء البيـه فى الموعد المحدد وأدهشنى منظـره فقد كان أغلب البهوات الذين رأيتهم من قبل من النوع التركى الملظلظ الذين تستطيع أن تلحظ آثار النعمـة عليهم من أول نظرة ، بشرة بيضـاء مخلوطة بـاللون الأحمر ، ولغـد سمين يخفى الرقبـة وصلعة نظيفـة ولامعة كأنها مـدهونـة بـالـورنيش ، ولكن منظـر هذا البيـه كـان يختلف ، شكلـه يقترب كثيرا من شكلنا ،نحيف ومتـوسط الطول ولونـه الخالق الناطق مثل لون العبـد لله ، لون العسل المخلوط بالطحينة أولـون العجين المخمر ، وبدلته رغم قماشها الفاخر تبدو عليه وكأنها بدلة رجل آخر .

وجلس البيـه بيننـا يشرح مشروعـه «القومى» الكبير ، فـلابـد من حـد للزعـامات التقليدية ، ولابـد من زحف الشباب الصاعد على مـواقع القيادة ، ونظر نحـونا فى حركـة «قرعة» لإشعـال الحماس فينا وقال : أنتم مثـلا ليه مـاتمسكوش مكـان التابعى وأحمد الصـاوى محمـد ومحمود أبـوالفتح ؟ وعندمـا طلبنا منه رصـد مبلغ من المال لحساب العـدد التجريبى .. رد على الفور : الفلوس مش مشكلة .. وهيكون معـاكم اللى انتو محتاجينه وأكثر .. بس هو فيه أجتماع صـغير بينى وبين الباشا .. وأنا مسافر بكره ان شاء الله وهغيب أسبوع فى البلـد وفى الاجتماع ده هيتقرر مصير حاجـات كتير قوى وإن شاء الله هـديكم إشارة الانطـلاق بعد مـا أرجع من السفـر على طول . وسافر سعادة البيه لحضور الاجتماع التاريخى وانحشرنا نحن فى دكان فى شـارع الخليج المصرى نعمل بكل طـاقتنـا فى انتظـار حضور البيـه الـذى سيعطينا إشـارة الانطلاق وصمم على كامل مـاكيت المجلة وأشهد انـه كان نموذجا فـريدا بالنسبة لصحـافة تلك الأيام ، وكتب العبدللـه قصة اسمها عودة الأسير ، ورسم طوغان عدة نكت سيـاسية واجتماعية وقام على كامل بترجمة موضوع شائق عن جزيـرة بالى ، وجلسنا ننتظر عودة المخلص من

رحلته ، أخيرا تكرم سعادة البيه واتصل بنا تليفونيا فى الدكان الذى هو فى نفس الوقت مطبعة لصف الحروف باليد وأبلغنا بنبأ عودته وحدد لنا القطار الذى سيحمله بسلامة الله إلى عاصمة الوطن حيث المجلة التى ستحمله بإذن واحد أحد إلى مافوق السحب ، وحملنا ماكيت المجلة وذهبنا بربطة المعلم إلى محطة سكة حديد الجيزة وقطعنا ثلاث تذاكر بـ ٤,٥ قرش صاغ ولم يبق معنا سوى قرش تعريفة من الشلن الذى كنا نملكه ، وجاء القطار أخيرا وقفزنا إلى ديوان الدرجة الأولى واستقبلنا سعادة البيه بترحاب ممزوج بالدهشة والقلق ويبدو انه لم يكن يتوقع حضورنا إلى محطة السكة الحديد .

وقطعنا المسافة من الجيزة إلى القاهرة نعرض على سعادة البيه ماكيت المجلة ، وراح البيه يتابع شرح على كامل وهو يهز رأسه هزات متتابعة وإن كان وجهه ظل جامدا لايعبر عمايجيش فى أعماقه من ردود أفعال ، وأثناء العرض والشرح جاء الكمسارى وفتح باب الديوان وعندما اكتشف أن الركاب الجدد على علاقة مع سعادة البيه انحنى فى أدب واعتذر بشدة ، ولكننى صحت فى الكمسارى : احنا معانا تذاكر وأبرزت له التذاكر ، ولكن الكمسارى ابتسم فى ود وقال فى همس أيوه بس تذاكر درجة ثالثة وانتو قاعدين فى الأولى !! ودس البيه يده فى جيبه على الفور وأخرج المحفظة ولكن الكمسارى هتف بصوت عال : مش المعنى ياسعادة البيه .. وهو أنا حاخد فلوس برضه ؟ !! .. دا لو القطر كله لحساب سعادتك مفيش مانع .. ثم أغلق باب الديوان ومضى وعاد على كامل إلى شرح الخطوط العريضة للمجلة ، وبعد أن انتهى كان القطار قد وصل بنا إلى منطقة إمبابة وهنا سأل طوغان .. سعادة البيه : هانسميها إيه ياسعادة البيه ؟ وأجاب البيه على الفور وكأنه كان مستعدا للسؤال : الرقيب ! ثم راح يعدد حسنات الاسم الذى اختاره ، فالمجلة رقيب على الحكومة ورقيب على الأفراد ورقيب على المال العام ورقيب أيضا على أنفسنا . فلا نقول إلا الصدق ولا نكشف إلا الزور والبهتان .

واضطر البيه إلى قطع كلامه عندما دخل القطار إلى محطة مصر وغادر البيه القطار وغادرنا معه وخرجنا من المحطة لنجد سيارة بويك ضخمة فى

انتظار البيه ، ومد يده مصافحا وحدد لنا موعدا للاجتماع فى منزله بكوبرى القبة ثم اختفى داخل العربة ومضت به فى سلام .

نحن الآن فى محطة مصر ، وبيننا وبين الجيـزة حوالى عشرة كيلو مترات وليس فى جيوبنـا إلا قرش تعـريفة لايكفى لكى يسقينـا شربة مـاء، ورحنا نزحف على الطريـق مخترقين شارع إبراهيم باشا إلى ميـدان الأوبرا إلى حى عابدين ، ومن عابدين إلى شـارع نوبار إلى السيدة زينب ، وودعنا على كامل وذهب إلى منزله واخترقنا ـ طوغان وأنا ـ شارع السد إلى فم الخليج إلى دير النحاس إلى كوبرى عباس إلى الجيـزة .. واستغرقت رحلتنا إلى الجيزة ثلاث ساعات كـاملة ، ومن السيدة زينب إلى كوبرى عبـاس لم ينقطع طوغان عن رسم صـورة وردية للمستقبل ، المجلـة دى هتنجح يـابنى وكل واحد فينـا يجيب عربية وهـاطلع الكتاب اللى بحلم بيه ، كتاب كـاريكاتير يعمل هزة فى مصر ، هـاطبع ٣٠ ألـف نسخـة .. النسخـة بجنيـه أبيـع ٢٥ ألف نسخـة والبـاقى احتفظ به . « طـوغان لم يصـدر هذا الكتاب إلا بعـد هذا التاريخ بـ ١٥ سنة » المهم اننـا عشنا فى أحـلام كثيرة حتى جـاء موعـد الاجتماع ووصلنا بيت سعادة البيه قبل الموعد بنصف ساعة ولذلك رحنا نلف وندور حول البيت حتى جاء الموعـد فوقفنا عند الباب وضغطنـا على الزر وفتح لنا شـخص نوبى متين البنيان كأنـه محمد على كلاى فى زمانه ، وقـادنا النوبى إلى حجرة واسعة تتـدلى من سقفها نجفة كبيرة فى حجم كنبة بلـدى عمولة ، وجلسنا ننتظر أكثـر من نصف ساعة حتى حضر إلينا سعادة البيـه يرتدى بيجامة معتبرة وشبشب لـو رأته خالتى بهانة لطبختـه على شويـة ملوخية ، وفوق البيجاما روب من الحرير الطبيعى ٥٥٠ كـانيبو « طبعا اكتشفنا هذه الأسماء والماركات بعد سنـوات طويلة » وجلس البيه يعبـث بحبات مسبحة من اليسر الطبيعى المطعمة بالفضة ، وبعد أن شرح على كامل خطته فى العدد الأول بحيث يكون أشبـه بقنبلة تنفجر فى المجـال الصحفى قال البيـه وهو يهز سـاقه اليمنى الموضـوعـة على سـاقـه اليسرى : على العموم الكـلام ده سابق لأوانــه دلوقت .. لأن فيــه قدامنا شـوية عقبـات لازم نشيلها الأول ، وطلب منـا أن نكون على اتصـال دائم به وأن نحتفظ بحماسنـا حتى يحين الوقت المناسب .

وخرجنا من بيت البيه فى الواحـدة والنصف ظهرا ، وقطعنا نفس الرحلة من جـديـد ، ولكنهـا كـانت أطول هـذه المرة ، واقترحت ان نـواجـه البيـه بالمصروفـات التى أنفقناهـا على المشروع .. على كامل الـذى وضع الماكيت أنفق خمسة جنيهات ورقا وصورا وصمغا لزوم اللزق ومقصا لزوم القطع ومجلات أجنبيـة لـزوم الاطـلاع على أحـدث صيحـة فى عـالم الماكيتـات ، أماطـوغان والعبد لله فقـد انفقنا مـالايقل عن جنيه فى المواصـلات وجنيه سجايـر لزوم عـدل الدمـاغ وجنيه قهـوة لزوم تهدئة الأعصـاب ، هذا غير الدوخة التى دخنـاها خلال الشهر الأخير .. واقترح العبد للـه إرسال خطاب إلى سعادة البيه نطـالبه بهرش جيبه ، فالأحـذية من كثرة المشاويـر حدثت ثقـوب فى نعـالها والقمصـان من كثـرة الغسيل والكى حـدثت خـدوش فى ياقاتها .. وقلت لهم .. اللى ينكسف من بنت عمه مايجيبش منها عيال ..

ورحنـا نتصل بـالبيه كل يـوم صبـاح مسـاء .. وحكمة الله أن البيـه فى الصبح نـايم وفى المساء خـارج البيت وترددنـا على مقهى يوديجا بشـارع عماد الدين حيث كان البيه يقيم أغلب وقتـه ولكننا لم نعثر له على أثر ، حتى مـاكيت المجلة اختفى مع البيـه فقـد حرص فى آخـر لقـاء على الاحتفاظ بـه لدراسته دراسـة مستفيضة .. على حد تعبير سعادة البيـه .. واقترح طوغان أن نعسكر أمـام البيت حتى يخرج فنكبس عليه ونحـرجه ونلقنـه درسا فى احترام الناس واحترام مواعيدهم .

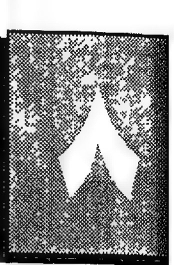
اقتراحات كثيرة ولكننا لم ننفـذ منها شيئا .. واكتفينا بطلبـه فى التليفون ولكننا أبدا لم نعثر عليـه وحكمت الأقدار على مجلة الرقيب أن تبقى فى الظل وضـاع شقانا على مفيش .

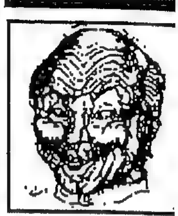
ولكن مـا هو السبب فى سعى البيـه لإصدار مجلـة ؟ وما هـو السبب فى عدوله عن إصدارها ؟ هل كان يعبث بنا ؟ هل هى حـركة تهويش قصد بها تهديـد بعض الجهات ؟ لابـد من حل هذا اللغـز الذى غمض علينـا .. ولماذا اختارنـا نحن الثلاثـة للقيام بالـدور الرئيسى فى هـذه اللعبة التى ليس لها معنى ؟ المهم ان حيرتنـا لم تستمر والسر الـذى فشلنا فى حلـه ذاع وانتشر ، فقد قـرأنا فى جريـدة وفدية نبـأ رحلة مسئول وفـدى كبير إلى اقليم سعـادة البـاشا وشقيقـه سعـادة البيـه وبعد أن خطب المسئـول الكبير فى اجتماع

جماهيرى حافل تناول طعام العشاء على مائدة سعادة الباشا ثم عقد اجتماعا مع الباشا وشقيقه البيه وانتهت مساعى المسئول بالنجاح ، وصفت النفوس وعادت العلاقات بين الشقيقين إلى ماكانت عليه .. إذن .. تم الصلح بين الباشا والبيه وعادت المياه إلى مجاريها ، أما نحن .. فإيش دخلك بين الملوك ياصعلوك ؟ !

الغريب أننا لم نصادف سعادة البيه بعد ذلك فى أى مكان ، ومرت الأيام والشهور والسنون ثم رأيت البيه فى احتفال كبير أقامته هيئة التحرير بعد قيام الثورة وأسرع بالانضمام إلى هيئة التحرير وصار مندوبها فى إقليمه ، ووافق على مشروع قانون الاصلاح الزراعى مع انه كان يمتلك مع شقيقه ١٠٠٠ فدان من أجود الأطيان ، وعندما صافحته فى الحفل ظهر على وجهه انه لايتذكر شيئا على الاطلاق .. وسألنى باهتمام :انت معانا فى الهيئة واللا لأ ؟ فلما أجبته بالنفى قال : ليه ؟ دا احنا عندنا مشاريع كتير قوى .. سنصدر مجلة لازم تشاركنا .. ثم سألنى عن طوغان وعلى كامل وقال قبل أن نفترق : أنا بتابع نجاحكم .. وسعيد قوى ..

وكانت هذه المقابلة هى الأولى بعد مشروع الرقيب ، أما المقابلة الأخيرة فكانت فى المحكمة وسعادة البيه فى قفص الاتهام والعبد لله فى مقاعد الصحفيين ، والتهمة الموجهة لسعادة البيه انه أتى أفعالا من شأنها الحض على مقاومة النظام ومحاولة الاطاحة به لصالح الرجعية العميلة والقوى الأجنبية المتآمرة وحكموا عليه بالمؤبد ، ولكنهم أطلقوا سراحه بعد عدة أشهر ، ولم يحتمل سعادة البيه فمات بعد شهور ، ومات شقيقه الباشا بعد ذلك بسنوات .. دنيا !





مساء العندليب

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

كسرتنـــا عمليـــة الرقيب فتفرقنا ، انشغل على كامـل فى وظيفته الحكوميـة ، وتفـرغ طـوغان للرسم وراح يوزع رسومه على عدة مطبوعات ، والعبدلله عمل بمجلة يملكها أحد باشوات زمان، وكان الوفد قد جاء إلى الحكم فى انتخابات جرت وفـاز بـالأغلبية الساحقة بـالـرغم من دسائس القصر وحملات الصحف الموالية للقصر ضده .. وفجــاة ـ والعبــدلله يعمل فى قسم التحقيقـــات الصحفيـة — أعلن الـزعيم النحــاس وهــو فى مرحلـة الشيخوخـة إلغـاء معاهـدة ٣٦ ، ودعا الشعب المصرى إلى الكفـــاح ضـــد الاحتـــلال الانجليزى فى منطقة القناة .

واشتعلت الحرب بـــالفعل ، وهـاجـم المصريـون معسكـــرات الجيش البريطانـى ، وأطلقوا النار على أفـراده ، وهجر الألـوف من العمال المصريين أعمالهم داخل المعسكـرات . وفقـد الانجليـز أعصـــابهم فقطعـوا الطـريق الصحراوى على المســافرين من المصريين وخطفـوا بعضهم وأبقوهـم داخل المعسكرات كـرهائن ، وتحولت منطقــة القناة إلى ســاحة حـرب . واوفدتنى الجريدة إلى الســويس لأكون مـراسلاً لها فى ميدان المعــركة . وســافرت إلى السويس ذات مساء من أكتوبر عام ١٩٥١ . ووصلنا السويس والفجر على الأبواب بعد رحلة شاقة استغرقت ٦ ســاعات .

كان قد سبقني إلى هناك العم حامد عبد العزيز مندوب الأهرام ، فنزلت في الفندق الذي كان ينزل فيه . ثم وصل إلى السويس الزميل مصطفى البرادعي مراسل المصري . فقررنا أن نستأجر شقة في السويس للإقامة . واخترنا فندق بلير كمركز قيادة لكل المراسلين الذين حضروا من القاهرة .

وذات صباح والعبدلله جالس وحده في فندق بلير ، تقدم مني مواطن يرتدي جلبابا بلديا ويلف جسمه بعباءة صوف إمبريال سوداء ويضرب على رأسه عمامة بلدى ، شال على طاقية شبيكة ، ويخفي العمامة بتلفيحة صوف ، ويعلق على كتفه بندقية لى أنفيلد . وبعد أن ألقى السلام على العبدلله سألني بغباء .. أنت السعداوى بتاع الجرانين ؟ فلما أجبت بالإيجاب قال .. قوم معايا من غير مؤاخذة .. سألته إلى أين ؟ لم يجب ولم ينتظر إذنا بالجلوس فجلس على مقعد أمامي وقال .. أنا حمودة وحش الجبال من غير مؤاخذة وأنا قائد كتيبة وحوش الجبال .. سمعت عنها والالأ ؟

كنت قد قرأت اسم كتيبة وحوش الجبال في الجرائد ، ولذلك هززت له رأسي بالإيجاب . عندئذ واصل حديثه مع العبدلله .. أنا معايا عيال تأكل اللحمة نية من غير مؤاخذة مشيين الانجليز في الكنوية (جمع كامب) بس عاوزين واحد بتاع جرانين ينصفهم . سألته .. ينصفهم ازاى ؟ أجاب .. يكتب عن البطولات بتاعتهم .. إحنا فينا أبطال كثير . نطق العبارة الأخيرة ثم نهض واقفا وأشار للعبدلله بأن أتبعه . ووجدتها فرصة لكي أتعرف على كتيبة الأبطال التي تحارب الانجليز في الكنوية ، فنهضت وأسرعت خلفه . وطوال الطريق في شارع النمسا ، كان الرجال الجالسون على الأرصفة أمام الدكاكين ينهضون عند مرور حمودة ويدعونه لشرب الشاى وكان هو يكتفي برفع يده بالتحية على طريقة القادة والزعماء .

وصلنا أخيراً إلى عش النسر ، خرابة فسيحة محاطة بسور يكشف ما وراءه ، وباب واسع خشبة متآكل ، وعلى الباب يافطة عليها رسم ساذج رسمه مبيض محارة . والرسم عن شخص يرتدى ملابس كتلك التي يرتديها حمودة وهو يطعن بالسونكي أحد عساكر الانجليز في عينه ، ومع أن الطعنة في العين إلا أن الدماء كانت تسيل من بطن العسكرى ، وإلى جانب الرسم جملة مكتوبة بالزيت الأسود (كتيبة) وحوش الجبال لصاحبها المعلم (حمودة) هل هذه كتيبة أم دكان ؟

المهم أننا دخلنا الخرابة من البوابة ووقعت عينى على عدة حجرات مبنية بالطوب اللبن ، ولم يكن فى الخرابة شىء آخر . وفجأة انشقت الأرض عن رجل عجوز يحجل نحونا ، وعندما اقترب من حمودة وقف وقفة زنهار كعساكر الجيش ، ثم ضرب تعظيم سلام للمعلم حمودة ، ثم أمره حمودة بالكراسى وعدة الشاى . وجلسنا على مقعدين متقابلين ، وعلى مقربة منا كان الشاى يغلى على النار، بينما الرجل العجوز منهمك فى إعداد الجوزة . وأخرج منها قطعة حشيش راح يرص منها على الجوزة . وبعد أن شفط أنفاسا متلاحقة مد يده بالجوزة للعبدلله وقال .. مساء العندليب ، ثم استأنف حديثه قائلا .. تعميرة اكسرا من غير مؤاخذة ، كانوا الأول ـ ولاد الهرمة ـ بيبيعوها لنا بعشرين جنيه الوقية ، دلوقت بناخدها بخمسة جنيه .. حرامية ولاد كلب ! وفات على العبدلله سؤال حمودة عن السبب فى رخص الصنف هذه الأيام !!

ودارت علينا الجوزة المغمسة حتى شعرت بالصهد فى نافوخى ، عندئذ نحى المعلم حمودة الجوزة جانباً ، وهب واقفاً وصاح بصوت غليظ : اجمع .

وعلى الفور خرج من العشش المتناثرة على جانب الخرابة عدد من الشبان ، جميعهم فى صحة جيدة ، يرتدون فانلات زرقاء مثل تلك التى يرتديها عساكر المطافى ، فانلات برقبة طويلة وأكمام طويلة وكلها من الصوف الثقيل ، وبنطلونات صفراء ، أغلب الظن أنها مسروقة من معسكرات الجيش الإنجليزى .

واصطف الجميع فى طابور طويل ، ثم عملوا صفا وانتباه ، ثم ضربوا تعظيم سلام للمعلم حمودة ورد لهم التحية بأحسن منها ، ثم قال لهم والمدفع على كتفه بعد أن أشار بإصبعه على العبدلله وقال .. الأفندى بتاع جرانين ، ثم ضحك ضحكة قصيرة وقال .. مش بياع جرانين ، بيكتب فيها .. وهيكتب عن الكتيبة وبطولاتها وهيسمع صوتنا للعالم كله .. عشان كده عاوزين نظهر قدامه بمظهر حلو .. مفهوم ورد الجميع فى صوت واحد .. مفهوم ياريس !! واستأنف حمودة حديثه لأفراد جيشه .. دلوقت عاوزين نتغدى وبعد الغدا هنمل عرض عسكرى بالسلاح والذخيرة ثم قال فى لهجة آمرة .. انصراف ..

وحدثت فركشة فى الطابور ، بعضهم اقترب منا ، والبعض الآخر عاد إلى

العشش وقلة قليلة راحت تتجول فى الخرابة الواسعة. ثم جلس حمودة على مقربة منى ودس يده فى جيبه وأخرج حفنة من عملات النقد من فئة العشرة قروش والخمسة قروش وراح ينادى .. ياعيسوى .. روح هاتلنا سمك حفار واشويه .. وخد معاك المدفع .. يارمضان روح هاتلنا طرشى وفجل ولمون .. وخد معاك مدفع .. يافتحى .. روح هاتلنا عيش مفقع حلو .. وخد معاك مدفع .. ياسليمان روح هاتلنا شاى وسكر .. وخد معاك مدفع .. وتناول كل منهم القروش القليلة التى أعطاها له المعلم حمودة وحمل مدفعه على كتفه وانصرف فى اتجاه السوق . وقلت للمعلم حمودة .. هوه السوق جنب معسكرات الانجليز ؟ ورد المعلم حمودة فى هدوء .. لأ .. المعسكرات فين والسوق فين .. السوق جنبنا هنا .. عدت أسأله من جديد .. أمال هياخدوا المدافع ليه ؟ رد حمودة فى صوت خفيض .. أصل دى عالم تخاف ما تختشيش ..

كانت الأصناف والكميات التى عاد بها عساكر المعلم حمودة من السوق تثبت نظرية حمودة فى الناس التى تخاف ما تختشيش .. فلم تكن الكميات التى أحضروها تناسب الفلوس التى أخذوها من حمودة .. المهم إن الجميع انشغلوا فى إعداد المائدة وإحضار الماء المثلج . ونزل الجميع على المائدة كالمجانين . وبعد أن انتهى الجميع من الغداء ، جلسنا نشرب الشاى .. شاى أسود محلى بكميات هائلة من السكر .. وبعد أن انتهينا من الشاى صرخ حمودة فى جيشه .. اجمع بالسلاح ! كان العبدلله قد شعر برغبة شديدة فى النوم ، فقلت للمعلم حمودة .. بلاش الاستعراض النهاردة .. خليه بكره أحسن .. سألنى حمودة .. ليه ؟ أجبته .. أنا عاوز أروح اللوكاندة أنام .. رد على العبدلله قائلا فى استنكار .. نوم إيه وبتاع إيه .. هو دا وقت نوم .. نهضت من مقعدى على الفور وقلت للمعلم حمودة أنا مش هحارب الانجليز.. أنا هكتب بس ..

عندما رأى المعلم حمودة إصرارى على مغادرة المكان ، أمر جنوده بالانصراف ، ونهض حاملا مدفعه على كتفه وراح يحجل ورائى حتى تقدمنى بخطوات ، وقطعنا الطريق إلى الفندق فى صمت أول الأمر ، ثم قطعه حموده قائلا .. من غير مؤاخذة هتكتبت عنا أمتى ؟قلت له .. بس لما أشوف حاجة الأول يامعلم حمودة . قال وهو ينظر نحوى بعيون كعيون السمكة

الميتة .. مـا أنت شفت .. قلت له .. لا أنـا قصدى لما أشـوف شغل .. أشوف حرب ضد الانجليز .. هتف واثقا من نفســه .. دا أنت ياما هتشوف .. بس لما القمر يغطس .. وعندمـا بدا على وجهى عدم الفهم ، أستأنف حـديثه قائلا .. أنا تشـوفنى هنا لما القمر يكـون بدر .. لما القمـر يغطس تلقانى فى الجبل .. واللى خلق الخلق محســوبك اللى أنت شايفـه قدامك لازم يشعللهـا حريقـة بإذن الله ، ثم فجأة نفخ نفخة حارة وطويلة وهتف .. بس آه يانارى !

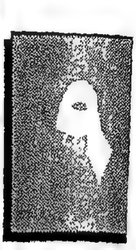
سألتــه عما يعنيه قـال.. الحكومة بتـاعتنا دى .. أنـا ياأستـاذ إللى زيى بياخد الشىء الفلانى فى الجيش .. أنـا قائد فرقة مش حاجـة هينة .. تعرف تقوللى الحكومة بتساعدنى بإيـه ؟ حتى السلاح اللى معانا أنا اللى بشـتريه .. والأكل اللى كلنـاه أنا اللى دافع حقـه قدامك .. مش أصـول الحكومـة تقول تعال يـاحمودة ، أنت تحارب ومالكش دعـوة ، فلوس إحنـا حاضرين ، أكل إحنـا حاضرين ، لبس إحنـا حاضرين ، ثم ضرب جبهتـه بكف يده وقـال .. بذمتك ياأستاذ يخلصك أمشـى على رجلى بالشكل دا . طب يدونا حتة عربية أستعملها وعربية أتوبيس للعيال «الفداويين» .. والا خسارة فينا ؟

ماتكتب ياأستاذ ع الحاجات الوحشة دى !

قلت للمعلم حمودة .. أنت راجل فـدائى ، والفدائى ده بيشتغل لله . نظـر نحوى نظـرة تحمل كثيرا من المعانـى وقال .. أنت هتعمل زى الأفنـدية اللى لابسين نظارات ، أنت راجل ابن بلـد زينا وبتفهم ، فـداوى إيه اللى بيشتغل ببلاش ؟ ثم أنا طـالب إيه ؟ أنا طالب سـلاح وعربية وشويـة فلوس يسندوا ظهرى ضد الانجليـز ، ينشروا صورتنا واحنا ماشيين دلوقت ويقـولوا اهو دا القـائد بتاع وحـوش الجبال .. ومـاشى على رجلـه . يخلصك ياأسـتـاذ ؟ وعـدت حمودة خيراً وتخلصت من صحبتـه بصعـوبـة ودخلت غـرفتى فى اللوكانـدة ونمت نوماً عميقاً واستيقظت على صـوت طلقات رصاص راحت تمزق السكـون والفضـاء بين الحين والحين . أرتـديت مـلابسى وأسرعت بالنزول إلى الشارع . ولكن الرصاص كان قد توقف وساد الهدوء من جديد ، ثم علمت بعد ذلك أن معـركة قصيرة نشبت بين عساكر الشرطـة وعساكر الاحتلال ، وأن جندياً واحداً من الشرطة استشـهد عند مدخل السويس ، وفى اليـوم التالى فـوجئت وأنا على مـائدة الإفطـار فى فندق بلير بـا لمعلم حمودة والمدفع على كتفه . ودعـوته لتناول الإفطار فجلس ثم سألتـه عما يقصده .

ورد فى غيظ خيبة تقيلة ، قوى عربية انجليزى فيها ٤ عساكر انجليز عاوزين يعدوا فوق الهويس ، راحوا ضاربين العسكرى بالنار ، مات ، وراحو ماشيين ، دا اسمه كلام ؟ الذخيرة اللى طقطقوها فى الهوا مش أحنا أولى بيها ، لو كانوا بعتولى عربية ساعة ماقتلوا العسكرى كنت خدت الرجالة بتوعنا وطلعت جرى على هناك ، تصدق بالله ، مايكفينى عشر عساكر انجليزى فى العسكرى بتاعنا ، أنا عاوز تكتب كده ، لازم نكتب كده ، أنا هاشترى الجورنال بكرة ، وعاوز تقول كده.

وفى اليوم التالى عاتبنى المعلم حمودة لأنه اشترى الجورنال ولم يجد فيه الكلام الذى أملاه ، وثار ثورة عارمة عندما أفهمته بالعربى الفصيح أننى لن أكتب شيئا إلا عن العمليات التى تقوم بها الكتيبة ضد معسكرات الجيش الانجليزى . وصرخت فى وجه حمودة قائلا .. ياحمودة أطلع روح عند المعسكرات واضرب العساكر الانجليز وأنا هاكتب اسمك مانشيت فى الصفحة الأولى . رد حمودة ببرود .. إيوه يا حدق ، أنا أروح أحارب الانجليز وأموت وأنت تكتب وتسترزق ، فاكرنى خشنى أنا ، إيه رأيك بقى أنا مش طالع الجبل ومش هاموت انجليز ، روح هاتلى أجدع انجليزى هنا وأنا أدبحه قدامك !! قلت لحمودة ونظراتى إليه تحمل كثيراً من المعانى .. أنا اللى هاروح أجيبلك أجدع انجليزى عشان تدبحه هنا ؟ طب ماتشتغل انت صحفى وأنا أبقى فدائى ، أنت بتقول كلام فارغ ياحمودة ، سلام عليكو. وعبثا حاول حمودة أن يحول بينى وبين الانصراف ، فقد ذهبت مسرعاً وغاضباً . ولعل ذلك هو الذى دفعه للحضور إلى حجرتى فى الفندق فى الصباح الباكر . جاء لكى يودعنى قبل أن يزحف برجاله نحو الجبل !!





الرجل الحصان

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

قبل قيــام ثورة يوليو ، وفى عام ١٩٥٠ على وجه التحــديــد ، عملت فترة من الــوقت فى مجلــة «الستــار» التى كــان يصـــدرهــا الأستــاذ شفيق مرشاق، وكان يرأس تحريرها الاستاذ الكبير مأمــون الشنــاوى ، والكــاتب الكبير المرحــوم ابــراهيم الوردانى ، أمــا هيئة التحــرير فكــانت مكونــة من أربعة : فنان الكاريكـاتير المرحــوم رمــزى ، ويــوسف فكــرى سكــرتير تحريــر للمطبعة ، والكاتب الصحفى الذى فقدتــه مصر ومهنــة الصحــافــة المرحــوم صــلاح حــافظ والعبدالله.

وكــان على العبدالله واجب تحريــر عــدة أبواب بــالمجلــة من بينها بــاب بعنوان «أغرب القضــايــا» . وكان من عادتى أن أجلس على مكتبى فى حضــور رئيس التحريــر مأمون الشناوى واقوم بتــأليف عدد من القضايا الغــريبة التى تشد انتباه القارىء وتثير خياله ، ولكنها فى النهاية مجرد قصص ليس لها أصل فى الــواقع . واستطيع أن أقول إن كل مــا كتبتــه فى الباب المذكــور يصلح لتحــويله إلى مسلســلات للتليفــزيونــات العــربية ، حيث إنها كــانت تحتوى على الــوان التشويق من كر إلى فر إلى قتل بــالجملة إلى رقص شرقى وهز بطن .

وذات يوم سرح خيالى إلى بعيــد ، كتبت تفاصيل قضية خياليــة عن نزاع

بين عـائلتين من أكبر عـائلات الصعيـد وبينهما ثأر تمتـد جـذوره فى بطن التـاريخ إلى زمن طويل . ولكن الأمـور تطورت بين العـائلتين ، عندمـا أحب فتى من العائلة الأولى فتاة من العائلة الثانية وعندما اكتشفت العائلتان هذه العـلاقة الغـراميـة وقعت الواقعـة وانطلق الـرصـاص وسال الـدم أنهارا وتطـورت الامور إلى أسـوأ ،فزحفت ميليشيات أحـدى العائلتين على قـرى العـائلة الأخـرى واحتلت أرضها وأسرت عـددا من أفـرادها ، وحلق خيـالى بعيدا فقلت إن هناك وسيطا من عائلة ثـالثة يقوم با لمفاوضات بين العائلتين على طـريقـة بـرنـادوت كـوسيـط بين العـرب واليهـود ! وأطلعت مأمـون الشناوى على السطور بسرعة ثم قال بعصبية .

ـ انت كاتب لى قصة روميو وجولييت !؟

فأجبته باسما :

ـ إيـوه بس روميو وجـولييت صعايـدة ولم يضحك مأمـون الشناوى للنكتة وقال :

ـ يـا أخى شـوف واحد محامى صـاحبك هات منـه قضايـا حقيقية أو اتصل بيـه فى التليفون . ووعـدت مأمون الشنـاوى خيرا ، على أن يبدأ هـذا النشـاط فى الاسبـوع المقبل . فى الاسبـوع التـالى اتصلت بأحـد المحـامين الاصدقـاء فأملانى عـدة سطور عن قضيـة غريبـة ، بطلها أحـد المطربين ويدعى فـايد محمد فـايد كـانت شهرته محدودة فى مصر ولكنـه كان ذائع الصيت فى دول الشمال الافريقى .

وفى رحلـة قـام بها إلى تـونس أخيرا ، أحيـا خـلالها عـدة حفـلات فى العاصمة وفى سـوسة وصفاقص ، بعدهـا تشرف بمقابلة باى تـونس الذى أهداه نيشانا رفيعا مرصعا بالذهب والماس ، وعندما عاد المطرب إلى القاهرة التقى برجل كان يمد الصحف الاسبوعية الصغيرة ببعض الأخبار من هنا ، وهناك مقابل مكـافآت مالية صغيرة ، بـالإضـافة إلى عمل آخر كـان يقوم به إلى جانب هـذا العمل ، وهو بيع العطـور لركاب الـدرجة الثالثـة فى قطارات وجه بحرى ، وكـان طويلا عريضا متين البنيان يمسك بين أصـابعه بعصا من الكريز كان يتوكأ عليها أحيانا ويخوض بها المعارك فى بعض الأحيان .

وأجرى الـرجل إياه حـديثا مـع المطرب ووعده بنشره فى عـدة صحف ،

وعنـدمـا وقـع بصره على النيشان المرصـع بـالـذهب والماس ، أقنع المطـرب بضرورة نشر النيشــان مـع الحديـث ، لكى يقتنع القـراء بجـديــة الإنعـام السامى من باى تـونس تقديرا لفن المطرب الموهوب ! وعنـدما سأل المطرب صاحبنا إيـاه عن الطريقة التى يمكن نشر النيشان بها فى الصحـف ، أجابه بأن الطريقة الوحيدة هى عمل إكليشيه للنيشان فى ورشة حفر زنكوغراف ، واقتنع المطـرب فسلم الـرجـل النيشـان وعشرين جنيهـا كمقـدم لتغطيـة مصــاريف الزنكـوغـراف والنشر ، ووعده بمبلـغ آخر بعـد نشر الحديث فى الصحف !

ومـرت شهـور .. ولم يظهـر الحديث فى الصحف وفشلت كل محاولات المطـرب للعثور على الـرجل والنيشان ، فسـارع إلى مكتب المحامى وتقـدم ببلاغ إلى النيـابة متهما الرجل بـالنصب وسرقه الوسـام ، وأعجبت القضية مأمون الشنــاوى فافسح لها مكانا محترمـا بالمجلة وكـافأنى على نشاطى الصحفى الكبير . وفى اليـوم التـالى لصدور المجلـة كنت أجلس وحيـدا على مكتبى فى الحجرة التى تضم صــلاح حافظ ويـوسف فكرى أيضا ، عنـدما فـوجئت برجل يقـف أمامى طـويل عـريض المنكبين على رأى عادل امــام ، وبيده عصــا منظرها يجبر أى شخص على احترام الـرجل الذى يمسك بها . وسألنى الرجل بصوت أجش يشبه صوت الأسد فى السيرك :

ـ أنت محمـود السعدنى ؟وتلعثمت فى البـداية ثم تمالكت نفسى ونفيت بشدة أن أكـون مـحمود السعدنى ، وعنـدما سألنى من أكـون ؟ أجبته على الفور بأننى مـدير التحرير ، وضرب الرجل عصـاه فى الأرض بشدة وجلس على أقرب كرسى وأخرج من جيبه منـديلا من قماش الكاكى الذى يستعمله عساكر الجيش وعيناه تطلقان شرارا وقال :

ـ طيب ازاى يـا أستاذ يا مـدير تحرير تسمح بنشر كـلام فارغ زى ده يسىء إلى صحفى زيك ؟ ثم ضيق ما بين حاجبيه وقال للعبدلله :

ـ زيك ازاى ؟ أنت بقالك كـام سنة صحفى ؟ ولما أجبتـه بأننى صحفى منـذ ثـلاث سنوات فقـط نهض من فوق مقعـده وراح يصرخ على طـريقـة شجيع المولـد الـذى يأكل النـار والعه ويخلـص نفسه بنفســه من القيـود والاغلال .

ـ أنـا كنت صحفى قبل أنت مـاتتـولد ، وقبل رئيـس التحريـر بتـاعك مايتولـد ، أنا اشتغلت مع طه حسين فى الوادى ، واشتغلت مـع توفيق دياب فى الجهـاد ، واشتغلت مع عبـد القادر بـاشـا حمزة فى البـلاغ واشتغلت مع الخواجه ماكريوس فى اللطايف ، وبعد ده كله تكتبوا إن أنا نصاب !

ورحت أطيب خاطـر الرجل وطلبت له فنجان قهـوة سادة حسب طلبه ، ولكنه طلب زجاجة أسباتس قبل القهـوة ، وأعطيت النصف فرنك الذى كان فى جيبى للفراش لاحضـار زجاجـة اسباتس «ساقعـة» من الدكـان المقابل للمجلة ، والغريب أنـه وضـع الزجاجة فى فمه ولم يعـدها إلا بعد أن أصبحت فارغـة كفؤاد أم مـوسى ، ثم تجشأ بصوت مسموع ، ثـم راح يرتشف من فنجـان القهوة بمـزاج وبشـوق شـديد ، ثم قـال بعـد أن انتهى من رشف القهوة، ولم ينس أن يدق بالعصى على الأرض قبل أن يقول :

— ودلوقتى إيه العمل ؟

وحاولت أن أبدو شجـاعا أمامه ، فى الوقت الذى كـانت فيه كل فرائصى ترتعد .

— الحكاية دى بسيطة قوى وهنشوف لها حل ، ثم مش دى المشكلة .

وقال الرجل الحصان وهو ينفخ من شدة الغيظ :

— أمال هى إيه المشكلة ؟

— المشكلة ياسيدى إن خبرة طويلة زيك لازم تتعاون معانا .

أعجبه المدخل فاستند بذقنه على رأس العصا وقال :

— إزاى ؟

قلت له وأنا أشرح له الصفقة :

— تزودنا بأخبار وطرائف وأحاديث وتبقى محرر فى المجلة .

قال وقد اقترب أكثر من المكتب الذى كنت أجلس عليه :

— وبكام ؟

قلت بدون تردد :

— بعشرة جنيه .

كان هذا هـو مرتب العبد لله فى ذلك الزمـان ، وكنت أعتقد أننى أغنى من عبـود بـاشا وأكثـر ثـراء ، من عثمان حيـدر أباد ، ولكن الـرجل الحصـان

انتفض فجأة واقفا رافعا العصا إلى أعلى مما جعلنى أرفع ذراعى فوق رأسى لأتلقى الضربة الأولى وبالطبع الضربة العاشرة أيضا ! ولكن الرجل الحصان لم يضرب ولكنه اكتفى بالكلام ـ قال صائحا :

أنا كنت باخد عشرة جنيه ، فى الوادى مع طه حسين لما كانت العشرة جنيه تشترى بيت ، كان أحسن فدان أرض فى المنوفية بعشرين جنيه ، يعنى كنت أقدر اشترى فدان كل شهر ، دلوقتى جاى تقول خد عشرة جنيه !

قلت له مستسلما :

ــ خليهم ١٥ و ... قاطعنى قائلا :

ــ خليهم ٢٠

ــ مافيش مانع .

وأمسكت بورقة بيضاء أجريت القلم عليها وحررت عقدا بين مدير التحرير سمير نيقولا والأستاذ حسن الشابورى المحرر الصحفى مقابل مكافأة شاملة قدرها عشرون جنيها شهريا لقاء تقديم أخبار وأحاديث وطرائف لمجلة الستار . ووقعت على العقد ووقع وهو الآخر وسلمت الصفحة للأستاذ الشابورى ، على أن يحضر بها فى الغد ليقدمها للإدارة لاعتمادها ، حيث إن اليوم أجازة ، وطوى الرجل الورقة ودسها فى جيبه وانصرف يدق الأرض بعصاه .

فى اليوم التالى وصل الأستاذ الشابورى فوجد صاحب المجلة فى مكتبه وأراد أن يقابله فمنعه السكرتير ، فراح يصرخ كالمجنون فسمحوا له بالدخول ، ولم يفهم الرجل صاحب الجريدة شيئا مما رواه الأستاذ الشابورى وتصور أنه مجنون ، فأمهله حتى يأتى أحد رؤساء التحرير ، فجلس الأستاذ الشابورى فى مكتب السكرتير حتى حضر الأستاذ ابراهيم الوردانى ، وكان ابراهيم الوردانى فنانا رقيقا ومسالما ، فما إن استمع إلى القصة حتى استغرق فى الضحك وقال للشابورى : ان الذى كتب معك العقد هو السعدنى وهو الذى نشر الخبر . وقام الرجل وثار وهدد بسحق رأس السعدنى وأكبر رأس فى المجلة إذا لزم الأمر ، ومن حسن الحظ ان الوردانى كان يعرف الرجل من قبل ، وكان يلتقى به فى مكاتب بعض الصحف وفى نادى الصحفيين قبل أن يتحول النادى إلى نقابة ، وكان الوردانى يعلم أن

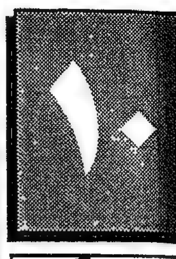
الرجل فرض نفسه على عدة صحف بالتهديد والتلويح باستخدام القوة ، وأنه كان يختار الصحف التى يصدرها شوام ولبنانيون ويونانيون وطلاينة وكان هؤلاء يضطرون إلى اسكاته مقابل خمسة جنيهات ، وتركه الوردانى فى مكتبه ودخل إلى شفيق مرشاق صاحب المجلة ، وأقنعه باستخدام الرجل مقابل مكافأة قدرها ١٠ جنيهات شهرية ، نظير سكوته وعدم رفع قضية على المجلة ، ووافق صاحب المجلة وانتهى الاشكال ، أقصد الاشكال مع المجلة وليس مع العبد لله ،

المهم أن الأستاذ الشابورى أوالرجل الحصان ، كان يحضر كل يوم إلى المجلة فى العاشرة صباحا ، يشرب الشاى والقهوة على حساب من يوجد من المحررين ثم ينصرف فى الثانية عشرة ظهرا . وكان العبد لله يذهب إلى المجلة من الواحدة ظهرا وحتى المغرب وأول مرة رآنى فيها مامون الشناوى بعد هذه الحادثة صاح فى وجهى :

— انت ما تخرجش أبدا من المجلة وما ترحش للمحامين تتصل بيهم ، اقعد على المكتب وفبرك قضايا وبس كفاية المصيبة اللى انت جبتها لنا . المهم اننى واظبت على المواعيد التى حددتها بنفسى .. أذهب إلى المجلة فى الواحدة ظهرا ، وأغادر فى السادسة مساء ، ولكن لأن الجرة ماتسلمش فى كل مرة فقد اخطأت فى الحساب وذهبت إلى المجلة فى الواحدة كالعادة ، ودخلت إلى المكتبة فوجدت صلاح حافظ هناك ، ورحت أمزح معه كالعادة ، ولكن لاحظت اضطرابا على وجه صلاح حافظ ، فنظرت خلفى فوجدت الرجل الحصان واقفا كالفيل ورائى ، وقبل أن يبدأ أى سلام أو كلام أطلقت ساقى للريح خارجا من المجلة فى سرعة الوعل ورشاقة الغزال وانطلق هو الآخر خلفى ولكن هيهات ،

كانت المجلة تشغل شقة فى عمارة بشارع دوبريه وسط القاهرة وهو من الشوارع المزدحمة خصوصا فى فترة الظهيرة فقفزت من الرصيف إلى الرصيف المقابل كأننى رامبو متفاديا عشرات السيارات التى كانت تمرق كالسهام على جانبى الشارع . ولشدة غيظ الأستاذ الشابورى، ولرغبته الشديدة فى الانتقام منى ، تعقبنى فى وسط الشارع ، ولكن لحسن الحظ

لطشته سيارة فألقت به على الأرض وكسرت ساقه ، ولكنى ذهبت إليه فى المستشفى فى صحبة صلاح حافظ وأخذت له علبة شوكلاته ، وكانت ساقه فى الجبس ومربوطة أعلى السرير ، وصالحت عمنا الشابورى ومنحنى عفوه ثم رضاه ، ولم يخرج من المستشفى إلا بعد ثلاثة شهور ، وكان يتوكأ على العصا التى كان يخيف بها الناس ، وبعد خروجه من المستشفى بشهرين أغلقت مجلة الستار أبوابها ، وانقطعت مكافأته منها ، وانقطعت أخباره عنى فلم تقع عينى عليه بعد ذلك فى أى مكان !







شكة الشوكة بذنب

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

وإلى مجلة التحرير انتقل العبد لله حيث كان أحمد قاسم جودة يعمل فى نفس الوقت رئيسا لتحرير الجمهورية مع ابراهيم نوار وجلال الحمامصى وحسين فهمى ، ولذلك عهد الى بمهمة ادارة تحرير مجلة التحرير والرجوع اليه اذا اقتضت الضرورة ذلك ، فى تلك الأثناء شهد العبد لله مولد العديد من الصحفيين الذين اشتهروا بعد ذلك ، اذكر منهم محمود المراغى والسيدة نجاح عمر ومفيد فوزى ، واكتشفت اثناء تجوالى فى حى الحسين جمعية تطلق على نفسها اسم «حتى شكة الشوكة بذنب» اتصلت برئيس الجمعية فى صباح اليوم التالى وطلبت منه أن يسمح لى باجراء حديث صحفى معه ورحب الرجل على الفور وحضر بنفسه الى المجلة بعد الظهر وأجريت معه الحديث ، ونشرته فى العدد التالى .

ولكن رئيس الجمعية احتج بشدة لأننى وصفت الجمعية بكلمات ساخرة ، ولأن الحديث كله كتب بلهجة ساخرة ، ووعدت رئيس الجمعية باجراء حديث آخر معه فى اليوم التالى لأكفر عن جريمتى فى الحديث السابق ووافق الرجل وحضر بالفعل وكنت قد طلبت من الفنان أبولمعة والفنان

بيجو يرحمه الله أن يحضرا الى الجريدة فى نفس الموعد ، واكتشفت ان رئيس الجمعية لايعرف أبو لمعة وبيجو ولم يسمع بهما من قبل !

وجرى الحوار بين رئيس الجمعية من جهة والخواجا بيجو وأبولمعة من جهة ثانية ، وشعر رئيس الجمعية بعد فترة اننا نحاول السخرية منه ومن الجمعية فتوقف عن الكلام فجأة ، وقال موجها حديثه للعبدالله :

● اذا كان فى نيتك السخرية منى أو من الجمعية فستصيبك مصيبة كبرى باذن الله .

قلت للشيخ رئيس الجمعية :

ـ وده معقول نسخر منك ياMولانا ..

● على العموم أنا قلت لك وأنت حر .. لو حاولت تسخر منى ح تجيلك مصيبة الأسبوع ده .

وطيبت خاطر رئيس الجمعية وانتهينا من اجراء الحديث ونشرناه فى العدد التالى بعنوان «رئيس حتى شكة الشوكة بذنب يقابل الخواجا بيجو وأبولمعة» وكان الحديث مسخرة بالطبع تجلت فيه مواهب الخواجا بيجو وأبولمعة فى فن الفرفشة والاضحاك .

وفى نفس العدد الذى ضم الحديث كتب العبدالله كلمة عن المرحوم فريد الأطرش تناولت فيه الدروز وجبل الدروز وعائلة الأطرش كلها ، وفى اليوم التالى لصدور عدد مجلة التحرير استدعانى فوزى عبد الحافظ لمقابلة القائمقام أنور السادات ، وتصورت ان حديث «حتى شكة الشوكة» مع الخواجة بيجو قد أعجبه وذهبت لمقابلة القائمقام أنور السادات وعندى أمل فى الحصول على مكافأة سخية أو علاوة مجزية يتحدث بذكرها الركبان والذين يمشون على الأقدام .

وعندما أصبحت أمام مكتب أنور السادات ألقيت عليه التحية ولكنه لم يرد التحية فقد كان منشغلا بقراءة بعض الأوراق وتركنى واقفا أمامه فترة قبل أن يلقى بالأوراق جانبا ثم أمسك بين أصابعه بالعدد الأخير من مجلة التحرير وقال بعصبية شديدة :

● ايه الكلام الفارغ اللى انت كاتبه ده ؟!

وتصورت ان الذى أغضبه هو الحديث مع رئيس «حتى شكة الشوكة بذنب» فقلت له :

ـ ده موضوع خفيف لأن العدد تقيل ..

● أنا بكلمك على موضوع فريد الأطراش .. أنت بتهاجم مطرب ، مالك ومال الدروز ..

حاولت الكلام ولكنه صرخ فى وجهى :

● انت موقوف ..

قلت له وأنا فى طريقى خارج مكتبه :

ـ طيب .

صرخ مرة أخرى بشدة وقال :

● انت مرفوت .

لم أنطق بحرف وغادرت مكتبه وسمعت وأنا أهبط على السلالم صوت الصاغ فوزى عبد الحافظ ينادينى فصعدت السلالم من جديد وقال لى الصاغ فوزى :

● القائمقام عاوزك .

وعندما هممت بالدخول منعنى الصاغ فوزى قائلا :

● خليك عندى هنا .

وجلست فى مكتب الصاغ فوزى قراية نصف الساعة قبل أن يخرج القائمقام أنور السادات فوقف فوزى ووقفت معه فنظر نحوى وهو فى طريقه مسرعا وقال :

● انت موقوف .

وقضيت ستة أشهر موقوفا عن العمل ممنوعا من دخول الجريدة ، ولكنى أصرف مرتبى كل شهر ويصلنى عدد المجلة كل اسبوع . وفجأة جاء كامل الشناوى رئيسا لتحرير الجمهورية مع أحمد قاسم جودة والحمامصى وحسين فهمى .

وفى أول اجتماع لهيئة التحرير بعد عودة كامل الشناوى قال كامل للقائمقام أنور السادات : كان فيه عندكم هنا شاب صحفى كان ممكن الواحد يعمل معاه شغل كثير لولا انه مات الى رحمه الله ، وتساءل القائمقام أنور السادات :

● مين الشاب اللى مات هنا ده ياكامل . وعندما ذكر له كامل الشناوى

اسمى ، قال السادات :

● ده عايش وزى القرد ، أنا وقفته عن العمل ، أصل لسانه طويل قوى .

وقال له كامل الشناوى :

ـ احنا نجيبه ونقطع لسانه .

قال القائمقام :

● تضمنه ياكامل بيه ؟

ـ أضمنه ..

وذهبت فى صباح اليوم التالى وقابلت كامل الشناوى وقضيت ساعات العمل كلها فى مكتبه ، وفى المساء بدأ ضيوف كامل الشناوى يتوافدون على دار الجريدة ، عبد الحليم حافظ وكمال الملاخ واحسان عبد القدوس وأحمد عطية الألفى، وخلال الحديث الممتع الذى جرى بين كامل وضيوفه دخل القائمقام أنور السادات مكتب كامل الشناوى وصافح الحاضرين جميعا وأنا منهم وسألنى فى ود شديد :

● ازيك يا محمود ؟

ـ الله يحفظك يافندى .

● ح تشتغل مع كامل بيه .. بس اياك تغلط تانى ح اقص لسانك ..

ثم قهقه عاليا وقضى بعض الوقت فى حجرة كامل الشناوى ثم اعتذر وانصرف .

واشتغلت مع كامل الشناوى خمس سنوات كاملة لم أخطىء فيها الاقليلا ، وقد أوفدنى فى رحلة الى الجزائر وكنا فى بداية عام ١٩٥٦ وذهبت الى مدريد لمقابلة السنيور «انخى» وهو الاسم الحركى لمندوب جبهة التحرير الجزائرية فى مدريد ، ولأن العبدلله غشيم حينذاك فى أسماء الفنادق وطبقاتها فقد نزلت من أوتوبيس المطار ليتلقفنى شيال أسبانى مدرب سحبنى وراءه الى فندق قريب ، كان الفندق غاية فى الأناقة والفخامة وعندما دخلت الحجرة وقبل أن أخلع ملابسى طرق مجهول الباب طرقات خفيفة وعندما فتحت رأيت رجلا مهيبا فى ثياب رسمية سوداء وكأنه على وشك الذهاب الى حفلة ساهرة وكان يجر أمامه عربة محملة بأنواع كثيرة من الفواكه وباقة ورد صغيرة ،وتصورت انه محافظ مدريد قادم لتحيتى

باعتبارى أحد المستثمرين الكبار فقد كان فى جيبى مائة وعشرون جنيها وهناك مبلغ مائتى جنيه فى الطريق الى العبد لله عن طريق البنك !

ولكن المحافظ ترك العربة فى الحجرة وانصرف فى هدوء وبعد أن حلقت ذقنى وأخذت حماما وارتديت البدلة كاملة والكرافت السولكا التى كان يرتديها الملك فاروق يوما ما ، وهى ليست نكتة ولكنها حقيقة ، فقد كلفنى المرحوم كامل الشناوى بصياغة مذكرات كريم ثابت باشا المستشار الصحفى للملك فاروق بعد أن اعتذر عن عدم كتابتها هو شخصيا بسبب مرض شديد فى ذراعه يعوقه عن الكتابة .. وهى حركة ذكية من كريم ثابت فقد كنا فى بداية الثورة وكان أغلب رجال العهد البائد يأملون فى عودة الملك مرة أخرى ، وأعتقد ان كريم ثابت من بين هؤلاء ولذلك قبل أن ينشر مذكراته على أن يصوغها أحد آخر بقلمه حتى اذا حدث ما لا تحمد عقباه وعاد الملك فاروق الى عرشه مرة أخرى يكون كريم ثابت فى مأمن من الانتقام فهو لم يكتب ولكنه أجبر على الكتابة ، والدليل ان المذكرات مكتوبة بأسلوب وبخط يد صحفى آخر . المهم أننى بعد أن انتهيت من كتابة المذكرات والتى قضيت من أجل كتابتها ٣٠ ساعة كاملة مع كريم ثابت باشا على مدى خمسة عشر يوما ، جاءنى الباشا فى آخر لقاء وقال لى :

● مذكراتك رائعة .

قاطعته قائلا :

ـ ولكنها مذكراتك يا باشا ..

● طبعا .. طبعا .. بس ده اسلوبك مش اسلوبى أنا ، ولو أنا كتبتها ما كنتش كتبتها أحسن من كده ..

وشكرت الباشا على إطرائه للعبد لله وحاولت الانصراف ولكنه قال لى :

● عاوز أقدم لك هدية .. لكن ظروفى لم تعد تسمح .. فأنا تحت الحراسة ، ويصرفون لى مائة جنيه كل شهر .

فقلت له ضاحكا :

ـ اذن أنا اللى يجب أديلك هدية ..

قال الباشا مداعبا :

● سيبك من البكش ده .. أنا ح أديلك هدية وهى هدية ثمينة لأنها بتحمل ذكرى معينة ..

ثم راح الباشا يحكى قصة الهدية :

● استدعانى الملك فى أحد الأيام وتأخرت عليه بعض الوقت وعندما ذهبت اليه فى القصر سألنى عن سبب تأخرى فقلت له لاتؤاخذنى ياجلالة الملك فاليوم هو عيد ميلادى فاستبقانى على الغداء ثم سحبنى من يدى الى دولاب كرافتاته وقال هذه دستة كرافتات سولكا هديتى لك وصمت الباشا فترة ثم قال :

● هذه الكرافتات أنا أهديت منها ستا لأحد أصدقائى واستعملت اثنتين منها ولم يبق الا اربع هى هديتى لك ..

حاولت التملص منه لكنه أصر .. فأخذت الكرافتات وذهبت الى كامل الشناوى وأخبرته بما جرى .. وكان كامل الشناوى يهوى الكرافتات ويعتبر من الخبراء فى أنواعها وألوانها .. واختبر الكرافتات التى معى ونظر للعبد لله وقال :

● أنا مستعد أفكها لك ..

سألته عن فك الكرافتات وكيف يكون .. فقال :

● الأربعة دول بـ ١٢ كرافتة اراجانس .. ايه رأيك ؟

قلت للمرحوم كامل الشناوى :

- خلاص هى هدية لك .

ولكن كامل الشناوى رفض وقال :

- أنا ح آخذ اتنين واسيبلك اتنين وحديلك ٦ كرافتات ارجانس ..

وعندما حاولت مناقشته طلب منى مغادرة الغرفة لأنه مشغول بكتابة مقاله اليومى ، وبالفعل أخذ كامل الشناوى كرافتتين وجاءنى فى اليوم التالى بنصف دستة كرافتات «ارجانس» وقد ارتديت احدى كرافتات الملك فى يوم زواجى وأعطيت الأخرى الى محمد مبدى المحامى ، فقد تزوجنا معا

فى يـوم واحد مـن شقيقتين فى مدينـة الاسماعيليـة ، وظلت هـذه الكرافتـة اليتيمة فى حوزتى حتى تحولت الى شىء أشبـه بفردة الشراب ولقيت كرافتة الملك نهاية أليمة كما حدث لصاحبها فيما بعد !

على العموم كان حديثنا عن الفندق الفخيم فى قلب مدريد عندما ارتديت مـلابس كاملـة ونزلت الى بهو الفنـدق ودخلت الى بار وجلست على كـرسى عـال ثم رحت اتلفت حـولى وهـالنى أن أجـد بين الحضـور صـديقـا من أصدقـائى الحميمين ، هذا الرجل الجالس فى بـار الفندق أنـا أعرفه معـرفة وثيقة ، وأنـا بالتأكيد تعـرفت اليه مع زكـريا الحجاوى أو كـامل الشناوى أوالشيخ عبد الحميد قطامش ، ولكنه يبـدو الآن أكثر شيبا وأكثر ارهاقا من ذى قبل ، ولكن أين رأيته وأين جلست معـه وما اسمه ؟ كل هذه المعلـومات ضاعت من ذاكرتى للأسف الشديد ،

لجأت الى طريقـة سخيفة لعلـه يتذكـرنى ، كنت أنظر اليـه فاذا تـلاقت نظراته بنظراتى فتحت فمى عن ابتسامة عريضة ولكنه بعد مرتين أو ثلاث مـرات بدأ يتحـاشى النظر نحـوى ، وأغلب الظن انـه اعتقد اننى مجنـون خارج لتوى من مستشفى الخانكة ، ولذلك أعطانى ظهره عملا با لمثل القائل «الباب اللى يجيلك منه الريح سده واستريح» فكرت فى طريقة أخرى لأنعش ذاكـراته ولكنى خشيـت أن يسىء الظن بى فيستدعـى البوليس أو يغـادر الفندق كله ، جلست على البار أدعك فى جبهتى دعكـا شديدا أحاول أن أعود بذاكـرتى الى الوراء وأفتش عن زوايـا الماضى فى محاولة للكشف عن هـوية صـديقى الذى التقيتـه بالتأكيـد أكثـر من ٢٠ مرة ، وعشت معـه ساعـات طـويلة ، ولاحظ البـارمـان ان العبد لله سـارح بعيـدا أو مشغول ومهمـوم فسألنى اذا كان هنـاك شىء يقلقنى أو أعانى من مرض مفـاجىء فنفيت له أن يكون بى شىء من هـذا ، وحكيت له حكـايتى مع صديقى الذى أعـرفه حق المعـرفة ولكنى لا أتـذكـر أين ومتى كيف رأيتـه أو تعرفت إليـه وحتى اسمـه نسيتـه .. فسألنى أين هـذا الصـديق الآن ؟ .. أجبتـه بأنـه يجلس بجوارى وعلى مقربة منى ، وأشرت له على الصـديق الذى حيرنى أمره ونظر الرجل الى حيث أشرت ثم قهقه عاليا وقال فى دهشة شديدة :

● ألا تعرفه ؟

سألته مندهشا أنا الآخر :

ـ وهل تعرفه أنت ؟

قال بلهجة ساخرة :

● طبعا أعرفه .. والعالم كله يعرفه ..

قلت :

ـ ومن هو ؟

قال :

● انه تايرون باور.

هتفت مشدوها .. تايرون باور . ياقوة الله انه صديقى بالفعل عرفته فى سينما مترو ، جلست معه ساعات فى «دماء ورمال» وأعجبت به أيما اعجاب فى «حفر قناة السويس» وقضيت معه ساعات طويلة فى أفلام أخرى تألق فيها تايرون باور ، لقد اختلطت الحقيقة بالخيال وصارت الصورة صديقا للعبدلله وهى مسألة تثبت تأثير السينما الأمريكية على الناس فى كل مكان .. والعبدلله من جيل أدمن السينما الأمريكية فى عهد سينما «ستراند» حيث كانت تعرض ثلاثة أفلام بثلاثة قروش فى السهرة ، ولم تكن سينما «ستراند» من دور السينما الهلس التى كانت تعرض «مغامرات شاران» و«الشبح يقابل الرجل الذئب» و «مغامرات شيتا» ولكنها كانت تعرض أفلاما من نوع آخر وقدمت لجيلنا أفلاما من نوع «ذهب مع الريح» و «لمن تدق الأجراس» و «أفضل أيام حياتنا» و «صرخة المدينة» وقدمت لنا أبطالا من طراز كلارك جيبل وروبرت تايلور وادوارد جى روبرسون وولس بيرى وايميل جاننج وتايرون باور وجارى كوبر .. وقدمت لنا بطلات من نوع هيدى لامار وجريتا جاربو وانجريد برجمان وبربارا ستانويل وبيتى ديفيز .. ولكن سينما «ستراند» التى علمتنا وألهمتنا كانت السبب فى حادث غير سعيد للعبدلله كدت أذهب بسببه فى ستين داهية وأضيع فى الكازوزة لولا كامل الشناوى الذى تدخل فى الوقت المناسب لانقاذ العبدلله .

١١





تولوستوى فى استراند

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

كـان معنـا فى الجريـدة زميل صحفى هـو الاستاذ «سامى الرافعى» وكان مندوب الجريدة فى مجلس الوزراء . وكان عبد الناصر هو رئيس المجلس فى ذلك الوقت .

وحدث ذات مساء ان حضر الى دار الجريدة متأخرا ودخل مكتب كامل الشناوى الذى سأله عن سبب تأخيره ، فأجاب الرافعى بأنه كان فى السينما لمشاهده فيلم «الحب والسلام» ثم اضاف : بيقـولوا المؤلف بتـاع الفيلم راجل روسى كبير !! كـان «سـامى الـرافعى» يقصـد فيلم الحرب والسـلام،وكان الروسى الكبير الذى يقصده هـو الكاتب العالمى تولوستوى .

ولكن زميلنـا الرافعى كـانت كل اهتمامـاته منحصرة فيما يـدور داخل مجلس الوزراء .

والتقط العبدلله الخيط وقـررت تدبير ملعوب بقصد الضحك والفـرفشة ليس الا ، فقلت للـزميل الـرافعى .. طب ليـه مـاعملتش حـديث مع المؤلف الـروسى الكبير ده ؟ ورد الـزميل قـائلا .. وأنـا راح ألاقيـه فين ؟ ثم أردف قائلا .. لكن هوه بيشتغل ايه بالضبط ؟ وقلت على الفور .. دا وزير التموين فى روسيا . وعقب كـامل الشناوى .. دا كـان زمان الكـلام ده ، دلوقت بقى وزير الانتـاج الحربى !! وصاح الزميل الـرافعى .. ياريت أقـدر أعمل معاه

حديث ، بس هلاقيه فين ؟ قلت على الفور .. هو هنا فى مصر وفى زيارة سرية، لكن انـا شفتـه الليلادى فى سينما سترانـد ، لانها بتعـرض فيلم تـانى من تأليفه اسمه «أنـا كارنينا» واضاف كامل الشناوى .. هوه مـاحدش قالك ؟ وهز الرافعى رأسه بالنفى ..

وتدخلت مرة اخرى فى الحديث فقلت للرافعى .. على العموم هوه هيقابل عبد النـاصر بعد بكـرة .. والاخبار والاهـرام عملوا احـاديث وهـاتنشر يوم المقابلـة . هنا أصيب الأخ الرافعى بلوثـة ، فقد كان يثور الى حـد الجنون اذا سبقه زميل آخر الى خبر او حـديث ، ونـهض الرافعى وخرج من غـرفة كامل الشنـاوى ثم عاد بعـد قليل وسألنى .. طيب هـوه فين دلوقت ؟ فقلت لـه .. هـوه فى لـوكـانـدة بعيدة ، واعتقـد انـه فى «مينـا هـاوس» امسك الـرافعى بالتليفون بعد استئذان كامل الشناوى ادار القرص طالبا الفندق، ثم التفت نحو العبد لله وقال .. اسمه ايه ؟ قلت .. تولوستوى ..

بعـد لحظات قـال الرافعى من خـلال سماعة التليفـون .. ادينى مستر تولوستـوى ، لا انا ماعرفش رقم الغـرفة لكن هوه نازل عنـدكو . بعد فترة صمت طويلـة جاء الجواب بأنه لايـوجد أحـد بهذا الاسـم فى الفندق . وضع الرافعى السماعة ونظر نحـو العبدلله نظرة تحمل بعض الشك وتحمل كثيرا من الاستعطاف ،وقـال اذا كنت عارف مكـانه قـوللى ، نصحت الأخ الرافعى بالاتصـال بأحد فى المخابـرات العامة لمعـرفة مكانـه . لزم الصمت فترة ثم أدار قرص التليفـون واجرى اتصـالا مع أحد الاشخـاص ، وراح يعتذر فى البدايـة عن اتصالـه فى هذا الـوقت المتأخـر ، ثم قال للمتحـدث .. أنا اصلى مكلف من كامل الشناوى باجراء هذا الحديث ، وانا ما أقدرش أخالف اوامر كامل بيه .

ويبدو ان الشخـص الذى اتصل بـه أخونا الـرافعى كان يحتـل منصبا رفيعا فى المخـابرات ومن النوع الـذى ينام مبكـرا ، ويبدو ـ والله اعلم ـ انه وبخ الرافعى بكلمتين قبل ان يغلق السكة ، وجلس الـرافعى يدعك فى جبهته وفى رأسه ، وبـدأ العرق يتصبب من جبينه ثم قال لكـامل الشناوى قبل ان ينهض من مكانه استعدادا لـلانصراف : أنا مش هاسكت الا لما اعمل حديث مع الراجل ده وان شاء بكرة الحديث هايكون على مكتب سعادتك .

فى مسـاء اليـوم التـالى كـان زميلنـا الـرافعـى يقف اسفل سلم مجلس الوزراء عندما خرج جمال عبد الناصر من مكتبه والتف حـوله الصحفيون يسألـونه عن نتـائج لقائه مـع أحد المسئـولين البريطانيين ، ووصف عبـد الناصر المقابلة بأنها كانت ودية وايجابية ، ثم راح ينزل السلم فى طريقه الى الخارج ، عندما فوجىء بزميلنا الرافعى امامه ، وضحك عبد الناصر ضحكة صافية وقال له .. كده يضحكوا عليك يا رافعى .. انت موش عارف ياراقعى ان تولوستـوى مات قبل احنا مانتولد ، وصرخ الـرافعى قائلا : دا السعدنى ياريس الله يخرب بيته ، هو اللى ضحك علىَّ وقاللى ان الراجل دا هنا .

انصرف عبـد النـاصر من مجلس الـوزراء ، وجلس الـرافعى مع بعض المسئـولين فى مجلس الـوزراء وكـان من بينهم بـالطبع ضبـاط مخابـرات وضبـاط أمن ، وراح الرافعى يبرر لهم فعلتـه ، ووصف العبـدلله بانه بتـاع مقـالب ، وانـه بيفـول على الـريس ، وصـدام بيقـول ان الـريس هـايقـابل تولوستوى يبقى قصده ان الريس هايموت ! قبل وصول الرافعى الى مكتب كـامل الشناوى فى المسـاء كـانت الاخبار قـد وصلتنـا عن طريق منـدوبى الصحف الاخـرى ، فما إن دخل مكتب كامل الشنـاوى حتى بادره قـائلا .. الاخبار ايـه يا رافعى ، الريس قـالك ايه ؟ ورد الرافعى على الفـور على فكرة ياكامل بيـه الحكاية دى مش هاتفوت على خير ، الجماعة هنـاك زعلوا قوى وقالوا ان السعدنى بيفول على سيادة الـريس . وقال له كامل الشناوى على الفـور .. هم اللى قالـوا والا انت اللى قلت ؟ وضربت لخمة مع الأخ الـرافعى فراح يقول كـلاما بلا معنى ، وبعد فترة قصيرة غـادر المكتب ، ولكنه توقف قليـلا عند البـاب ونظر للعبـدلله وقال : على العمـوم اللى انت عملته فيـه ده هايتردلك ، قالها بلهجة تهديدية مسـددا نحوى نظرة ملتهبة ، وكأنه يشفع انذاره الشفوى بحركات عملية .

بعد انصرافه لعب الفار فى عب العبدلله ، فقلت لكامل الشناوى .. ياكامل بيه انت شـاهد ، احنا كنا بنهـزر ، يظهر انها هاتتقلب جـد . وسألنى كامل الشناوى وهو يشعل سيجارة .. وانت خـايف من ايه ؟ فقلت له .. انت مش سـامعه وهـوه بيقـول انى بافـول على الـريس ، وقـال كامل بيـه بهدوء .. مايقـول على كيفه وهـو الرافعى كـان مستشـار الأمن القومى ، قلـت لكامل

الشناوى انا خايف واحد من الجماعة اللى بيقعد معاهم يصدقه .. وبدت على وجه كامل الشناوى معالم الدهشة وقال انت خايف حقيقى ، غريبة دى ، انا ماكنتش فاهم انك ساذج للدرجة دى ، ثم قال .. هو انت فاهم فيه حد أهبل تانى زى الرافعى ، ثم الريس ضحك ، يبقى عجبته النكتة ، فهمت بقى والا ما فهمتش . ولما ظهر على وجهى اننى لم أفهم ، ناولنى عدة اوراق وقال لى .. اتفضل قوم روح مكتبك وشوفلى الموضوع ده وقوللى رأيك فيه .

وبالرغم من تأكيدات كامل الشناوى للعبدالله بأن كل شىء سيكون على مايرام ، فقد قضيت فترة من الزمن اتوقع حدوث مالا تحمد عقباه ، وظل الأخ الرافعى على علاقة سيئة بالعبدالله لم تسوالابعد فصلى من جريدة الجمهورية بعد ذلك بسنوات .

وقصة الفصل نفسها تستحق ان تروى . وكنت قد حملت رسالة من عبد القادر اسماعيل وعامر عبدالله والدكتور صفاء وآخرين من قادة الحزب الشيوعى العراقى ، الذين كانوا يقيمون فى دمشق فى ذلك الزمان ، وقد حملونى الرسالة لتوصيلها الى جمال عبد الناصر ، ولان العبد الله لم يكن له علاقة بعبد الناصر من اى نوع ، فقد سلمت الرسالة الى المرحوم انور السادات باعتباره رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية ، وبالفعل استدعى أحد افراد الحرس الجمهورى بالتليفون وسلمه الرسالة ، ثم جلس معى بعض الوقت يستمع الى تفاصيل الأحوال فى دمشق ، ثم طلب منى ان اكون مستعدا للقيام بمسؤليات جديدة فى الجريدة الى جانب عملى .. ولما استفسرت منه عن السبب . قال .. هاتفهم بعدين . وكان المرحوم انور السادات يعتبر العبدالله واحدا من رجالته . فى الجريدة بسبب موقف لم أتعمده . وأصل الحكاية اننا فوجئنا ذات يوم بمجىء الضابط أمين شاكر ، وهو من الضباط الاحرار ، واصبح له مكتب ضخم فى الجريدة أضخم من مكتب كامل الشناوى ، ثم راح يكتب مقالات وينشرها فى الجريدة ، ثم استدعانى الى مكتبه ذات مساء وكلفنى بالسفر الى تونس ، وتغطية الأحداث التى اعقبت خلع الباى وتولى بورقيبة رئاسة الجمهورية .

وبالفعل ذهبت الى سفارة تونس للحصول على تأشيرة الدخول ، وهناك التقيت بمحض الصدفة بالصاغ فوزى عبد الحافظ سكرتير انور السادات ،

الذى سألنى عن سبب وجودى بالسفارة ، فأبلغته بما كلفنى به أمين شاكر ثم انصرف دون ان يعلق على الموضوع بشىء .

وفى بيتى تلقيت مكالمة تليفونية من الصاغ فوزى ، ابلغنى فيها رسالة فى عدة كلمات .. البكباشى بيقولك ماتسافرش الا اذا جالك أمر منه هوه شخصيا .

بعد مكالمة الصاغ فوزى عبد الحافظ بساعات استدعانى امين شاكر وسألنى عن موعد السفر ، فاعتذرت عن عدم السفر . ولما سأل عن السبب ، ابلغته بما دار بينى وبين فوزى عبد الحافظ فعقب قائلا .. انور السادات ساب الجورنال خلاص وانا المسئول هنا . قلت له .. ولكن اسم أنور السادات لايزال يحتل صدر الصحيفة كرئيس لمجلس الادارة ، فسألنى فى غيظ .. انت بتشتغل عند انور السادات والا فى الجريدة ؟ قلت له ساخرا .. الحقيقة أنا ما بقيتش عارف الفرق ، قال .. اذن هتسافر بكرة ، قلت له فى هدوء .. سأسافر باذن الله اذا اخذت امرا من انور السادات ، تجاهل أمين شاكر الموضوع على غير عادته ، لانه كان شرسا فى تعامله مع المحررين . ثم راح يتحدث فى موضاعات اخرى خاصة بالجريدة ، وعندما استأذنت منه فى الانصراف ، سمح لى دون الرجوع الى موضوع تونس .

وفوجئت بعد يومين من هذه الواقعة بالصاغ فوزى عبد الحافظ يطلبنى فى التليفون ويقول لى بالحرف الواحد .. تقدر تسافر دلوقت . سألته .. البكباشى اللى أمر ؟ قال .. طبعا ، هو اللى أمر قلت له .. خلاص ، على بركة الله .. وفى مساء اليوم التالى جلست مع امين شاكر استمع الى تعليماته بشأن الرحلة ، وقال لى قبل ان انصرف .. مش عاوزك تغيب اكثر من عشرة ايام ، قلت له .. قول اسبوعين .. قال لى .. هم عشرة ايام مافيش غيرهم .. ان ما جتش بعد عشرة ايام .. هاشنقك فى ميدان التحرير . حاولت عبثا افهامه ان المدة لاتكفى ، فالرحلة الى تونس عن طريق روما ، لان الملك السنوسى وقتئذ كان يمنع عبور المصريين من اجواء ليبيا او عبر مطار طرابلس . ولكن امين شاكر أصر . فودعته وانصرفت . واضطررت الى تعديل مسار الرحلة ، وسافرت عن طريق ليبيا ترانزيت ، وسرحت فى تونس مع الرئيس بورقيبة حتى مدينة الكاف على الحدود الجزائرية ، وقضيت معه اياما فى جزيرة مالطة ، التى قضى فيها بعض الوقت ضيفا بأمر سلطات الاحتلال

الفرنسية ، ثم ذهبت الى روما وتبحبحت فيها عدة ايام ، وعدت الى مصر بعد شهر وفى جعبتى عدة سيناريوهات لتبرير غيابى الطويل امام امين شاكر. وفوجئت عند وصولى الى مكتبه بالدور الثالث بأنه لا أثر لأمين شاكر فى المبنى ، فقد انتقل الى موقع آخر !

ونحدثت مع زملائى عن واقعة فصلى من جريدة الجمهورية ، وكيف اتخذوا هذا الاجراء ضدى مع اننى لم أقصر فى عملى ، بالاضافة الى الحفاوة التى استقبلنى بها انور السادات بعد عودتى من تونس كانت تؤكد اننى أحد الرجال الذين يعتمد عليهم ، وكيف أبلغنى موظف الحسابات بنبأ فصلى ، وما الذى فعله عبد الرحمن الخميسى لوقف هذا القرار .

١٢





القبض على المرتب

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

وأصـل الحكاية أننى ليلة القبض على المرتب ـ مع الاعتذار للست فاطمة ـ اخذت دشا وحلقت ذقنى ولبست الحتـة الـزفـرة ، فقـد كـان فى تخطيطى ان اذهب بعد انتهاء العمل الى كازينو الكوبرى او كازينو بديعة ـ مكان فندق شيراتون الآن ـ وكنت على موعد مع الفنان طوغان وبعض الـزملاء لقضاء سهـرة طيبـة فى مـركب المعلم دقـدق ، وهى سهـرة تنتهى غـالبـا فى الصبـاح ، وغالبا كنا نتناول طعام الإفطار فى المركب قبل أن نتفـرق كل الى منـزلـه . وكـان من عـادتى قطع الطـريق الى المنـزل مشيـا على الاقـدام ، بسبب اصرار الفنان الكبير رخا على قطع الطريق مشيا على أساس انه رياضة وصحة .

وكان شارع النيل المتجه الى الجيزة تتناثر على شاطئيه القصور الفخمة التى تسكنها بعثـات دبلوماسيـة او بشوات من يتـورع زمان ، وكنت أجمع ثمار المانجو السـاقطة على الارض بعد ان طـابت ، ثم نجلس فترة على قهوة محمـد عبـد الله نلتهم فيهـا حبـات المانجـو ، ثم نحبس بشـاى منعنع ، ثم يستقل الفنـان رخا سيـارة اجرة تـوصله الى منـزله فى الهرم . وليلـة قبض المرتب بالذات كانت مناسبة خاصة للغاية . أولا لأن فيها قبضا ، وثانيا لأن

الفنان شكوكو كان على موعد معنا فى تلك الليلة ليرافقنا فى النزهة البحرية .. المهم اننى وصلت الى دار الجريدة فى السابعة مساء ، واتجهت مباشرة الى الخزانة ، وما إن وقع بصر الموظف على العبد لله حتى جاء متهللا سعيدا مرحبا على غير العادة ، ثم قال وفمه مفشوخ عن ابتسامة بلا معنى :

— عندى جواب لك ياأستاذ .

رقص قلبي من شدة الفرحة ، فخطاب اتسلمه من أمين الخزانة معناه علاوة جديدة او مكافأة مجزية ، ولابد ان الادارة لديها علم بما عرضه رئيس التحرير على العبد لله من مهام جليلة . تسلمت الخطاب واحتضنته برفق وفتحته باحترام ورحت اقرأ ولم اصدق عينى فى البداية ، الاستاذ فلان — الذى هو أنا — نظرا للتغييرات التى رأينا ادخالها على الجريدة فى المرحلة القادمة ، قررنا الاستغناء عن خدماتكم ، مع تقديرنا للجهد الكبير الذى بذلتموه فى المرحلة السابقة ، مع العلم بأن جميع حقوقكم محفوظة ، وسيتم صرف مستحقاتكم بالكامل خلال ايام ، آملين ان تسنح الفرصة للتعاون معكم فى المستقبل .

كان أمين الخزانة مايزال واقفا امامى ، وعندما تأكد اننى قرأت الخطاب. واستوعبت ما فيه ، راح يعتذر وينفى عدم علمه بما فيه ، ثم قال :

— لكن دا مش انت لوحدك ، دول سلمولى ييجى ستين جواب من ده .

أرعشت حاجبى من شدة الدهشة وسألته :

ـ مين .. مين تانى ؟

فالتقط الموظف رزمة الخطابات وراح يقرأ الأسماء المدونة فوق المظاريف .. بيرم التونسى ، نعمان عاشور ، الفريد فرج ، فلان وفلان وفلان ، ثم عبد الرحمن الخميسى . قفزت كبهلوان مدرب عند سماعى لاسم الخميسى . الخميسى مفصول ، ياقوة الله إذن سأجد رفيقا طيبا عزيزا فى رحلة الصياعة . امسكت بسماعة التليفون وادرت القرص طالبا عبد الرحمن الخميسى فى البيت . جاءنى صوته المميز .. الوووه ، سألنى عن المكان الذى أوجد فيه ، وعندما عرف اننى فى مكتب موظف الخزانة لقبض المرتب ، عاد يسألنى :

ـ فيه فلوس ؟

قلت له متخابثا :

ـ دا فلوس ومكافآت وعلاوات ، حاجة تفرح !
قال :
ـ طيب انا هالبس وهاجيلك ..! استنانى فى مكتب كامل بيه لحد ماأجيلك.
اعتذرت للخميسى عن عدم استطاعتى انتظاره فى أى مكان بالجريدة .
وعندما استفسر عن السبب ، أجبته :
— لأنهم فصلونى .
ضحك عبدالرحمن الخميسى ضحكة قصيرة وقال :
— يا ابنى بطل اللغو بتاعك ده .
شرحت له ان المسألة لالغو فيها ، وأننى فصلت بالفعل وخطاب الفصل فى يدى ، واننى سأغادر الآن إلى الجيزة . قاطعنى الخميسى قائلا :
— ما تتحركش من عندك .. أنا جايلك على طول .. ويعدين ثق يا ابنى ان فيه غلطة حصلت .. مش ممكن يرفدوا واحد زيك من جريدة مقبلة على مرحلة جديدة .. خليك عندك .. أنا جاى اتصل بالقائمقام أنور السادات، إذا ما عملش حاجة أنا هاتصل بالرئيس جمال عبدالناصر !!
كان أنور السادات قد ترك العمل فى جريدة الجمهورية وأصبح رئيسا لمجلس الأمة ، وكان رئيس مجلس الادارة الجديد اسمه عبدالرءوف نافع ، وهو ضابط بحرى ، ولم أكن قد التقيت بعبدالرؤوف نافع أو شاهدته فى أى مكان ، وجلست فى مكتب أمين الخزانة انتظر مجيء عبدالرحمن الخميسى ، حليقا معطرا كعادته ، واقتحم المكتب هاشا باشا وصافحنى بحرارة ، وفعل نفس الشيء مع كل الموجودين ثم قال لأمين الخزانة :
— مين الحمار اللى رفد السعدنى ؟
ورد الرجل :
— والله .. علمى علمك يا أستاذ .
— هات المرتب لما أروح أشوف إيه الحكاية .
التقط الموظف مظروفا من درج مكتبه وقال للخميسى :
— فيه جواب لسيادتك أقرأه الأول إذا سمحت .
مزق عبدالرحمن الخميسى الغلاف وراح يلتهم بعينيه سطور الخطاب ، نفس الصيغة ونفس الكلمات . شحب وجه الخميسى وهو يقرأ الخطاب ثم صرخ فى وجه الموظف قائلا :
— دى قلة حيا .. دا احنا لو بنشتغل عند بديعة ما تعملش فينا كدة ،

وعلى العموم بركة ياجامع اللى جت منكم ماجتش منا . ثم مد يده نحو الموظف وقال له :

— اديني المرتب خليني أمشي بعيد عن الجو الخبيث ده .

ضرب الخميسي المرتب فى جيبه وسحبني من يدى ونزل على السلالم وثبا . عندما وصلنا إلى الدور الثاني طلبت من الخميسي ان نذهب إلى كامل الشناوى لنحيطه علما بما حدث ، ولكن الخميسي جرنى بعنف إلى السلم قائلا بلهجة غاضبة :

— اتفضل معايا نروح للشعب .

كانت هناك جريدة تدعى الشعب تصدر من شارع قصر العينى فى نفس المكان الذى كانت تصدر منه جريدة المصرى من قبل . وانتابتنى فرحة شديدة عندما سمعت اسم الشعب ، فهى جريدة حديثة ولاتعانى من الأمراض المزمنة التى تعانى منها جريدة الجمهورية ، ولابد ان يكون للخميسى صلات واسعة بالمسئولين بالجريدة والمشرفين عليها . وربك كبير ، يقطع من هنا ويوصل من هنا ، ولا بأس من استئناف العمل فى جو جديد وبين زملاء جدد . وركبنا أول تاكسى صادفنا فى الطريق وقال له الخميسى :

— اطلع بينا يا أسطى على ميدان التحرير وعندما أصبحنا فى ميدان التحرير ، التفت السائق خلفه ونظر للخميسى ليدله على الطريق الذى يسلكه . وقال الخميسى للسائق :

— خش يمين .

ولما لم يكن على اليمين أى شىء إلا كوبرى قصر النيل وكازينو بديعة فقد تداركت الأمر بسرعة وقلت للسائق :

— اطلع على طول ياعم ، على قصر العينى ، وصرخ الخميسى فى وجهى محتدا وقال :

ـ شارع قصر العينى نهبب فيه ايه؟

وقلت للخميسى بهدوء :

— انت مش رايح الشعب ؟

هز رأسه بالموافقة ، فقلت له :

ـ ما هى جريدة الشعب فى شارع قصر العينى .

ازداد هياج الخميسى وقال :
ـ انا مش رايح لجريدة الشعب يابنى انا رايح للشعب المصرى .
قلت للخميسى وانا افتح باب التاكسى :
ـ روح انت للشعب المصرى على كيفك ، لكن انا هاروح جريدة الشعب ، وتركت التاكسى واختفيت فى زحام ميدان التحرير . ولم اذهب الى جريدة الشعب ، ولم اذهب مثل الخميسى الى الشعب المصرى ، ولكنى ذهبت الى قهوة محمد عبدالله وحكيت ماجرى بالتفصيل للمرحوم أنور المعداوى ، الذى هز رأسه كعادته هزات بطيئة متعاقبة وقال وهو يضغط على الكلمات بشدة :
ـ قلتلك ميت مرة يامحمود هذا هو مصير من يتعامل مع الناس دى ، وانت ماصدقتنيش ، إياك بقى تتعلم من الدرس ده .
كان أنور المعداوى يشعر بمرارة شديدة ويقاطع كل شىء فى مصر . فقد تم نقله من المكتب الفنى بوزارة المعارف الى مدرسة السلحدار الابتدائية ، مع أنه كان واحدا من اعظم نقاد مصر وأشهرهم على الاطلاق ورفض أنور المعداوى وظيفته الجديدة وقدم استقالته فقبلت على الفور . ومنحوه معاشا صغيرا لايكفى لتدبير حاجاته الضرورية ، ولكن الكاتب الاسلامى الفارس محمود شعبان تطوع مشكورا بمنح انور المعداوى مرتبه كاملا اول كل شهر . ولكن أنور المعداوى الشامخ النافش كالطاووس لم يطق صبرا على هذا الوضع ، فسرعان ما تناوشته الأمراض من كل نوع ولم يعش طويلا فمات قبل أن يبلغ الخمسين من العمر .
المهم اننى عدت الى شلة الجيزة القديمة ، عدت من جديد الى العم زكريا الحجاوى والشيخ عبد الحميد قطامش ، وأنور فتح الله ومحمود شعبان ، واشتريت بجزء من المكافأة سيارة اوستن صغيرة قديمة دفعت فيها ١٢٠ جنيها ، وفرح بها زكريا الحجاوى وسماها المطية ، وبهذه المطية عدنا الى رحلاتنا القديمة فى ريف مصر . لم أشعر بضيق او بقلق بسبب البطالة وقلة الموارد ، وكانت ثقتى فى الفرج بلاحدود وبلانهاية ، ولكنى سألت الله ان يؤجل الفرج بعض الوقت حتى أتمكن من الاستمتاع بالعالم الجديد الذى فتحه زكريا الحجاوى أمامى ، مهرجانات فن شعبى وافراح ريفية وسهرات ليلية على مصاطب الفلاحين . وحدث ذات فجرية ونحن فى طريقنا الى

الجيزة قادمين من قرية العزيـزية أننى فوجئت بجذع شجرة يقطع الطريق على السيـارة ، ونـزلت أنـا وزكريـا من السيـارة ، بينما بقى عبـد الحميد قطامش وأنور المعداوى بداخلها لايدريان ما الامر واذا بحركة غير عادية فى الحقل المجاور ، واذا باعواد الذرة تنشق عن شبح ملثم ، واذا بصوت اجش يخرج من تحت اللثام يسألنا :

ـ انتو جايين منين ؟ورد زكريا الحجاوى على الفور :

ـ انا عمك زكـريا الحجاوى وجاى من عند الحاج محمد ابـو جندية فى أم خنان واذا بالصوت الاجش يتحول الى صوت ودود للغاية وقال :

ـ طب لامـؤاخذة ياعم زكـريا ، اتفضلـوا وخرج من الحقل ثلاثـة رجال سحبوا الشجرة التى تسد الطريق ، ثم جاءنا صوت الشبح مرة اخرى:

ـ اتفضلوا شاى .

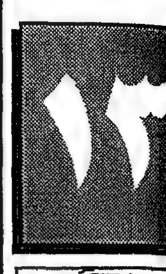
ورد عليه زكريا الحجاوى وكأنه يحاضر فى جامعة نيودلهى :

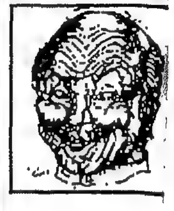
ـ لأ، انـا ما تفضلش شـاى بالطريقـة دى ، انا اروح بيتنـا الاول ، انام واصحى ، وآخذ حمام واحلق دقنى ، واجيلك ان شاء الله اشرب شـاى .

وركبنا السيـارة وانطلقت فى طريقى الى الجيـزة واكبرنا جميعا شجـاعة زكـريـا الحجـاوى التى حسمت الموقف لصـالحنـا ، ولكن زكـريـا ضحك ضحكة صافية من أعماقه وقال :

ـ شجـاعـة إيـه يـاعم .. دنـا قلت الكـلام ده وأنـا (....) على روحى ، البنطلون مبلول زى مايكون فوطـة ووقعت فى ترعة لكن انا لازم اعرف هوه مين .

وفى اليـوم التالى تلكأت عنـدمـا دعانى العم زكـريـا للذهـاب الى قريـة الشويك . لم اكن على استعداد للـوقوع مرة اخرى فى براثن عصـابات قطاع الطـرق التى كانـت منتشرة حينئذ فى قـرى البـدرشين وقرى الجيـزة . وفى اليوم الثالث تاب الله على العبدلله من رحلات العم زكريا وتاب على المطية من التوغل فى اعماق الريف . فقد تلقيت مكالمة تليفونية من الاستاذ احسان عبد القدوس يـدعونى فيهـا للعمل معه فى روز اليوسف . وكـانت يومئـذ ملكية خاصة للسيدة روز اليوسف !







حقوق الطبع والامتياز

■ كتاب اليوم - عدد أغسطس ■

قبل ان نودع جريدة الجمهورية بحلوها ومرها ينبغى ان نذكر آخر مقلب ماركة العبدلله والذى كان ضحيته احد الزملاء بدار التحرير واسمه عبد العاطى عبدون .
وأصل الحكاية ان الاستاذ عبد العاطى كان زميلا بحكم عمله للعبدلله وذات مساء هبط على قاصدا المشورة والرأى السديد ،وعندما سألته أى مشورة وأى رأى سديد أجاب :

اننى على اعتاب قنبلة صحفية ستهتز لها الاوساط السياسية . وانا ابدى دهشتى لعبدون قلت كيف .. على الفور قال انها حقيقة الثورة المصرية واسرارها التى تذاع لأول مرة . وانا البس رداء الناصح الأمين طلبت من عبد العاطى ألا يذيع امر هذا الكتاب الخطير وان يختص شخصى الضعيف بحقوق النشر والتوزيع لهذا السبق المعجزة.

وبدون اى تفكير اومأعبد العاطى رأسه بالموافقة وامسكت بالورقة والقلم لأحرر اغرب واعجب عقد فى تاريخ حركة النشر على الاطلاق !

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه فى يوم كذا شهر كذا عام ١٩٥٧ تم الاتفاق بين كل من :

أ ـ دار الهنا والشفا للطباعة والنشر ويمثلها الاستاذ محمود السعدنى طرف اول .

ب ــ الاستاذ عبد العاطى عبدون المحرر الصحفى بدار الجمهورية طرف ثان .

وقد اتفق الطرفان على ان يقوم الطرف الاول بطبع ونشر كتاب الطرف الثانى «أسرار الثورة المصرية»

جـ ـ يتحمل الطرف الأول تكاليف طباعة مائة الف نسخة من الكتاب المذكور . ويتحمل الطرف الاول ايضا تكاليف الحملة الاعلانية فى الصحف والمجلات .

د ــ تكون طباعة الغلاف على ورق فاخر ومن اربعة الوان ، على ان يجرى فرز الالوان فى مطابع ديكسون بانجلترا .

هـ ــ يتعهد الطرف الاول بتوزيع الكتاب فى كل من الاسكندرية وكفر الدوار ودمنهور وحوش عيسى وسحالى ونتمة والمحمودية والمعدية وايتاى البارود وكفر غزال وأميوط ، دسوق ، كفر الشيخ ، الزقازيق ، المنصورة ، اجا ، طنامل ، صهرجت الكبرى ، صهرجت الصغرى ، بنها ، مسجد الخضر، ميت البيضا ، سبك الضحاك ، بهناى ، القناطر الخيرية ، الوراق ، امبابة ، القاهرة ، الجيزة ، بنى سويف ، المنيا ، بنى مزار ، اسيوط ، بنى قيز، الغنايم .

عند هذه النقطة انتفض المؤلف عبد العاطى غاضبا وهب واقفا وصاح بأعلى صوته :

ـ لابلاش الغنايم من فضلك .. سألت عبد العاطى عن السبب ، فأجابنى بان الغنايم مسقط رأسه ، ولا يرغب فى توزيع كتابه هناك . وعلى الفور سجلت فى العقد بندا جديدا .

ملحوظة : وتستثنى قرية الغنايم من توزيع كتاب اسرار الثورة المصرية، حيث انها مسقط رأس المؤلف وبعدها استأنفت كتابة مواد العقد .

و ـ يجب على كل قارىء يشترى كتاب «اسرار الثورة المصرية» ان يترك عنوانه كاملا عند الموزع الذى اشترى منه الكتاب . وان يقوم بعد فراغه من الكتاب بكتابة رأيه فيه بمنتهى الصدق والوضوح . وتقوم دار الهنا والشفا للطباعة والنشر بأصدار كتاب ضخم يحتوى على ردود القراء تحت عنوان : « صدى اسرار الثورة المصرية فى أنحاء العالم وردود الافعال بين القراء فى القرى والدساكر » .

هنا هب عبد العاطى واقفا وقال :

ـ ايه بقى اللى حشر العساكر فى العملية دى ؟

ـ الدساكر ياعبد العاطى مش العساكر .

ـ وايه هية الدساكر دى ؟

الدساكر دى يعنى وزارة الأعلام !!

فشخ عبد العاطى فمه عن ابتسامة عريضة وقال :

ـ يعنى لازم تكتبها بالوحوى « النحوى » وعلى العموم انا صديق الحاج زهران مدير مكتب الدكتور حاتم ويمكن يصرفوا لنا إعانة للكتاب !!

ز ـ بعد نشر كتاب « صدى أسرار الثورة المصرية » يقوم الاستاذ المؤلف عبد العاطى عبدون بالرد على الصدى عن طريق تأليف كتاب آخر بعنوان «صدى الصدى » ويجرى الاتفاق مع المؤلف عن الأجر وعدد النسخ المطبوعة فى حينه .

ح ـ تقوم دار الهنا والشفا للطباعة والنشر بتنظيم ندوة عالمية مختلطة من العرب والأجانب وتكون لندن مقر الندوة ، ويحضرها سكرتير عام الأمم المتحدة ورئيس جمعية حقوق الانسان وجمعيات الهلال الأحمر والرفق بالحيوان ومأمور مركز امبابة ويحييها المطرب الشعبى محمد أبو دراع . ويقوم الاستاذ عبد العاطى بافتتاح الندوة بكلمة لتحية السادة الذين لبوا الدعوة .

ط ـ إذا وقع أى هجوم على الأستاذ عبدالعاطى مؤلف « أسرار الثورة المصرية » أثناء عقد الندوة أو بعدها سواء من القراء أو النقاد أو المراقبين ، تقوم دار الهنا والشفا للطباعة والنشر بحماية الاستاذ بكل الوسائل المتوافرة ،وتخصص له طائرة خاصة طراز « فايكونت » لتنقلاته بين القارات ..

ى ـ يتقاضى الاستاذ المؤلف مبلغ ألف دولار عن كل ليلة يقضيها فى الخارج للاشتراك فى الندوات أو لعمل مقابلات صحفية خارج مصر ، سواء حول الكتاب ، أو حول غيره من الموضوعات التى تستأثر باهتمام الجماهير فى مصر والخارج ويكون الدفع نقداً ويوماً بعد يوم ، وتتولى دار الهنا للطباعة والنشر تسوية الضرائب المطلوبة منه عن بدل السفر والاقامة ، كما

يخصص لـه خادم وسكـرتير خاص ، ومترجم فـورى ، يشترط فيه إجـادة الانجليزية والفرنسية والأسبانية إلى جانب العربية !
وبعدها استأنفت كتابة بنود العقد .
ك ـ يحصل المؤلف الاستاذ عبد العاطى عبدون على خمسين فى المائة من سعر الغلاف ويتقاضى مبلغ خمسمائة جنيه مصرى عند توقيع العقد .
ك ــ مكرر : يقـوم الطـرف الأول بترجمة كتـاب عبد العـاطى عبـدون المحرر الصحفى إلى اللغتين الانجليـزية والفرنسية ، ويقـوم الاستاذ محمد محجوب بـالترجمة إلى الانجليزيـة والاستاذ إبـراهيم موســى بالترجمة إلى الفرنسية ، وحيث إن أسرار الثورة المصريـة من الكتب التى ستحدث هزة فى العالم ، وسيكـون محل جدل شديد بين رجـال السياسة والفن والريـاضة من الآن وإلى منتصف القـرن الـواحـد والعشرين ، لذا يعطـى للأسـاتـذة المترجمين سعر خاص عبارة عن مائة جنيه عن كل ألف كلمة .
ل ــ تتعهد دار الهنـا والشفا للطبـاعـة والنشر بالحصـول على مقدمـة للكتاب من الرئيس البطل جمال عبد الناصر إذا كـانت ظروفه تسمح بذلك ، فاذا لم تكن تسمح فتكـون المقدمـة بقلم الصاغ كمال الـدين حسين حفظه الله.
أخيرا .. هذا العقد ملزم للطرفين وفى حالة وقوع أى خلاف بينهما تكون محاكم القاهـرة مختصة بفض النـزاع بالنسبة للنسخـة العربيـة ، وتكون محاكم لندن هى المختصة بالنسبة للنسخـة الانجليزية ، أما الخلاف حول النسخة الفرنسية فيكون من اختصاص محاكم باريس .

●●●

عنـدما انتهيت من كتابـة العقـد التاريخى ، راح المؤلـف يقرأ العقـد ، وتوقف فجأة عند بند من البنود .
وقال :
ــ احنا مـا اتفقنـاش من غير مؤاخـذه على فلـوس النسخة الانجليـزي والنسخة الفرنساوى .
قلت لعبد العاطى :
ـ هــذا عقد آخـر ، وسيوقعه معـك السيد مديـر عام الترجمة بـدار الهنا والشفا للطبع والنشر .

عندئذ واصل المؤلف عبد العاطى قراءة العقد ثم امسك بالقلم ووقع العقد وكتب التاريخ أسفل التوقيع ، ثم وقف وصافحنى ، ثم استأذن فى الانصراف ، ولكننى طلبت منه أن ينتظر قليلا ، وخرجت من مكتبى إلى صالة التحرير ، واتفقت مع المصور أحمد سليمان على أن يأتى بعد قليل ويقتحم حجرتى ويصافحنى بحرارة ويعانقنى مهنئا وأن يفعل نفس الشىء مع عبد العاطى ، ثم يلتقط لنا صورة وأنا أصافحه باليد اليمنى وعقد الاتفاق فى اليد اليسرى ، وعندما عدت إلى مكتبى وجدت عبد العاطى قلقا ، ثم طلب منى نسخة من العقد ، وأكدت له أن النسخة ستكون عنده فى صباح الغد ، وبينما وقف يستأذن فى الخروج لأن لديه عملا عليه أن يؤديه خارج الجريدة ، اقتحم المكتب المصور أحمد سليمان وراح يعانقنى ويقبلنى مهنئا بالنجاح الكبير الذى حققته فى ابرام العقد مع المؤلف الكبير الاستاذ عبد العاطى عبدون ،ثم فعل نفس الشىء مع الأستاذ عبد العاطى احتضنه وقبله ثم قال له :

ــ انا لن اهنئك ، ولكنى سأهنىء دار النشر لان ما انجزته هو ضربة معلم ستحقق لها الكثير ، أما أنت فكان بأمكانك طبع كتابك فى أى مكان فى العالم .

وانشرح صدر عبد العاطى وبدأ عليه السرور والارتياح ، ثم طلبت من أحمد سليمان أمام الاستاذ عبد العاطى وبحضور الاستاذ محمد محبوب أن يلتقط لنا صورة تذكارية لكى نستعين بها فى حملتنا الاعلانية عن الكتاب ، والتقط لنا أحمد سليمان عدة صور مع المؤلف بعضها للمؤلف مع الناشر الذى هو العبد لله وبعضها للمؤلف مع المترجم الذى هو الاستاذ محمد محبوب وبعضها للمؤلف وهو يتوسط الناشر والمترجم . وفى المساء سلمنى أحمد سليمان الصور التذكارية فأرفقتها بالعقد ، وأرفقت العقد والصور بأصول الكتاب وانتظرت حتى جاء كامل الشناوى إلى مكتبه ووضعت الدوسيه كاملا أمامه ، ونظر اليه كامل الشناوى نظرته الذكية الشقية الفاحصة وقال :

ـ ايه ده ؟

احبيته :
ـ دا ورق لازم تقرأه .
فقال محتجا :
ـ هـاقر ده كله .. انت يابنى ربنـا بعتك علشان تعذبنى ، قوللى فيـه إيه وخلصنى. حكيت لكـامل الشنـاوى الحكـايـة من طقطق لسـلامـو عليكم وضحك حتى اهتـز جسمـه كله ، ثم سعل بشـدة ثم اطفأ السيجـارة التى كانت مشتعلة بين أصابعه وقال :
ـ هذه ضربة قاضية وقد تخلصنا من هذا الوباء .
استأذنته فى الحصول على إجازة لمدة ثلاثة ايام . فقال لى :
ـ ليه يابنى انت رايح فين ؟ مسافر أوروبا ، فقلت له :
ـ أنا تعبان وعاوز استريح شوية فقال : يوم واحد أجازة فقط .
فقلت :
ـ يومين
فقال : زى بعضه ، خلاص يومين . .
قضيت اليوم التالى فى البيت لم ابرحه ولم اتصل تليفونيا بأى احد ، وفى اليوم الثانى من الاجازة طلبت الاستاذ محمد محبوب الذى بادرنى قائلا :
ـ انت فين .
اجبته : انا نايم .
فقال : يعنى انت تشعللها نار وتنام
سألته : أيه اللى حصل ؟
وعـرفت من محبـوب أن كـامـل الشنـاوى وضع الملف على مكتب أمين شاكر .. وقـرأ أمين شاكر العقد ولم يصـدق نفسه . وعندما عـرف أسلوب عبـد العاطى ومـواهبه الخفيـة أصدر قـرارا بوقفـه عن العمل واحالتـه إلى اللجنة الثلاثية لفصله من الجريدة .
ودخلت الجمهوريـة فى اليوم التالى دخـول الجنرال زوكوف بـرلين بعد غزوها ولكن هذا النصر لم يدم طـويلا ، فلم يلبث أمين شاكر الا قليلا حتى ترك الجريدة وعـاد عبد العاطى من جـديد ، وكان أول ما فعلـه أنه جاء إلى مكتبى ووقف يحدق فى وجهى بعض الوقت ثم قال :

ـ على العموم انت بتعمل مقالب ، لكن أنا هوريك المقالب شكلها إيه ، وهانشوف من فينا اللى حا يصرخ ويقول آى ، لانى انا هوريك المقالب اللى على أصلها وبعدين أوعى تفتكر ان انا كلت المقلب ، انا كنت فاهم الفولة وواخدك على قد عقلك ، ثم امسك ذقنه بأصابعه وقال :

ـ وحياة دى لأخليك تقول ياريت اللى جرى ما كان .

وقلت لعبد العاطى :

ـ شوف ياعبد العاطى تقف بأدبك اهلا وسهلا ، تغلط أقولك وريني عرض كتافك . وقال عبد العاطى بصوت مرتعش يحمل بين طياته نبرة تهديد :

ـ وكمان بتطردني من مكتبك .. طيب يا استاذ يابتاع المقالب ياللى فاهم نفسك حدق... ثم انطلق خارجا ، وفى الحقيقة لم أهتم بتهديداته ، فقد كان غبيا وقليل الحيلة ، وكان اقصى ما يستطيعه هو الوشاية بالعبد لله عند أجهزة الأمن ، ولم يعمر عبد العاطى كثيرا فى الجريدة ، فسرعان ما قاده غروره إلى حتفه .

وأصل الحكاية أن المخابرات المصرية القت القبض على خلية جواسيس تعمل لحساب المخابرات البريطانية، وقامت المخابرات المصرية بإغلاق الشقة التى كان يقيم فيها الجواسيس وختمتها بالشمع الاحمر ومنعت دخولها أو الاقتراب منها ، ولكن عبد العاطى الذى كان على علاقة بضابط بالمخابرات العامة برتبة رائد تصور أنه فوق القانون .

فاصطحب معه احد المصورين وفتح شقة الجواسيس بعد ان أبلغ المخبر الذى يحرس الشقة أن معه اذنا من المخابرات العامة بفتحها ، وعندما علمت المخابرات بنبأ فتح الشقة القت القبض على عبد العاطى وتم فصله من الجريدة ، وفى البداية افتتح بالمكافأة التى حصل عليها عن مدة الخدمة محلا لبيع الفول المدمس بعابدين ، ولكنه اضطر إلى اغلاقه بعد فترة وبعد ان قضى على قيمة المكافأة ، وصار بلا محل وبلا أموال ، اضطر عبد العاطى إلى الاشتغال كعامل فى محل منجد بالجيزة ، وحدث أنه أراد الزواج من خادمة كانت تتردد على دكان المنجد ، لزوم تنجيد بعض الاغطية والمخدات ، ووافقت البنت على الزواج من عبد العاطى بشرط الحصول على

موافقة مخدومها الذى كان يعمل مستشارا فى محاكم الاستئناف .. فذهب عبد العاطى إلى بيت المستشار وقابله وطلب منه يد الخادمة، وأراد المستشار أن يطمئن على مستقبل خادمته ، فراح يمطر عبد العاطى بأسئلة حول عمله وبيته وقدرته المالية ، ولكن عبد العاطى تهرب من الاجابة عن حالته الحاضرة ، وراح يحكى للمستشار عن دوره فى الثورة وعن كتابه « أسرار الثورة المصرية » وعرض على المستشار بعض اعماله الصحفية فى جريدة الجمهورية وفى مجلة التحرير، لكن المستشار المتمرس وعدعبد العاطى بالموافقة على الزواج اذا جاءه بعقد شقة لائقة ووثيقه تثبت أن عبد العاطى يعمل فى مكان ما وبمرتب ثابت ، وكان هذا الشرط سببا فى عدم عودة عبد العاطى مرة أخرى إلى بيت المستشار ، وحتى دكان المنجد لم يحتمل بلادة عبد العطى ولا شغفه بالحديث عن امجاده فى مجال الصحافة والسياسة والحرب ، فاستغنى عن خدماته ، ولم يشاهد عبد العاطى بعد ذلك فى أى مكان ، يبدو انه لم يحتمل السقوط فمات ، وهناك احتمال كبير انه يقيم الآن فى مكان ما ويمارس عملا ما ، وربما باسم آخر ، وربما يفكر الآن فى اصدار طبعة جديدة لكتابه المعجزة « اسرار الثورة المصرية » حقوق الطبع والامتياس محفوظة لصاحب القسمة والنصيب !







ولا عزاء للمغفلين

بعد مرور اسبوع واحد على العمل مع احسان عبدالقدوس بروز اليوسف ، اكتشفت اننى أصبحت أهدأ أعصابا وأروق بالا وسعيدا على نحو ما . لم تكن هذه حالتى أيام العمل بالجمهورية .

كانت هناك معركة يومية بينى وبين الزملاء والادارة ، بعكس روزاليوسف كل واحد يعرف عمله ويعرف طريقه بلاتعقيد . ووجدت لدى وقتا كافيا لممارسة هوايتى فى تدبير المقالب البريئة للآخرين : فى بداية الأمر كنت أدبر مقالب من النوع الثقيل الذى يسبب أضرارا شديدة ولكن بعد عشرتى مع كامل الشناوى تعلمت كيف تكون المقالب الشيك .

وكان أشهر مقلب دبرته فى بدايات العمر مع أديب شاب يدعى «أ. ن. ح» جاء به يوسف السباعى ودخل مكتب العبد لله بمجلة التحرير وقال يوسف بلهجته الودود : يامحمود اكتب مقدمة للشاب ده . وكان مع الشاب مسودة كتاب يضم عدة قصص قصيرة والكتاب يحمل عنوان « فى سبيل الحياة » وعندما قرأت أول قصة انتابتنى حالة من الهيستريا بدأت بموجة من الضحك أعقبتها موجة من السعال . كانت أول قصة تبدأ هكذا « يارجال الفضيلة ان زوجتى بالحديقة انها فى الحديقة » وكانت القصة الثانية تبدأ

هكـذا « يـابوليـس الآداب ان زوجتى بالحديقـة انها فى الحديقـة » وكـانت القصص الثالثـة والرابعـة والخامسة تمضى على هـذا النحو « ان زوجتى بـالحديقة انها فى الحديقـة » والشىء الوحيـد الـذى يتغير هو الجهـة التى يستغيث بها الكـاتـب ، فمن بـوليس الآداب إلى رجـــال الفضيلـة إلى علماء الأزهـر إلى الشعب المصرى ، ولم أعـرف لماذا فــات على المؤلف استـدعـاء البوليس الدولى وقوات حفظ السلام وقوات عاصفة الصحراء !

وكتبت مقدمة للأديب الواعد بدأت هكذا « هذا كاتب متقدم على الفصيلة الأولى مندفع نحو الشفق مضروب على قفاه » وعشر صفحات من هذا النوع « المترامى فى اللانهائى المتوازن مع الشواشى العليـا للبروجوازية المتحالفة مع الاردوازية المصنوعـة من عجين أصفر شفاف » وأنهيت المقدمـة بتقرير للكاتب الـواعد « وهذا الكاتب ينبغـى تكريمه برجمه بكتل الـذهب والفضة ليكون عبرة لـلآخرين حتى لايفكر أحـد مثله فى الكتابة ،لأن هـذا النوع من الكتابات الساحـرة يمكن أن ينقلب سحرها فيقتل قارئها وبـائعها وحاملها وطابعهـا ، مع ان الزمـان لوأنصف وعـدل لكان القتل من نصيب كـاتبها .. فهذا هــو الجزاء الوحيـد لمن يرتقع بفنــه إلى عنان السماء فيكـون له المسير والمصير والعصير أيضا .

وتصورت أن الكـاتب الواعـد إياه عنـدما يقـرأ مثل هذا الكـلام الفارغ سيكتشف ان كاتبـه رجل معتوه وانـه سيمزق الأوراق وينثـرها فى الهواء . المهم ان الكاتب الفاضل عاد بعد أيام وتناول المقدمة وفرح بها فرحا شديدا وحملهـا معه وانصرف مسرعـا من دار المجلة ، ومـرت أيام وأســابيع وذات مساء وأنا خارج من دار سينما مترو سمعت نداءات من باعة الصحف كلها تصرخ بالصوت الحيـانى اقرأ كتاب فى سبيل الحياة ، مقـدمة للكاتب الكبير محمـود الصعيـدى . نسيت أن أقــول لكم اننى بعـد أن انتهيت من تـدبيج المقدمــة الخالدة وقعت تحتها باســم محمود الصعيدى عضو جماعــة كبار الأدباء . واشتريت نسخـة من الكتاب دفعت فيها عشرة قـروش كانت تكفى وقتئذ لشراء نسخـة من كتاب طـه حسين ، وذهبت بها إلى دار الجمهـورية وقدمتهـا للأستـاذ كامل الشنـاوى ، الذى استغـرق فى نوبـة من الضحك أمسك بعدها سماعـة التليفون وراح يتصل بكل من يعرفه طـالبا منه شراء

نسخة من كتاب فى سبيل الحياة وقراءة مقدمة الكاتب الكبير محمود الصعيدى !

ولاشك أن كامل الشناوى الذى كان على علاقة شخصية بنصف شعب مصر قد نجح فى لفت الأنظار إلى الكتاب الذى بيعت كل نسخه الألف فى يومين اثنين ، وكانت فضيحة دفعت المرحوم يوسف السباعى إلى كتابة مقال « مطلوب قانون لحماية المغفلين من محمود السعدنى » ولم يدرك الكاتب الواعد ان المقدمة التى كتبها محمود الصعيدى هى مجرد مقلب من الصحفى محمود السعدنى إلا بعد أن قرأ مقال يوسف السباعى فجاء ثائرا متذمرا ، ولكن الزميل الفنان حسن عثمان - مد الله فى عمره - أقنعه بأنه حدث خطأ ما فذهبت مقدمة الصعيدى لكتابه وذهبت مقدمة السعدنى لكتاب آخر وهى غلطة سببها سوء الخط ووعدناه بمقدمة جديدة لكتابه الجديد فشكرنا واعتذر لنا عن سوء ظنه .

ولقد شجعنى إعجاب كامل الشناوى بالمقلب إياه إلى تدبير مقلب لكامل الشناوى نفسه ، كان كامل الشناوى من أكرم خلق الله وكان يجلس على مائدته كل مساء دستة من الأصدقاء بينهم المطرب المشهور والملحن المعروف والرأسمالى الكبير والصحفى الصاعد والأديب الشاب والوزير السابق والمسئول الحالى ولكنه كان يصر دائما على دفع الحساب وكان يضطر أحيانا إلى الاقتراض من البنوك لتسديد الفواتير ، وكان يرفض بشدة أن يتولى أحد آخر دفع الحساب فى حضرته ، وفى بعض الليالى كان يسهر فى مكتبه بالجريدة وكان يتردد عليه يوميا عشرات من الصحفيين الشباب والأدباء الصاعدين والفنانين والموسيقيين ، وكان يكتب مقالاته وسط هذا الجو المزدحم المخنوق بأنفاس الناس ودخان سجائرهم ، وذات مساء رفعت سماعة التليفون واتصلت بمحل أبو شقرة الكبابجى ، وقلدت صوت كامل الشناوى وطلبت خمسة أجواز من الحمام وجوزين من الفراخ المشوية وخمسة أرطال من الكباب ومثلها من الكفتة مع مستلزماته من العيش والسلاطات . ثم اتصلت بمحلات الشيمى وطلبت نفس المقطوعية ، ثم اتصلت بمحلات الخميس وطلبت ملوخية بالأرانب وبطيخة وعشاء يكفى لعشرة أشخاص ، ثم اتصلت بالحاتى وفعلت نفس الشىء ، وجلست

فى مكتب كـامل الشناوى أنتظر وكـأن شيئا لم يكن وبـراءة الأطفال فى عين العبد لله ! وبدأت الصوانى تنهـال على مكتب كامل الشناوى صوانى كباب وصوانى كفتة وصوانى ملوخية بـالأرانب وصوانى كبدة وكلاوى وصوانى فراخ وصـوانى حمام ، كميات هـائلة من اللحـوم والطيور تكفى قبيلـة من قبائل الجاهليـة ، وفى كل مرة يضرب كـامل الشناوى كفـا بكف ويصرخ فى وجه حـامل الصوانى .. من اللى أمركم بـده ؟ وكان الكل يؤكد أن كـامل بيه الشناوى هـو الذى أمر باحضـار المأكولات ، ويضطر كامل بيـه إلى الدفع ، ولم يجد مفرا من استدعاء جميع المحررين وجميع العمال وجانبا من القراء لالتهام مالذ وطـاب . وعرف كامل الشناوى بعد فترة أن العبـد لله هو الذى دبر المقلب إياه وما أشد دهشتى عندما غضب كامل الشناوى غضبا شديدا وقـاطعنى لمدة اسبـوعين ، ثم لقننى درسـا بليغا وضربنى مقلبـا لم يتمـه ، ولكنه كان رسالة واضحة حتى لاأعيد ممارسـة مقالبى معه هو بالذات !

ولكن المقلب الـذى دبرته فى روز اليـوسف لم أسع إليه ولم أبحـث عنه ولكنه جاءنى وأنـا جالس فى صالة التحرير مع الفنـان المرحوم جمال كامل والفنـان أبو العينين والفنـان حسن فـؤاد والفنان بهجت عثمان وآخـرين . فجأة دق جرس التليفون وكان المتحدث هو الأستاذ سعد مكاوى القصاص المعروف ، وهـو رجل مهذب وخجول ولايعـرف المزاح ، وأبلغنى بأنه أرسل لى مـوهبة شـابـة وجـديدة فى عـالم الغنـاء ، وأنه يتصـور اننى قـادر على المساهمة فى شق الطريق أمام صاحب الموهبـة ، وشكرنى مقدما على الجهد الذى سـأبـذله فى هذا المقـام ، وبعد قليل جـاء أحد السعاة بكـارت من سعد مكاوى وبه توصية منه لصاحب الموهبة .

وبعـد قليـل دخل شـاب أقـرع أعمـش نحيف قصير يشبـه تكـوينـه الجسمانى تكوين الممثل الراحل عبدالسلام محمـد ، بالاضـافة إلى مئات من البثـور والدمـامل تغطى وجهـه ، وتصورت ان صـاحب الموهبة الجديـدة عبقرى فى القصـة أوالروايـة وربما فى الموسيقى ، وربما هو عـالم شاب فى الفيزياء ، وربما كـان مشروع عالم فى طريقه إلى اختراع القنبلـة الذرية، كل هذا وارد وممكن ولكننى فـوجئت بأنه مطـرب جديد، وأكثـر من ذلك إيمانه الشديد بأنه سيكون منافسـا كبيرا لعبدالحليم حـافظ وفريد الأطرش وربما للست أم كلثوم . دمامل ومطرب .. ! ؟ هذا هو المستحيل !

تحركت على الفور غريزة المقالب فى العبد لله ، طلبت من المطرب الجديد أن يسمعنى صوته فأطرق برأسه خجلا وقال بصوت هامس .. أنا أصلى بنكسف . طلبت منه الوقوف ووجهه للحائط والغناء حتى نحكم له أوعليه ، وطلبت من الجميع أن ينصتوا وقام بالفعل ووضع وجهه فى الحائط وبدأ يغنى أغنية لفريد الأطرش من تلحين مدحت عاصم ، كان يغنى للداخل فلايسمعه أحد إلا من كان على بعد عدة سنتيمترات من مكانه . طلبت منه أن يرفع صوته فحاول لكنه فشل . مددت يدى ولزقته على قفاه فانتفض غاضبا ومحتجا ، صرخت فى وجهه يبقى كدة متفشل ولايمكن أن تحقق أى نجاح فسأل عن السبب فقلت له هذا اختبار القفا ! أراد بعض التوضيح فقلت له أنت الآن منافس لعبدالوهاب وفريد الأطرش وعبدالحليم حافظ ، وأنت رجل خجول بطبعك وقد يعمد هؤلاء الكبار إلى دس أحد الأفراد ليلزقك على قفاك لكى تتوقف عن الغناء وتهجره وتترك الميدان فسيحا أمام هؤلاء ، فهل تتوقف ؟ أم تواصل الغناء ؟ فقال .. أواصل الغناء قلت إذن غن ، فعاد يغنى أغنية لأسمهان « ياحبيبى تعالى الحقنى شوف اللى جرالى » دلقت على قفاه كوب ماء مخلوط بالألوان من مخلفات جمال كامل ، توقف عن الغناء محتجا فقلت له ده اختبار المية فلما اطمأن إلى أنها مراحل عملية لاختياره كمطرب من مطربى المستقبل ، انتقل إلى الغناء مرة ثالثة ورابعة وخامسة وفى كل مرة كنت أجرب معه اختبارا مختلفا حتى وصل إلى اختبار الشلوت ، فقد ضربته بالشلوت فانكفأ على وجهه على أرض الحجرة بينما كان جمال كامل ينبطح هوالآخر ويمسك أحشاءه بيديه ، أماالفنان بهجت فقد هرب من الحجرة واستدعى كل من كان فى الدار ، أماأبوالعينين فقد دخل حجرة إحسان عبدالقدوس وجاء به من يده ليتفرج على آخر ضحايا محمود السعدنى . قدمت إحسان عبدالقدوس للمطرب الشاب على انه أحمد بدرخان المخرج وقدمت له ورقة بيضاء على انها عقد للقيام ببطولة ثلاثةأفلام .

لم يتمالك احسان نفسه فقال لى وهو يغادر الحجرة على عجل : حرام عليك ده راجل غلبان . قلت له ده مطرب ، بعد أن تمت جميع الاختبارات وحكمنا له بمستقبل زاهر سعيد بإذن الله ، كتبت له كارت توصية للسيد

مـدير الضمان الاجتماعى بـو زارة الخارجيـة ونصحته بـالتـوجه غـدا إلى وزارة الخارجية بميدان التحرير لمقـابلة سعادة مدير الضمان الاجتماعى ، لكى يفتح الطريـق أمامه فى الاذاعـة إلى المجد والشهـرة والصيت العريض ، ووضعت الكـارت فى مظروف من مظـاريف روز اليوسف ، وطلبت منـه أن يخبرنى أولا بأول عن الخطوات التى سيقطعها فى عالم الفن والشهرة .

كانت الأحوال فى مصر فى ذلك الحين قلقة وغير مستقـرة ، وكانت المعركة قد بـدأت تتصاعد بشـدة بين حكومة الثورة فى القـاهرة ونظام عبـدالكريم قاسم فى بغداد ، وكانت كل المبانى الحكوميـة تخضـع لرقابة شديدة ، وكان يجرى تفتيش الزوار قبل الدخول . فى وسـط هذا الجو ذهب المطرب الشاب إلى وزارة الخارجية وطلب مقـابلة مديـر الضمان الاجتماعى فى الوزارة ولما كان شكله يبعث على الريبة كما أن الشخص الذى يـريد مقابلته لاوجود له فى الوزارة فقد سـاقوه إلى مكتب الأمن ، فلما أخبرهم بأنه مطـرب تأكدوا انه إمامجنون أو إرهابى ، ففتشوه وسـألـوه عن بطاقته ولكنه لم يكن يحمل أى شىء فأحالوه إلى مكتب المباحث العامة بـلاظوغلى واختفى هناك ثلاثة أيام خرج بعدها إلى دار روز اليوسف لمقابلتى ، فقد تصور أن هناك خطأ ما.

عندمارأيتـه أشفقت عليه بشدة فقد كان قفاه مثل قفـا مطرب الأخبار ، والاجهاد الشديد يبدو عليه . لقد أثر الحادث فى نفسه تأثيرا شديدا ولم يكن يتصور أن يعامل على هذا النحو بـلاذنب جناه . وبعد أن شرب القهوة طلب منى كارتا آخر للسيد مديرالضمان الاجتماعى بوزارة الخارجية وبشرط أن أحدد لـه موعـدا مع المدير بـالتليفون ، واتصلت بـالفعل تليفونيـا بصديق بـالجيزة الحاج إبـراهيم نافع ، وطلبت منـه موعـدا للفنان الشـاب وحكيت للحـاج إبراهيم مـاجرى لـه على يد رجـال الأمن الأشداء وحـددت الساعـة العاشرة من صبـاح اليوم التالى للمقـابلة فى مكتب المدير بـوزارة الخارجية بميدان التحرير ، وفرح الفنان الشاب فـرحا شديدا وتناول الكارت بحرص شديد ووعـدنى بأن يخبرنى بما تم فى المقابلة بعد خـروجه من مكتب المدير وقـال لى جمال كامل بعـد انصراف المطرب : يـامحمود فى المرة الأولى كـان مقلبا وفى هـذه المرة أنت ترتكب جـريمة . وقلت لجمال كـامل .. ياعم جمال لاعـزاء للمغفلين وأقول لكم فى الحقيقـة وفى الـواقع إن العبـد لله لم يعـرف

حتى هذه اللحظة ماحدث للمطرب الشاب الصاعد الواعد لأننى بعد يومين فقط من لقائى الأخير به زارنى فى منزلى فى الفجر ضابط مباحث مهذب اسمه طوسون ورجانى أن أذهب معه إلى مبنى المباحث العامة فى الجيزة لأمر بسيط لم يستغرق أكثر من خمس دقائق ، وصدقته وذهبت معه ولم أر بيتى إلابعد عامين من هذا التاريخ . وأقول لكم الحق كلما مرت بذاكرتى حادثة المطرب الشاب وأنا رهين سجن الواحات ، طاف بخاطرى ان ما أعانيه فى السجن هو تخليص ذنب المطرب الصاعد الذى كان وجهه يختفى وراء عشرات ومئات الدمامل والبثور .

أين ذهب المطرب ؟ أين اختفى ؟ ألايزال حيا يرزق ؟ هل ضاع فى الكازوزة ؟ مسكين .. لقد جاء قبل زمانه ، ولو أنه جاء هذه الأيام لصار واحدا من كبار المطربين ، لأننى لاأرى فرقا كبيرا بينه وبين عشرات من اللامعين المشهورين مطربى هذه الأيام ، نسأل الله النجاة منهم ومن شرهم آمين يارب العالمين .

١٥





النجاشي يزيد بن معاوية

■ كتاب اليوم - عدد أغسطس ■

إذا كانت مقالب العبد لله قد أصابت بعض زملاء المهنة وتعقبت انصاف الموهوبين ونالت من بعض الموهـومين ، فقـد كـان للأصدقـاء والاحبـاب نصيب من مقـالب العبـد لله ، واول الضحايا من هؤلاء الاصدقاء كان عم« أبو حسن » وهو من الاصدقاء الذين اعشق صحبتهم بحق . وهـو ابن بلد حقيقى عمل فترة من حياتـه فى معسكرات الجيش الانجليـزى فى منطقـة القناة وسمحت لـه هـذه العلاقـة بالسفـر إلى فلسطين مرة ومرات بقطار السكة الحديد الذى كان يغادر الاسماعيلية ظهـراً فيصل إلى القدس صباح اليوم التالى ، ولكن عم احمد المنجد لم يقف عند حدود القـدس فـامتدت رحـلاتـه إلى بيروت وحلب ، وبعـد قيـام دولـة اسرائيل انقطعت الطـرق فاستقال عم أحمد المنجد الشهير بـ « أبو حسن » من الأورنس وافتتح محلا لبيع الاقمشة الصوف وبالـذات صنف الامبريـال ، وهـو النوع المفضل لدى العمد والاعيان لصنع العباءات .

بدأت معرفة العبد لله بـا المعلم « أبو حسن » فى عام ١٩٥٠ ، وكان الرجل

قد بلغ الخامسة والخمسين ، ووراء ظهره خبرة طويلة وتجربة عريضة مع الحياة والناس، وكانت المناسبة أننى أشتريت من محل « أبو حسن » قطعتين من القماش الانجليزى الممتاز ، ثم اكتشفت أن الفلوس التى معى لاتكفى إلا لشراء قطعة واحدة ، ولكن العم « أبو حسن » أقسم بجميع الاولياء والصالحين أن القطعتين لى ، وانه لن يتقاضى من ثمنهما مليما واحدا إلا فى زيارتى التالية للأسماعيلية ، ثم قال وهو يرمقنى بنظرة حادة: عيب ياأستاذ , دنا من العبابدة !! ولم أهتم وقتها بالسؤال عن العبابدة التى هو منها ولكن هذه المسألة تكررت أكثر من مرة على لسان « أبو حسن » دنا عبادى ياأستاذ ، أصل احنا عبابدة يابيه !!

سألت « أبوحسن » فى النهاية عن العبابدة ، فذكر لى بأنها قبيلة عربية ينتمى اليها « أبو حسن » وهى ليست مجرد قبيلة ولكنها أصل العرب ، منها ـ كما روى أبوحسن ـ عنتره بن شداد والشاعر الأعشى وسيدنا أبو بكر ومعاوية أبى سفيان والإمام الشافعى وشكرى القوتلى ومحافظ بورسعيد .وكان العم « أبو حسن » يحشر اسم القبيلة فى حديثه بمناسبة وبدون مناسبة ..

تصدقوا بالله .. انا أعرف البطيخة الحلوة من غير ما افتحها أو حتى المسها فأنا عبادى يا أستاذ .. كان عاوز ينصب على لكن على مين ؟ دنا عبادى يابيه !!

وهكذا اختمرت الفكرة فى رأس العبد لله لابد من تدبير مقلم للمعلم «أبوحسن» يكون درسا له وللعبابدة التى هى أصل العرب ، ليس قحطان كما يزعمون أو عدنان ، واتفقت مع الكاتب المسرحى عبد الرحمن شوقى على إعداد المسرح لتدبير المقلب المطلوب ، ولم يكن المسرح إلا شقة وسط الاسماعيلية عند أحد الاصدقاء ، وجهاز تسجيل سجلنا عليه بصوت العبد لله حديثا عن الأنساب العربية للشيخ عبد السلام العجيلى مفتى حلب ، وتذيعه إذاعة حلب السورية ، واخترنا حلب بالذات لأن أبو حسن كان معجبا بحلب على نحو خاص ..

والى خلق الخلق .. حلب دى أجدع بلد من غير مؤاخذة ، وفيها مخانات تشرح القلب وترد الروح ، تخشى المخانة من دول تلقى الناس قاعدين لابسين تزالك فى رجليها ، التزلك من دول يحتاج علبة ورنيش عشان يلمع

زى الجنيه الدهب ! كان أبو حسن قد زار حلب أكثر من مرة ، ولأنه كان حشاشا من طراز فريد ، فقد أسرته مدينة حلب واستولت على قلبه ..

يا أستاذ أنت قاعد فى المخانة من غير مؤاخذة والجوزة فى ايدك تلاقى قدامك صحن مليان مشمشية وتين ناشف من النوع الى ما بنشوفوش فى مصر غير فى رمضان المهم أننا سجلنا الحديث على جهاز التسجيل ، وأخفيناه تحت طاولة تحمل جهاز راديو من النوع العتيق ، جهاز راديو تسمع منه كلاما ودوشة فى حجم حركة قطار سكة حديد بالبخار ، وجاء أبوحسن وبدأنا السهرة ، أنهمك أبوحسن فى إعداد الجوزة ورص المعسل وكان يبدو فى أحسن حالاته وهو فى مرحلة الاستعداد للمزاج ! المهم كان جهاز الراديو الكهنة يصدر خروشة تصدع الدماغ ، عندما طلبت من عبدالرحمن شوقى أن يبحث لنا فى الراديو عن محطة جيدة نستمع منها إلى شىء مفيد ، نهض عبد الرحمن من مكانه وأغلق الراديو وفتح جهاز التسجيل ، وبدأت الموسيقى العسكرية ثم صوت العبد لله يعلن للمستمعين عن بدء برنامج إذاعة حلب العربية ، ثم تقديم البرنامج الذى سيستمع إليه المواطنون على الفور ، وهو عن الأنساب العربية ، ونبدأ بقبيلة العبابدة !

وبدت الدهشة الممزوجة بالزهو على وجه المعلم أبو حسن ، ثم ترك كل شىء وتفرغ لسماع البرنامج ودعانا إلى الانتباه ، وبدأ حديث العالم العلامة وأكبر الفهامة فضيلة مولانا الامام الشيخ عبد السلام العجيلى .. الذى هو العبد لله ، يستعرض تاريخ قبيلة العبابدة ، التى تضرب أصولها فى بطن التاريخ إلى سيف بن يزن والجوش والنجاشى والملك ريتشارد قلبَ الاسد وقائد معركة داحس والغبراء كنعان بن أبو سريع !

بعد هذه المقدمة الرائعة عن العبابدة والتى ادهشت العم الطيب «أبوحسن» وجعلته يرعش حاجبيه قبل أن يصيح صيحة انتصار وهو ينظر إلينا نظرة لها معنى :

شفت يا أستاذ ..

ولأول مرة فى التاريخ ينشغل أبو حسن بشىء آخر غير الحشيش .. ازاح الجوزة جانبا وجلس على ركبتيه وكأنه يؤدى الصلاة ، وانتهز فرصة فاصل موسيقى بين المقدمة وصلب الموضوع ، وراح يبدى رأيه فى المحاضر: دا راجل من غير مؤاخذة ققه ولايفهم أى حاجة ، ثم يضرب

جبهته بـراحة يده ويقـول : « كانوا جابـونى انا ياأستـاذ كنت قولتلهم على سيدنـا أبو بكر وسيـدنا الخضر » ثم لزم أبـو حسن الصمت وجلس هادئا عندما أفهمنـاه بأن برنامج الاذاعة لايزال له بقيـة ، واستغرق أبو حسن فى التفكير والشيخ عبـد السلام يستعرض تـاريخ العبابـدة الذين كـان منهم أبوبكـر وعثمان ويزيد بن معـاوية والحسن البصرى وابن قـرمط صاحب القرامطـة والسلطان شيحا الـذى كتب له زكريـا الحجاوى برنـامج اذاعيا مشهورا بـاسم ملاعيب شيحة . ولا يفـوتنا أن نذكر لحضراتكم أن زكـريا الحجاوى من العبابـدة أيضـا ، هنا ضرب أبو حسن فخذه بيده ضربـة قوية وصاح :

ـ يـاقوة الله عشان كـده أنا قلبى انفتح للراجل دا أول مـا شفته . وراح الشيخ عبد السلام العجيلى المزعوم يستعـرض أسماء الرجال البواسل من قبيلـة العبابـدة من أول خالـد بن الوليـد وعبد الـرحمن الداخل إلى اللـواء مصطفى متولى مدير كلية الشرطة إلى المقدم حسن رشدى ضابط المباحث العامة بالأسما عيلية إلى عم أحمد المنجد الشهير بـ « أبو حسن » !!

هنا ضحك أبـو حسن ضحكة طويلة حتى استلقى على ظهـره ، وتصور العبد للـه ، انه كشف الملعوب : ولكنـه عندما انتهى من نـوبة الضحك التى هاجمته قال مندهشا :

ياولاد الهرمـة .. دا عارفين كل حـاجة !! تصدق بـالله يـاأستاذ مفيش جنس حـاجة بتستخبى دلـوقت ، فيه مغناطيـس بيقولهم على كل حـاجة، وبعـدين ، دا حمار ، كـان لازم يقـول أبـو حسن اللى سـاكن فى التـلاتين . ولوكانـوا جابونى أنا أقول .. كنت أقول أحسن منـه ، دا ما قالش عن الحاج سليم العبـادى اللى كان عضـو مجلس الأمـة . وما جبش سيرة محمـود بك السيسى اللى كـان مدير الحسـابات فى العـريش ، وفين عم خليفـة معوض الجناينى بتاع هيئة قناة السويس أيام الجماعة الفرنساو ، واللى كان بياخد ماهيـه ١٠٠ جنيه فى الشهـر سنة ٣٩ يـا أستاذ !! وراح عم « أبـو حسن » يستعرض أفراد القبيلة حتى جاء ذكر والده ، فقال :

ـ الوالـد الله يرحمه كان شيخ الصيادين فى الأسماعيليـة ،وكان يقعد ع القهـوة والصيادين يـروحـوا البحيرة ويجيبوا الـرزق ويبدأ المزاد ، ويـوم ماولدتنى امى خـدتنى خالتى وأنا حتة لحمـة حمرا ونزلت الشارع وراحت

لأبويا على القهوة ، باسنى وراح واخد نفس حشيش ونفخه فى وشى .. أمال كانوا رجالة بصحيح ، مش العيال بتوع اليومين دول ، يشرب نفسين يدوخ ويطرش !! مفيش عبادى يابيه يتهز من أى حاجة !!

كنا قد تركنا جهاز التسجيل مفتوحا عن عمد ، وسجلنا حديث «أبوحسن» كاملا ، وهنا كلفت عبد الرحمن شوقى بالبحث عن محطة أخرى لنستمع شيئا مفيدا ، وأدار عبد الرحمن شوقى جهاز التسجيل وانساب صوت « أبو حسن » يعيد حديثه الذى سمعناه ، ولما كان أبوحسن لم يستمع من قبل إلى صوته مسجلا .. لذلك لم يتعرف عليه وراح ينصت من جديد بشغف إلى الحديث الذى يتناول جميع أفراد قبيلة العبابدة ، وكان شريط التسجيل ينقل الينا بين الحين و الحين الآخر صوت الجوزة وهى تكركر وتزغرد ، وسألنا « أبو حسن » الذى يعرف كل شىء ..

بيشربوا حشيش فى اذاعة حلب ياعم « أبو حسن » ؟

- امال يا أستاذ وأجدع حشيش كمان مفيش حته فى حلب ما فيهاش جوزة يا أستاذ ، وبعدين دى ناس بتفهم ، ومفيش مانع يبسطوا الناس اللى هتقول فى الاذاعة عشان مخهم يروق ومزاجهم يبقى عال العال ، مش زى عندنا هنا الناس تبقى قاعدة متكتفة وهى بتقول زى ما يكونوا تلامذة !!

كان الحديث قد وصل إلى نقطة « لما نزلت من بطن امى من غير مؤاخذة ، خالتى نزلت الشارع وأنا حتة لحمة حمرة وراحت لأبويا على القهوة راح نافخ فى وشى دخان الحشيش » هنا فقط انتبه العم أبو حسن إلى أن الأمر ليس على مايرام . بعد لحظة زحف على ركبتيه إلى حيث الطاولة التى تحمل جهاز الراديو ، وعندما اكتشف ان الراديو صامت أنحنى تحت الطاولة ليكتشف أن الصوت يصدر من جهاز التسجيل ..

ولا أدرى .. ما الذى دار فى عقل « أبو حسن » فى تلك اللحظة ، كان وحده هو الرجل الكبارة الذى بيننا ، وكان العبد لله فى السابعة والعشرين ، وكان عبد الرحمن شوقى يصغرنى بعدة أعوام وأيضا محمد صبرى مبدى الذى صار فيما بعد سكرتيرا عاما لنقابة المحامين . كنا شلة من العيال فى نظره ، بينما كان العم « أبو حسن » يعتبر فى نظر الكثيرين من أهالى الاسماعيلية أبو العريف الذى يعرف كل شىء » .

جلس « أبو حسن » صامتا وقتا طويلا ، بينما لم يستطع أفراد الشلة أن

يكتمـوا نوبـة الضحك التى عصفت بهم ، كان المقلب حـارا وملتهبا وثقيـلا للغايـة ، وانتابني خـوف شديـد من رد الفعل عند العم « أبـو حسن » ماذا يحدث لو شعر بالإهانة وقرر أن يقـوم بتربيتنا بطريقته ؟ ولو انه استخدم عصاه أو يده فلن يجرؤ احد منا على هز قبضـة يده فى وجهه !!

ومرت لحظـات كانها الدهـر كله وفجأة .. أطلق « أبـو حسـن » ضحكته الشـهيرة ، ضحكة طويلة رنانـة تنتهى دائما بحركة اسكندرانى من الانف .. ثم أستلقى على ظهره قبل ان يقول :

ـ الله يا أستاذ حلوة قوى دى .

ياستر الله ، لقد استحسن أبـو حسن المقلب وأعجبه ، فاتت المسألة على خير والحمد للـه .. والعواقب جت سليمـة كما يقولـون .. وعلى الفور نهض أبو حسن ، ارتدى البالطو والعباءة الامبريـال ، وكبس طربوشه على رأسه ، وأخفى وجهـه بالعباءة .. فقـد كانت هـذه هى عـادته كلما خرج مـن مكان دافىء إلى الشـارع ، وتأبط العبد للـه ذراعـه اليسرى ، وتأبط عبد الـرحمن ذراعه اليمنى ، وسحبناه إلى بيته فى شـارع الثلاثين ، ولم يكف أثناء الطريق عن الضحك وترديد عبـارة « الله يا أستاذ » .. حلـوة دى ! ولكنه انقطع بعد ذلك عن لقائنا أو الجلوس معنـا ، وتصورت أنه غضب من المقلب ، وإن كان لم يشأ أن يظهر ذلك لنـا أثناء القعدة ، ولكنى اكتشفت بعد أن عـادت المياه إلى مجاريها أن المقلب لم يغضبه ، ولكن الذى أغضبه هو سلوكنا بعد ذلك ، فقد نشرنـا تفاصيل مـا جرى بيننـا فى الاسماعيلية ، وكانـت غلطة .. ولكن ماذا تفعل مع شلة عيـال جاءتهم الفرصة للسخريـة من رجل عجوز يدعى معرفته بكل شىء ؟!

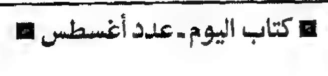
المهم .. كان مقلب « أبو حسن » هو البدايـة ، وقد أعطانى ثقة لا حد لها فى قـدرتى على ضرب المقالب ، وعلى بـركة الـرحمن سار العبـد لله على هـذا الطريق خطوات واسعة ، ولم ينج من مقالبى عواجيز أو شباب ، مسئولون أو صياع ، وإن كانت بعض المقالب قد كلفتنى كثيرا .







علا عا لله



■ كتاب اليوم - عدد أغسطس ■

كان كبير مشجعى النادى الاسماعيلى رجلا على باب الله ، وكان هذا المنصب الذى وصل إليه عن جدارة واستحقاق هو عمله الوحيد فى الحياة ومصدر رزقه . وكان المهندس عثمان أحمد عثمان رئيس النادى يعطف عليه ويمنحه مبلغا شهريا ، بالاضافة إلى الاكراميات التى كان يجود بها مشجعو النادى من التجار ورجال الأعمال . وكان كبير المشجعين إياه يرتدى بنطلونا كان لعسكرى إنجليزى من قوة جنود الاحتلال فى قاعدة القناة ، وفانلة مخططة تشبه فانلة فريق الترسانة ، وينتعل حذاء كان فيما مضى لأحد صعاليك جوركى الذين فرض نفسه من خلالهم كأديب عالمى ليس له نظير . ويضع فوق رأسه قبعة من الكاوتش ، كانت جزءاً من قفة من النوع الذى يستعمله العمال الصعايدة فى نقل التراب والرمل ، بالاضافة إلى نظارة سوداء بلاستيك يخفى بها عينيه .

وكان يتصدر مدرج مشجعى الدرجة الثالثة قبل بدء المباراة بعدة ساعات .

ويبدأ الهتاف قبل بدء المباراة بساعة ، وكانت وظيفته ترديد كلمة

واحدة هى (علا عالله) فيتبعه المدرج كله هاتفا دراويش . فإذا فاز الفريق بالمباراة ترك كبير المشجعين مكانه بالمدرج وهرع إلى حيث يجلس المهندس عثمان وكبار الضيوف ، فيشرح لهم الخطة التى سلمها لرضا وشحته والعربى والسقا ، وهى الخطة التى ضمنت الفوز بالمباراة ، ثم يقبض المعلوم قبل أن يخرج من الاستاد على رأس مظاهرة تطوف الاسماعيلية احتفالا بالنصر فإذا انتهت المباراة بالهزيمة ترك كبير المشجعين مكانه فى المباراة وهرع حيث يجلس الضيوف ثم يقف أمام مدرج الدرجة الأولى يلعن ويسب لمدرب الفريق الذى امتنع للاستماع إلى النصيحة ، وأصر على اللعب بالطريقة الجمحشرية التى لعب بها الفريق وانهزم . وكان كبير المشجعين إياه لايحرم من الحصول على عدة جنيهات من هنا وهناك .

وفى صيف ١٩٦٩ تمكن الاسماعيلى من إلحاق هزيمة ثقيلة بفريق إنجلبير وأصبح بطلا لأفريقا ، وتقرر بعدها أن يذهب النادى الاسماعيلى فى جولة خليجية لجمع بعض الأموال لإزالة آثار العدوان . وذات يوم والعبدلله يحضر تدريبا للفريق فى النادى الاسماعيلى كان يحضره المهندس عثمان أحمد عثمان والدكتور عبدالمنعم عمارة الذى كان وقتئذ مسئولا عن الشباب بمحافظة الاسماعيلية ، وجاء كبير المشجعين بعد انتهاء المباراة وطلب من المهندس عثمان أن تضم البعثة المسافرة إلى الخليج مجموعة من المشجعين يكون هو على رأسهم ، وقال للمهندس عثمان إن النادى لم يحقق فوزه ببطولة افريقيا باللاعبين فقط ، لكن النصر جاء نتيجة جهود اللعيبة والمشجعين معا . وعبثا حاول المهندس عثمان أحمد عثمان التخلص من الحاج كبير المشجعين ، فقد كانت لديه قدرة على التناحة لاتتوافر لمخلوق سواه . وأخيرا سأله المهندس عثمان :

— أنت عندك بسبور وتأشيرة ؟

ورد كبير المشجعين :

— لا ما عنديش ..

فقال المهندس عثمان وهو ينصرف :

— طيب اعملهم وأنا أسفرك .

ورد كبير المشجعين :

— وأنا أعملهم إزاى ؟ أنا مافهمش فى الحاجات دى .
وقال عثمان وهو يشير نحو العبد لله :
— خلاص هوالبيه ده اللى يعملهملك ، هو مسئول الجوازات والتأشيرة.
ولـــزق كبير المشجعين للعبــد للـه ، وأخيرا استطعت الافــلات منـــه والوصول إلى سيارتى وقبل أن أهم بالانطلاق سألنى كبير المشجعين طيب أجيلك فين ؟
— هناك .
— هناك فين ؟
— فى المكتب .
وانطلقت بأقصى سرعة فى طـريقى إلى القاهرة وفـوجئت بعدها بثـلاثة أيام بالسيـد كبير المشجعين ، بحذائه الانتيكة وبنطلونه العسكـرى وفانلته الترسانـوية ، وقبعته التى كانت جـزءا من قفة فى سالف الزمـان ، ينتظرنى على باب مـؤسسة روزاليـوسف ، وقال لى مـوظف الاستعـلامات انـه جاء ليفتح باب المؤسسة فى الساعة التاسعـة صباحا فوجد كبير المشجعين واقفا على الرصيـف ، وقلت للسيد كبير المشجعين ، ان القانـون ينص على أن على كل راغب فى السفر لابـد أن يكون معه جواز سفر ، ولكى يكـون معك جواز سفر فـلابد من شهـادة ميلاد وشهـادة من جهة العمل بنـوع العمل الذى تؤديـه والمرتب الذى تتقاضـاه ، ونظر كبير المشجعين نحو العبد للـه وقال غاضبا :
— وأنا ح جيب الحاجـات دى منين أنا مـاليش شغلة غير الاسماعيلى ، ثم أنا ساقط قيد ماعنديش شهادة ميلاد .
قلت له : بسيطة استخرج شهـادة من النادى الاسماعيلى بأنك تعمل به.
وتنـاثـر الـرذاذ من فمــه وهــو يصرخ بأعلى صـوتـه : أنـا مـابشتغلش فى الاسماعيلى الديوان ، أنا بشتغل فى الاسماعيلى الكورة !
— يعنى إيه ؟
— يعنى أنا كبير المشجعين ، ودى وهبة من عند ربنا ما حدش إدهالى !
قلت له وأنا أنقر بأصابعى على زجاج المكتب :
— خـلاص انحلت ، هات لى طلب مـوقع من ١٠٠ مشجع إنك أنت كبير

المشجعين ، وإن دخلك من هذه الوظيفة لايقل عن ....

وأمسكت عن الكلام عند هذه النقطة وسألته :

أنت بتكسب كام من الشغلة دى .

تلعثم بعض الوقت ثم قال :

— مابنكسبش حاجة ٥ جنيه يمكن ..

قلت له وقد بدت علامات الأسى على وجهى :

— ٥ جنيه ماتنفعش مش ممكن تأخذ بسبور .

ونطق كبير المشجعين على الفور :

— بنكسب ٥٠٠ .

— يبقى كدة انحلت ، هات لى ورقة من ١٠٠ مشجع انك كبير المشجعين وبتكسب ٥٠٠ جنيه فى الشهر ، وما تنساش تجيب أربع صور وفيش وتشبيه .

ولزم كبير المشجعين الصمت بعض الوقت وقال :

— لزمته إيه الفيش والتشبيه ده ؟ أنا ح اشتغل ضابط بوليس ..

قلت له بدون اهتمام :

— مش مهم هات لى ورقة ثانية برضه من المشجعين انك حسن السير والسلوك ، وانك طول عمرك بتشجع الاسماعيلى ، وعمرك مارحت السجن .

وعض كبير المشجعين على إصبعه بشدة وقال :

— والورقة دى لازم كام واحد يمضوا عليها ؟

قلت له :

— ٥٠ واحد كفاية على الورقة دى .

واستأذن فى الانصراف بعد أن منحته جنيهين ، على وعد منه بالعودة فى أقرب وقت . وفوجئت به أمامى بعد ثلاثة أيام ، ومعه الورقة الأولى موقع عليها ١٠٠ مشجع ، والورقة الثانية عليها توقيع ٥٠ شخصا ، وألقيت نظرة على الورقتين ، وقلت له على طريقة موظف الأرشيف فى مصلحة الضرائب :

— الورق ده ما ينفعش ..

— ما ينفعش إزاى مش ده الورق اللى أنت طالبه ؟ !

وانجعصت على الكرسى وقلت له مستفيدا من عمليات التعذيب التى عانيتها فى مكاتب الحكومة :

— ياسيد أنت جايب لى أسماء وبس ، مش يمكن أنت اللى كاتبهم ، لازم الامضاءات ورقم البطاقة وعنوان المنزل .

ظهر عليه الضيق الشديد وهو يقول :

— لسة ح ارجع ثانى .

— دى مستندات ياسيد ولازم تبقى مضبوطة ترجع ثانى وثالث لحد ماتستوفى الأوراق .

قفز من فوق مقعده وهتف ووجهه نحو السماء :

— حسبنا الله ونعم الوكيل .

ونفحته جنيهين فهدأ واستأذن بالانصراف على وعد منه بالعودة فى أى وقت ، ومرت أربعة أيام قبل أن أجده أمامى ومعه الأوراق المطلوبة عليها التوقيعات وعناوين المنازل وأرقام البطاقات وقلت له وأنا أحاول أن أبدو فى صورة عبدالمهم :

— عال .. الورق كدة كويش قوى ، فين بقى شهادة الميلاد .

قال وهو ينفخ من شدة الضجر :

— ماقلت لك ماعنديش .

— بسيطة ، هات لنا ورقة تسنين من أى دكتور .

— ينفع دكتور بيطرى ؟

— ينفع قوى ، هو ده الدكتور المناسب ، لأنه ده بيعرف الحمار عنده كام سنة ، من غير الحمار ما يقول أى حاجة .

ونفحته جنيها واحدا هذه المرة فتمهل قليلا فى الانصراف ، وتصنعت الغباء وقلت له :

— يا لله بسرعة لحسن معاد السفر قرب .

وجاء بالفعل بعد عدة أيام ومعه شهادة التسنين من رئيس الوحدة البيطرية بمحافظة الاسماعيلية ، وعليها توقيع الطبيب وخاتمه ، والشهادة تؤكد أن السيد كبير المشجعين فى السادسة والأربعين من العمر ، ويتمتع بصحة جيدة ، وخال من جميع الأمراض . وتسلمت الأوراق ووضعتها فى

دوسيه جديد ونصحته بالسفر الآن والعودة بعد أربعة أيام ، ولم أمنحه أى شىء فى هذه المرة ، ولكنه سألنى قبل أن ينصرف عن السر فى هذه الأيام الأربعة ، فأفهمته بأنه لابد من إرسال الأوراق إلى وزارة الأوقاف أولا للتحرى ، فأتى بحركة تدل على احتجاجه الشديد وقال :

— هو أنا صايع من غير مؤاخذة ؟

— ياسيدى دا روتين ولازم نعرف إذا كنت بتاخذ إعانة من وزارة الأوقاف من عدمه ، لأنه لوثبت إنك بتأخذ إعانة من وزارة الأوقاف مش ممكن تسافر .

— أنامابخدش جنس حاجة من الأوقاف، ولا أعرف الأوقاف دى فين .

— خلاص يبقى اطمئن ..

وسافر كبير المشجعين وعدت إلى الأوراق التى أحضرها وقرأت فيها العجب والعبط . فى شهادة حسن السير والسلوك كتبوا الآتى :

(نشهد نحن الشهود على هذه الحقائق ان السيد فلان الفلانى كبير مشجعى النادى الاسماعينى راجل مسايس ومش بتاع لبط ، وعمره ماغاب عن تشجيع الاسماعينى لأنه عمره ماراح سجون ولاراح اصلاحيات ، أنه راجل دوغرى من البيت للنادى ومن النادى للبيت ، ويشهد بذلك كل سكان الاسماعيلية كبيرهم وصغيرهم ، كما انه مطيع ولسانه حلو ونفسه حلوة. وأدركت أن هذه الديباجة من انشائه وهو الذى أملاها على كاتبها ، بعد أربعة أيام جاءنى كبير المشجعين ولاحظ علائم البشر على وجهى سألنى :

— خير .

— مبروك ياعم كل شىء تمام .

— يعنى صاغ سليم .

— سليم ونص كمان ، حتى قالوا عليك انك راجل مسايس ولسانك حلو .

— عشان تعرف .

وكتبت له خطابا إلى مدير عام مصلحة الجوازات والهجرة هذا نصه :

(السيد مدير عام الجوازات والهجرة ، يؤسفنى إبلاغكم بأن النظام الذى تتبعونه حتى هذه اللحظة فى استخراج جوازات السفر للمواطنين ، هو

نظـام فاسـد من أساسـه ، لأنكم تعتمدون على شهـادات حكوميـة وأوراق اميرية مع أن الشعب هو مصدر السلطـات ، ويشرفنى أن أكون أول مواطن فى الجمهورية العـربية المتحدة يستـخرج جـواز سفر على الأسس الجديدة ، وهى الأسس التى لابد أن تلتزموا بها فى المرحلـة القادمة ! ومن هذا المنطلق أحذركم من رفض استخراج جواز سفـر باسمى أومن التأخير فى إصداره ، حيث اننى فى طـريقى إلى دول الخليج فى مهمـة رسميـة لتشجيع فـريق الاسماعينى بطل افـريقيـا . واعلمـوا ان أى تقصير من جـانبكم سيلقى القصاص المناسب وسينفذ على الفور ، وتقبلوا عظيم التقدير) .

ووضعت الخطاب الـذى يشبه الانذار البريطـانى لحكومـة مصر فى عام ١٩٤٢ ، وأغلقت المظـروف وكتبت على المظروف ، السيـد اللواء مـدير عـام مصلحـة الجوازات والهجرة ، وسلمتـه المظـروف وطلبت منـه الذهـاب إلى المصلحة فى صباح اليوم التالى وبشرط أن يذهب مبكرا لأن الازدحام شديد ، ولأن خزانة المصلحة تغلق أبوابها فى الحادية عشرة والنصف صباحا .

كـان سفر بعثـة الاسماعيلى للخليج فى صباح اليـوم التالى لـذهابـه إلى مصلحة الجوازات والهجـرة . وسافـرت البعثة والعبـد لله معهـا والأستاذ الراحل نجيب المستكاوى وغبنا فى الخليج ثـلاثة أسابيع . وعادت البعثة إلى القاهرة وتخلفت عن السفر ومكثت فى بيروت عدة أيام لأكتشف بعد عودتى أن كبيرا المشـجعين كان ينتظـرنى فى المطار عند وصول البعثـة وهو يخفى فى جيبه رقبة زجـاجة كان فى نيته أن يتفاهم بها مع العبد للـه فيما جرى له فى مصلحة الجوازات .

وأصل الحكايـة انه ذهب إلى المصلحة فى الصبـاح الباكـر فوجد زحـاما شديدا وطابورا كبيرا ولكنه لم ييأس ، فوقف فى الطابور وعندما أصبح أمام الشبـاك الـذى يختفى وراءه الموظف المختص ، كـانت السـاعـة قـد بلغت العاشرة والنصف ، وكان من ورائه صف طويل لايمكن أن ينتهى من إنجاز معامـلاته قبل عدة سـاعات ، وتقـدم بالمظروف إلى الموظف ، وعنـدما فتح الموظف المظروف وألقى نظـرة على الأوراق استشاط الموظف غضبـا ، فهذا ليس وقتا للهزار وسأله الموظف :

— فين الورق بتاعك؟

فرد عليه باستعلاء :

— ما الورق فى إيدك أهه !

— الورق ده عايز تطلع به البسبور ؟ !

— أمال عايز أطلع به شهادة وفاة .

— أنت لازم مخبول .

— وأنا عشان فقير لازم تطلعولى فى الورق عفريت .

— أنت بتشتغل إيه ياواد ؟

— أنا مشجع النادى الاسماعيلى .

— أنت شارب حاجة ياجدع أنت ؟

ثار الناس المنتظرون فى الصف احتجاجا على تعطيل أعمالهم ، فى الوقت الذى ترك فيه الموظف مكانه خلف الشباك ، وخرج إلى الصالة ، وعكم كبير المشجعين من قفاه ، ودخل به مكتب أحد الضباط الكبار .. ومعه الأوراق ، وما إن اطلع الضابط الكبير على الأوراق ، حتى أيقن أن الرجل مجنون ، أو مدمن مخدرات ، فأمر بإيداعه تخشيبة الجوازات حتى ينتهى الدوام الرسمى ، وبعد أن انتهى الدوام سلموه إلى قسم شرطة قصر النيل للتحرى ، وبعد ثلاثة أيام بقسم الشرطة قاموا بترحيله إلى الاسماعيلية ، ولأنه معروف فى الاسماعيلية فقد تمكن من مغادرة محبسه بعد يومين ، وأقسم أمام جميع المشجعين أنه سيفتح كرشى برقبة زجاجة عند عودتى من الخليج .

وعندما عرفت أنه قادم إلىّ فى مكتبى استعديت للقائه بالبطل محمد عفيفى ، وهو ابن شقيقتى ، وهو فى الوقت نفسه بطل مصر وأفريقيا فى لعبة الجلة وهو اللهم صلى ع النبى يفطر فى الصباح ٤٠ بيضة ، ويلتهم راس عجل وجوزين كوارع عجالى فى الغداء ، ويشرب جالون لبن فى المساء ، وأقة جبنة و ٣ كيلو خيار ومثلها طماطم وبطيخة ، وكف إيده فى حجم فردة كاوتش أتوبيس ، وجاءنى كبير المشجعين وعلى وجهه غضب الشياطين جميعا ، ولكنها ـ حكمة الله ـ عندما رأى محمد عفيفى أصبح لطيفا ومهذبا ، وجلس فى هدوء يقص علىّ تفاصيل ما حدث له فى المصلحة ، وطلبت منه وصفا كاملا للموظف الذى فعل معه هذه الفعلة النكراء ، فوصفه لى

بالتفصيل . وهززت رأسى وقلت له :

— أنت راجل خظك وحش ، الموظف ده أنـا أصدرت قـرارا بفصلـه ، واليـوم اللى أنت رحت لـه فيـه كان آخـر يـوم لـه فى الوظيفـة ، ولما شـاف إمضائى حب ينتقم منك !!

— رفع كبير المشجعين يديه إلى السماء وهتف : ربنا ينتقم منه !

وقلت له بعد تفكير عميق :

— خيرها فى غيرها .

وتوسل إلى كبير المشجعين أن أذهب معه فى المرة القـادمة لكى استخرج لـه الجواز بسهولـة وبـدون مشاكل ، ووعـدتـه أن أفعل ذلك عندمـا يحين الوقت . ونهض فى أدب شديد وهو يدعو للعبد لله بالصحة وطول العمر .

ولكنه كان طول الوقت يختلس النظر من تحت لتحت لمحمد عفيفى الذى كان جالسا على المقعد الفوتيل كأنه فيل ساعة القيلولة .

وآمنت وقتئذ بأن الأدب فعلا فضلوه على العلم !!







نادى الشموح

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

هل تذكرون الكابتن رفعت الفناجيلى ؟ إنه واحد من ألمع لعيبة الكورة فى العالم العربى ... وكان كابتن النادى الأهلى المصرى وكابتن المنتخب أيضا.. ولأنه دمياطى .. فقد أطلقت مدينة دمياط اسمه على أهم شوارعها . ولعب دوليا عام ١٩٤٨ ، واشترك فى أوليمبياد لندن ، وكان أصغر أفراد الفريق المصرى ، فلم يكن قد تعدى السابعة عشرة من عمره . وكان الضيظوى هو كابتن الفريق المصرى .

ولأن رفعت الفناجيلى كان كأهل دمياط حريصا وليس بخيلا ، فقد احتفظ بمكافأته وبدل سفره فلم ينفق منهما شيئا وانتهز الضيظوى الفرصة فصرف له النقود الاسترلينية بنقود مصرية ، خمسون قرشا مصريا مقابل كل جنيه انجليزى ! وبالرغم من أن الفناجيلى يعتبر من ابناء جيلى ، الا أننى لم أره الا فى عام ١٩٦٨ عندما كان النادى الاسماعيلى فى جولة بمنطقة الخليج ولأن صفوف الاسماعيلى لم تكن مكتملة بسبب الاصابة ، فقد استعان المدرب ببعض النجوم من الفرق المصرية ، وكان من بين هؤلاء رفعت الفناجيلى من الأهلى ، ومصطفى رياض من الترسانة ، والسوبرى من الأوليمبى السكندرى .

وذات عصرية .. والعبد لله ناصب القعدة فى بهو الفندق . الدشداشة صوف انجليزى فاخر ، والعباءة من أغلى أنواع الوبر ، وبين اصابعى عصا

من الكريـز مقبضها من العاج الافـريقى المعتبر . ورأيت الكابتن سيـد عبد الرازق يقتحم بـاب الفندق ويهرول نحـوى مسرعا ، واقترب منى ومـد يده مصافحا ، ثم انحنى على يدى يقبلها . وعنـدما سألته عما اصابه قال ... إن رفعت الفناجيلى فى طريقه الآن الى الفندق ونريد منك أن تجعل نفسك شيخا لمدة دقـائق فقط ، لكى نـرى كيـف سيتصرف رفعت الفنـاجيلى أمـام هـذا الموقف الذى لم يواجهه من قبل .

كنت أعرف أن رفعـت الفناجيلى يحب النقود أضعـاف حب قيس للست ليلى ، وانه حريص .. الداخل عنده مفقود ، والخارج من عنده اندر من الثلج فى صحراء العرب ، ورسمت نفسى عنـدما أبصرت رفعت الفناجيلى على باب الفنـدق . وما إن اقترب منى حتى هـوى بين يدى يقبلهـا كل من سيد عبـد الرازق وعلى ابو جريشة .

ونظر رفعت الفناجيلى نحوى فنصحه سيد عبد الرازق بالسلام وتقبيل اليـد . وبالفعل ... انحنى الفنـاجيلى فصـافحنى وانهال على يدى تقبيـلا ، والعبد لله يتمتم .. استغفر الله .. استغفر الله وكلما توقف رفعت عن التقبيل ، دفعت بكف يـدى نحو فمـه لكى يواصل التقبيل . وأفسحت مكـانا لـرفعت الفناجيلى بجوارى ، ورحبت به فى (بلاده) ثم سألته :

● إيش تعمل انت ؟

ـ أنا سنتر هاف .

وتصنعت عدم الفهم ، وقلت له :

ـ هادى شركة ولا مؤسسة ؟

ونظر رفعت الفناجيلى نحوى بدهشة ، وقال وهو يضغط على الحروف :

ـ أنا بالعب كورة . وبالعب سنتر هاف .

قلت بدهشة أكبر من دهشته :

ـ تلعب كورة .. ياسبحان الله !!. وأش اسمك .

ـ أنا رفعت الفناجيلى ، أنت ماسمعتش عنى ؟

ـ لا .. والله أنا اسمع فى صالح سليم ، رضا ، شحته ، حمادة امام .. سيد بازوكا .. على ابو جريشه .. مابعرف غيرهم

ومال رفعت الفناجيلى على أذنى وهمس لى :

ـ كل دول ولا حاجة ، أنا بقى اللعيب الحقيقى . وأنا اللى بجيب الأجوان .
قلت بصوت مرتفع :
ـ أنت تجيب الاجوان ؟
ـ نعم .. حتى اسأل عنى .
ـ طيب ليش .. ماتشتغل عندى ؟
ـ وحضرتك بتشتغل إيه ؟
ـ أنا شيخ قبائل الشموح .
ـ أيوه أنا عارف ، لكن هاشتغل عندك ايه ؟
ـ لعيب كورة .
ـ فين ؟
ـ فى النادى بتاعى ؟
ـ وحضرتك عندك نادى .
ـ كيف ما تعرف .. جاهل انت ؟
ـ عدم المؤاخذة ياجناب الشيخ .
واسترسلت فى الحديث عن النادى الذى أملكه ..
ـ دا نادى خصوصى عشان الأسرة ، واسمه نادى الشموح ، القبيلة اسمها الشموح ، والنادى اسمه الشموح ، وعندنا ستة لعيبة شموح والباقى من برة ، واحد من البرازيل .. هادا ياخد مليونى ريال وواحد من المجر هادا ياخد ٨٠٠ ألف ريال ... وعندنا واحد من افريقيا بياخد نصف مليون ريال ، وعندنا واحد من تونس بياخد المبلغ نفسه . وناقص واحد ح نعطيه نصف مليون ريال وبيت وسيارة ، بينى وبينك كنت أفكر فى سيد بازوكا . لكن لو أتأكد انك انت اللى بتجيب الأجوان ، تبقى انت أفضل !
كان سيد عبد الرازق يقف على مقربة منا ، فبادر قائلا :
ـ ياسعادة الشيخ ، أنا بعت تلغراف للست والدتى امبارح عشان افرحها ومش معقول تتفق مع حد تانى .
وأشرت عليه بالصمت قائلا :
ـ ما تتكلم كتير ، والشغل دا قسمة ونصيب ، وأنا وعدتك .. آه ، لكن اللى فى علم الله هو اللى هيمشى !

ومال رفعت الفناجيلى على أذنى مرة أخرى وهمس لى :

ـ دا سيد هنكار .. يعنى كلمنجى ، وأنا بقول لسعادتك اسأل عنى وهتعرف .

طمأنته قائلا :

ـ طبعا راح نسأل .. وكل شىء هيتم خلال يومين ان شاء الله .

فى هذه اللحظة دخل المهندس عثمان أحمد عثمان من باب الفندق ، فأسرع اليه سيد عبد الرازق وهمس فى أذنه بشىء . وما إن اقترب عثمان من العبدلله ، حتى صافحنى منحنيا وخطفت يدى من يده قائلا .. استغفر الله .. استغفر الله .. ثم قلت :

ـ انت وينك ياعثمان ، سألت عنك مرتين ، ثم كيف تيجى هنا وما تفوت على ؟

فقال عثمان معتذرا :

ـ والله أنا مشغول لشوشتى ، لكن مع ذلك أنا غلطان وباعتذر ياسعادة الشيخ .

ولم يعد عند رفعت الفناجيلى اى شك فى ان الجالس الى جواره شيخ بحق وحقيق ، وصاحب نادى كورة هو نادى الشموح .

ولازمنى رفعت الفناجيلى من ركن الى آخر فى بهو الفندق ، لمحت فى عينيه رغبة شديدة فى أن يختلى بى على انفراد ، هيأت له الفرصة بأن استأذنت من الجالسين فى الذهاب الى دورة المياه . وفوجئت عند خروجى من الحمام بالكابتن رفعت الفناجيلى ، وما إن رآنى حتى ابدى رغبته فى الانفراد بى بعض الوقت ، واخذت ركنا منعزلا فى بهو الفندق ، وجلست استمع الى رفعت الفناجيلى وهو يستعرض تاريخ حياته فى الملاعب .. قال رفعت :

ـ شوف ياسعادة الشيخ ، أنا .. اسأل عنى أى واحد ، حتى اسأل عنى هنا فى الخليج ، أنا أحسن لاعب فى مصر كلها ، كل اللى شايفهم انت هنا دول.. ولا حاجة . وبعدين أنا فى الهجوم اهاجم ، فى الدفاع ادافع ، و بالعب فى خط الوسط ، ومع ذلك أنا هداف الدورى عاوز أقولك إنك مش هتخسر حاجة لو انتقلت عندك فى نادى الشلوح .. صححت له الاسم قائلا .. الشموح ..

ورد رفعت قائلا ..

ـ لاتؤاخذنى ، أنا اصلى أول مـرة ، اسمع عن النادى بتاع سعادتك ، وأن كنت أعرف أنه ناد كبير وحقق نتائج كبيرة !

وقاطعت رفعت قائلا :

ـ اذا كنت تتعهد بأنك تجيب جون فى كل مبـاراة باكتب معاك العقد فورا

ورد رفعت متحمسا :

ـ وبتقاطع على رزقك ليه ؟ يمكن أجيب أكثر .

ـ أنـا ما يهمنى أكثـر ، انا يهمنى تنفذ الاتفـاق ، جون فى كل مبـاراة ايه رأيك ؟

ـ مفيش مانع .. بس افرض سعادتك ، أن أنا جيبت الجون والحكم لغاه.

ـ أنت مـاعليك . احنا بنـرشى الحكم قبل المباراة ، أنـت تحط الكورة فى الجول ومالك علاقة بالنتيجة .

قال رفعت مرتاحا :

ـ إذا كـان الأمر كـده يبقى حط فى بطنك بطيخـة صيفى .. إن شـاء الله هاحط فى كل مباراة جونين وثلاثة ..

اعتدلت فى جلستى وقلت :

ـ اتفقنـا ... العقد جاهز بكـرة تفوت علينا فى المساء ، الـدفعة الأولى ربع مليون ريال ، المرتب خمسون الف ريال كل شهر وبيت وسيارة ..

ـ وعفش البيت ؟

ـ احنا بنأثث ، بس يكون فى معلوماتك احنا بنأثث الضرورى .

ـ والمطبخ ؟ جاهز من كله !

ـ مايخالف ..

ـ كويس .. بس أنا عاوز ثلاجة ايديال كبيرة .

ـ إيش ايديال هادا . عندك جنرال اليكتريك .

ـ حلوة زى ايديال يعنى ؟

ـ أيش فيك أنت ؟

ـ ماتـزعلش منى ، أصل أنا عايز ارتاح عشان اتفـرغ للكورة ، وخذ منى اجوان زى ما أنت عاوز .

ــ هادا هـو المطلوب ، ويعـدين ... كل جـون تجيبه عشرة آلاف ريـال . الفوز عليه عشرة آلاف والتعادل خمسة آلاف بس .. مفهوم ؟
ـ طبعا ياسعادة الشيخ ... أنت هيكون عندك الكاس السنة دى .
ـ هادا هوه المطلوب .. ولو خدنا الكاس فيه ربع مليون مكافأة .
ـ ياخبر .. احنا هناخد الكاس والدورى باذن الله .
ـ بس فيه شرط يافنجال .
ـ الفناجيلى ياسعادة االشيخ .
ـ الاسم مايهم ، فنجال .. فناجيـل .. ما فى فرق ! أجولك فيه شرط ... اذا خدنا الدورى ...
ـ أنا تحت أمرك ..
ـ اذا خدنا الدورى ، لازم تتجوز عمتى !
بدت الدهشة على وجه رفعت الفناجيلى ، وقال وهو يتلعثم :
ـ بس أنا أصلى ... قاطعته بغضب شديد :
ـ إيش تقـول ؟ تعتذر عن الـزواج من عمتى . فاهم إنها عجـوز ، هادى ماتجاوزت الستين بأى حـال من الأحوال ثم هـادى عندهـا أملاك ، عنـدها فلوس ،عندها طيارة خاصة عندها قصـور فى كل مكان .
ـ أنـا ماقلتش حاجة يـاسعادة الشيخ ، إنما أنا بس كنت عـاوز أقول ... يعنى ..
ـ إيش تقول .. إنت ما تستحق النعمـة ، أنا ما سمعت فيك ولا أنت لعيب كورة .
وراح رفعت الفناجيلى يعتـذر لسعادة الشيخ ، مبـديا استعـداده لتنفيذ أوامر سعادة الشيخ ، ولكن .. قال رفعت :
ـ أنا بس متجوز ،ياسعادة الشيخ .
وصرخت فى وجه رفعت الفناجيلى :
ـ مسلم أنت والاإيش ؟
ـ مسلم والحمد لله.
ـ طيب إيش فيك ، ليك اربعة حسب الشرع ...
ـ ماقـولناش حاجة ،بس يعنى ايه ؟ المسألـة عاوزة ترتيب يعنى ..مش

أكثر من كده .

ـ مايخالف ، بكرة تكتب العقد ، وكل شيء بإذن الله ...

وتركت رفعت الفناجيلى وغادرت الفندق مع المهندس عثمان والاستاذ المستكاوى . وراح عثمان يستمع لتفاصيل مادار بينى وبين رفعت . وفى النهاية قال عثمان :

ـ اللى أنت عملته ده حرام يامحمود ، الجدع مش هينام لحد الصبح . وبكره فيه ماتش ، ومش هيعرف يلعب بنكله .

واقترح عثمان عند عودتنا الى الفندق أن نصعد الى غرفة رفعت ونصارحه بالحقيقة ، لكى ينصرف عن التفكير فى هذا الأمر ، ولكى يستغرق فى النوم استعدادا لماتش الغد . وبالفعل صعدنا الى غرفة رفعت الفناجيلى ، وأخذته المفاجأة عندما رأى عثمان أحمد عثمان داخل غرفته ، ومع من ؟ مع سعادة الشيخ ! وقال رفعت بلهجته الدمياطية مرحبا :

ـ ايه النور دا كله ، عثمان بك وسعادة الشيخ . وقال عثمان :

ـ يارفعت دا محمود السعدنى الصحفى المصرى ، لاشيخ ولا حاجة ، دا راجل على قد حاله وزينا . وعاوزك تنسى الكلام اللى قالهولك ، وتروق مخك عشان الماتش بتاع بكرة .

ورد رفعت وعلى شفته ابتسامة بلا معنى :

ـ الماتش بتاعنا بكرة ياعثمان بك .

ـ هوه دا المطلوب يارفعت .

وعندما تأهبنا للانصراف قال عثمان لرفعت :

ـ أنا عاوزك تنام كويس .

وعندما مد رفعت يده لمصافحتى ، قال له عثمان :

ـ سلم على عمك محمود السعدنى .

وقال رفعت وهو يصافحنى :

ـ مع السلامة ياسعادة الشيخ ..

وقلت للمهندس عثمان :

ـ دا لسه فاهم إنى شيخ .

ـ لأ ما أظنش .. دا أنصح منك .

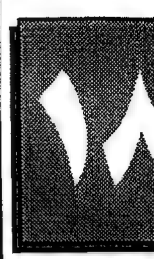
فى اليوم التـالى كنا نجلس فى المدرجـات نشاهـد المباراة بين الاسماعيلى والنادى الخليجى . وفجأة دبت خنـاقة حامية بين اللاعبين ... وهـرولت أنا والمستكـاوى داخل الملعب لتهـدئة لاعبى الاسماعيلى . كنت أرتـدى البدلـة كاملـة . والكرافتة تتـدلى على صدرى ، واقتربت من رفعت الفنـاجيلى الذى كـان مشتبكا فى مـاتش مصـارعـة مع أحد لاعبى الخليج وصرخت فيـه بكل قوة:

ــ حتى انت يارفعت ، بقى أنـا بقـول عليك عاقل وراجل كبير وفـاهم ، ألاقيك نازل ضرب أنت راخر .مش عيب عليك يارفعت ونظر نحوى طويلا ، وبان الخجل على وجهه .

صدقنى ياسعـادة الشيخ انا ماعملتش أى حاجـة، هو اللى ضربنى، اى والله كده ياجنـاب الشيخ .. وقلت للفناجيلى .. لأ ده انت باين عليك اتجننت فعلاً يارفعت .

فنظـر الىّ مستعطفاً .. واللـه يـاحضرة الشيخ أنـا عقلت ومستعد أنفـذ شروط العقد وخصـوصاً بند الست عمتك .. بس أوعى تزعل منى يـاسعادة الشيخ ربنا يخليك .

وهنـا قـررت أن أنسحب من الملعب بعـد أن وصل صـوتـه إلى أسماع الجمهور فى المدرجـات . لكن الفناجيلى تبعنى كظلى وأنا أهـدىء من روعه .. يا ابنى أنـا محمود السعـدنى الصحفى المصرى كنت راكب معاكـم الطيارة من القاهـرة .. ولكن الفناجيلى راسه والف سيف إننى شيخ قبـائل الشلوح وأننى زعلان من فعلته فى الملاعب وعلى هذا الأسـاس ادعيت أننى الصحفى المصرى محمود السعـدنى .. ومرت سنـوات طويلـة على هذا المقلب قبل أن يعرف الفناجيلى حقيقة الأمور !!





ديوان الشمس الطالعة

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

في ايام (الحكم الشمولي) كان العبد لله مسئولا عن الجيـــزة وكنت اتخذ من محل الحلاق أحمد عبد العال بشارع الفاتح محلا وعنوانا مختارا ، لم نكن مثل المسئولين في أيام الانفتاح والانفشاخ نجلس في شيراتون أو في نادى الجزيرة ، وأمام دكـــان أحمد، عبـــد العـــال جلس عشرات من المسئولين الكبار ، مصريين وعربا ، مسئولين كبـاراً في الاتحاد الاشتراكي وفي الحكـــومـــة وفي الوزارة ، محافظين ورؤساء مدن ورجال سياسة ، وكل اعضاء مجلس الثورة السوداني ـ ماعدا النميرى ـ جلسوا أمام دكـان أحمد عبد العـال الحلاق ، كلهم ومن أول خالد عباس وزير الحربية ونائب الرئيس وإلى بابكر النور قائد الانقلاب ضد النميرى ، وأحـــد الـذين أعـــدمهم النميرى بعـــد عـودته إلى السلطـة ، ورؤساء أحزاب من سوريا وزعماء معارضة من العراق ، وأدباء كبار من كل أنحاء العالم العربى .

وكـــان من عـــادة حسين الالفـــى مستشـــار المجلس الأعلى للشبـــاب والرياضـــة حاليا الحضور أحيـانا إلى دكان أحمد الحلاق ، فقد كـان وقتها

رئيسا لمدينة الجيزة ومسئولا فى التنظيم الطليعى .

وذات مساء فوجئت ونحن جلوس أمام الدكان بالشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل يحضر الينا ، ولم يكن من عادته أن يفعل ذلك ، فهو شاعر هائم فى دنياه ، وهو يتكلم غالبا مع نفسه ونادرا مع الناس ، جاء عمنا الشاعر الكبير على غير عادته وجلس وراح يتجاذب أطراف الحديث مع الحاج إبراهيم نافع والأسطى أحمد الحلاق ، وتصورت أن محمود حسن إسماعيل فى سبيله لوضع قصيدة عن قوى الشعب العامل لالقائها فى عيد العمال ، ولكن محمود حسن إسماعيل ألقى فجأة نظرة على ساعته وسأل العبد لله :

ـ مش السيد حسين بيجى هنا ؟

ـ حسين مين ؟

ـ السيد حسين الالفى .

ـ أيوه .. بس مش كل يوم .

وسرح عمنا محمود حسن اسماعيل فى بحور شعره ثم عاد إلى جلستنا مرة أخرى .. وسأل العبد لله :

ـ مش صاحبك هوه ؟

هززت رأسى موافقا فقال ..

ـ أصل أنا ليه عنده مصلحة بسيطة .

ـ قوى .. تحت أمرك .. خير ..

ـ انا اصلى فكرت فى الآخر أعمل بيت للعيال بس الاخ حسين مدوخنى .

ـ ليه ؟

ـ ماهو الأسمنت من مجلس المدينة ، والحديد من مجلس المدينة وكل حاجة فى مجلس المدينة ,

ـ طيب ماتروح لحسين .. دا راجل ظريف وطيب خالص

ولعق الشاعر الكبير شفتيه ، ثم مصمص بشدة ، ثم غمغم ثم نفخ ثم قال :

ـ ما انا رحت له المكتب من كام يوم بس عاملنى معاملة يعنى .. مش عاوز أقول سيئة ، لكن ممكن وصفها بالباردة ..

وقاطعه الحاج ابراهيم نافع قائلا :

ـ يمكن مايعرفش انك أنت الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل .
وقال الشاعر :
ـ أنا قدمت له البطاقة التى تحمل اسمى ، وتعمدت أن اذكر له أكثر من مرة أثناء حديثى معه أننى الشاعر محمود حسن إسماعيل ، لكن يظهر أنه كان ضابط جيش ثم أصبح موظف حكومة ويبدو أن علاقته بالشعر مثل علاقة حضرتنا بالمصارعة !
ولزمت الصمت لحظة ثم قلت للشاعر :
ـ بالتأكيد هو عارف انت مين ووزنك إيه بالضبط ؟
ـ أنا برضه اعتقد كده .
وحدقت طويلا فى وجهه وقلت له :
ـ بس أنت اللى غلطان مش هوه .
وقال محمود حسن إسماعيل منزعجا ...
ـ أنا .. ليه ؟
ورسمت علامات الجد على وجهى وقلت له :
ـ هل حدثت حسين الألفى عن ديوانه الجديد .
وبدت الدهشة الشديدة على وجه الشاعر ، وقال :
ـ حسين الألفى له ديوان شعر جديد ؟
ـ طبعا ..
ـ معنى ذلك أن له ديوان شعر قديم .
ـ دواوين شعر من فضلك .
ـ معنى ذلك أنه شاعر .
ـ والمشكلة أنك لاتعرف ذلك وشاعر مثل حسين الألفى ومهما كانت طبقته بين الشعراء ، كان يهمه جدا وقد وجد شاعرا مثلك أمامه ان يسمع ولو كلمة مجاملة واحدة فى شعره ، ولكن تجاهلك له واهمالك لابد أنه جعله يرد لك الصاع صاعين ، فلا أسمنت ولا حديد تسليح ولابيت ولا هم يحزنون !
وسرح محمود حسن أسماعيل بعيدا ، وقال فى قلق ظاهر :
ـ وديوانه الأخير اسمه إيه ؟
كان السؤال مفاجئا ، وضربت لخمة مع العبد لله ، فقلت له ـ إيه .. إيه ..

الشمس طالعة .

قال باشمئناط شديد :

ـ ودا عنوان ديوان شعر ؟

واجبته بسخرية ...

ـ ماهو شاعر على قده كده ، يعني زى ما تقول كده ف سلاح الشعر ، لكن مهما كان ، انت اللى غلطان ، انت رايح له ومحتاج له وهو شاعر ويمكن واخد فى نفسه قلم وفاهم انه امير الشعراء احمد شوقى فلما تقابله وتقعد ساكت يبقى مش واخد اسمنت ولا حديد .

ـ والعمل ... ؟

ـ بسيطه ...

ـ أنت تروح له بكره وانا هاتصل به ، هاتقوله إنك معجب بالشعر بتاعه، وإنك كنت مكسوف تتكلم معاه أحسن يفتكر إنك بتنافقه .

ـ طيب والديوان فين علشان اقراه .

ـ هاحاول أجيبهولك بس انت تروح له واطلب نسخة ويكتب لك إهداء كمان ، وعلى العموم تتكلم معاه بشكل عام عن جزالة اللفظ وعمق المعنى وذكاء التناول وحاجات زى كده .

وانبسط عمنا محمود حسن إسماعيل وانصرف على وعد ، منه بأن يتصرف كما رسمت له .

وفى اليوم التالى اتصلت بالأخ حسين الألفى رئيس مجلس مدينة الجيزة وعاتبته لعدم اهتمامه برجل فى حجم الشاعر محمود حسن إسماعيل أمير شعراء زمانه .

وسكت حسين الألفى فترة ثم صاح فى التليفون ؟

ـ ياخبر .. هو دا الشاعر ؟

فلما أجبته بالايجاب قال :

ـ انت عارف أنا مشغول لشوشتى ، وطول النهار قاعد فى المكتب وسط المشاكل ، وهوه بالفعل جانى وقعد معايا ، بس لمعلوماتك هو عاوز ياخد حديد وأسمنت أكثر من حقه ، وقلت للأخ حسين الألفى :

ـ يعنى هية وقفت عند محمود حسن إسماعيل ، ثم دا راجل شاعر وفنان ، ودا صوت مصر ، وهايعمل بيت يسكنه مش يتاجر فيه ، يبقى

لازم نكرمه ياعم حسين .

وقال حسين الألفى :

ـ خلاص ، راجل زى ده لازم نكرمه فعلا ، خليه يفوت على ، وحكيت لحسين الألفى تفاصيل ما دار بينى وبين الشاعر الكبير ، وقلت له سيكلمك عن شعرك وديوانك الأخير ودواوينك القديمة ، وأرجو أن تظهر له سرورك الشديد بتقديره لشعرك .

وقال الأخ حسين :

ـ يارجل .. أحسن يفتكر أن الامور ماشية عندى بالشكل ده واللى يعجبه شعرى أديله اللى هوه عاوزه .

ـ وهو انت شاعر ؟

ـ أنا شاعر بتعب .

ـ على العموم هنبقى نقعد معاه وتفهمه الحكاية ، عشان يعرف إن الشاعر مش لازم يعيش مقفول فى دنياه بس ، وإنما لازم يبقى صاحى ويعيش مع الناس كمان .

وفى اليوم الموعود ذهب الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل لمقابلة الشاعر حسين الألفى ودار بين الشاعرين أغرب حوار فى تاريخ الشعر العربى ، ولم أعرف تفاصيل هذا الحوار إلا فى اليوم الثانى ، أو بمعنى أصح فى مساء اليوم التالى ، عندما حضر الى دكان أحمد الحلاق حسين الألفى ومعه الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل . وكانت جلسة حافلة بعتاب شديد اللهجة من الشاعر ، وضحك متواصل من جانب حسين الألفى .

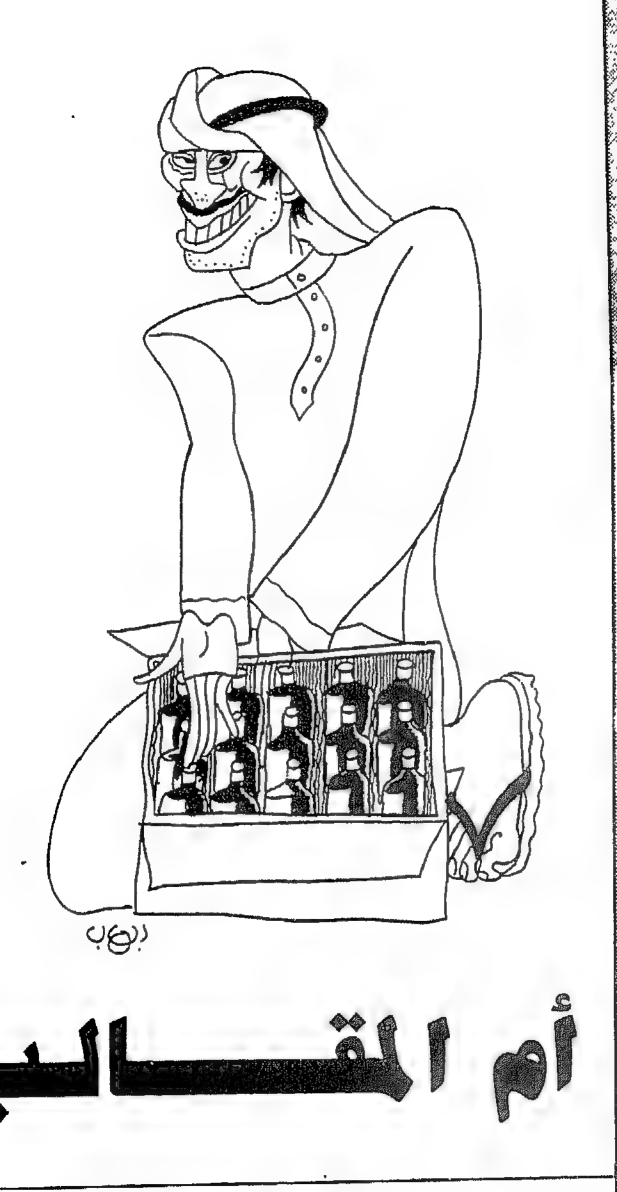
وأصل الحكاية إن محمود حسن إسماعيل عندما دخل مكتب حسين الألفى راح يعتذر له عن تقصيره فى دراسة شعره ، وقال ان من سلبيات الحركة الأدبية هو عدم اهتمام الكبار بأدب الجيل الصاعد (حسين الألفى كان بدرجة وكيل وزارة فى ذلك الوقت) ولكنه تعلل بكثرة انشغال الأدباء الكبار ، وعدم وجود الوقت اللازم للاطلاع على إبداع الجيل الجديد ، وضرب محمود حسن إسماعيل مثالا على ذلك بنفسه ، فهو إلى جانب اهتماماته بالشعر يعمل موظفا بالاذاعة ، وهو رئيس لجنة الاستماع بها ، وعضو بالمجلس الأعلى للفنون ومقرر لجنة الشعر به ، وعضو مجلس إدارة نادى الأدباء ومسئول عن مهرجان شعراء الأقاليم بالثقافة

الجماهيرية ولكنه وعد حسين بالرغم من مسئولياته ومشغولياته بدراسة شعره وتحليله . وطلب من حسين نسخا من دواوينه . ونسخة من ديوانه الأخير وعليها إهداء حسين وتوقيعه !

وبعد ان انتهى محمود حسن اسماعيل من محاضرته الطويلة مد حسين الألفى يده إلى محمود حسن إسماعيل وبهاموافقه على كميات الحديد والأسمنت المطلوبة ، وقال له حسين الألفى .

ـ أستاذنا الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل : فى الحقيقية انا مجرد ضابط جيش وكنت ضمن الضباط الأحرار . واشتغلت فترة سكرتيرا عاما لمحافظة السويس ، ثم جئت رئيسا لمدينة الجيزة ، وأنا لشدة انشغالى لم أدرك أن الرجل الذى جاء إلى مكتبى هو محمود حسن إسماعيل الشاعر الذى ملأ حياتنا شعرا وغناء ، ولذلك أرجو أن تعذرنى ، ثم اننى بينى وبين الشعر مثل الذى بين الأرض والقمر . فلا أنا شاعر ولا أنا اديب ، ولكنه مقلب من مقالب السعدنى ولذلك لابد أن نذهب اليه معا ، حتى يتعلم أن المقالب لا تنجح دائما ، وهكذا كان لقاؤنا نحن الثلاثة امام دكان احمد الحلاق فى شارع الفاتح بالجيزة ، وصار محمود حسن إسماعيل من تلك اللحظة من رواد قعدتنا ، وظل مواظبا عليها حتى خروجه على المعاش . لكن لم ينقطع محمود حسن اسماعيل عن المجىء إلى دكان أحمد الحلاق إلا بسبب سفره إلى احدى الدول العربية . وبعده بسنوات قليلة ذهبت أنا الآخر إلى هناك هربا من مطاردة الرئيس المؤمن .

ولأن المثل الشعبى يقول للغريب كون اديب فقد قررت بينى وبين نفسى أن أجمد هواية ضرب المقالب حتى تحين العودة إلى أرض الوطن. ولكن ذات مساء وجدت ضحية تسعى إلى العبد لله بإرادتها . فى أول الامر حاولت بشدة أن امنع نفسى ولكن النفس الأمارة بالمقالب انتصرت فى نهاية المطاف فكان المقلب الذى أحدث صدى رهيبا فى عاصمة هذه الدولة العربية .



أم المقالب

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

وعلى وزن أم المعارك .. كان هذا هو أم المقالب بلا جدال !

مسرح الأحداث كان فى عاصمة عربية لا داعى لتحديد مكانها الآن . والضحية رجل من وجوهها لم يكن به نقص الا رواياته المزعومة عن علاقاته بالوسط الفنى فى القاهرة ، وبالفنانات على وجه الخصوص . ما اجتمعت به فى أى وقت الا راح يحدثنى عن علاقاته المتعددة بالنجمة الفلانية ، ومعاركه مع النجم المشهور إياه من أجل الممثلة الفاتنة إياها ! كان العبد لله مهاجرا فى تلك الأيام رغم أنفه ، ولأن الزن فى الودان يعمل عمل السحر ..

فقد تصورت أن الأحوال فى الوسط الفنى قد تدحرجت إلى هذا المستوى . والسبب أن الفكرة التى كونتها عن الشخص إياه كانت فى غير صالحه . صحيح انه كان وسيما وثريا ولكن لاشىء بعد ذلك . اذا فتح فمه بالكلام انحنيت لتخلع فردة حذائك . اذا تعرض أحد الموجودين لموضوع جاد ... أشاح بوجهه ولزم الصمت . مثل هذا الشخص يستطيع أن يقيم علاقات عابرة ، أما أن يقيم علاقات دائمة ويدخل فى سبيلها معارك مع الآخرين ... فاسمح لى !

المهم أننى لم اتوقف كثيرا عند هذه الحالة المرضية التى يعانى منها

صاحبنا إياه ، واعتبرتها حالة لابأس بها ، ولها فضل فى قتل أوقات الفراغ !
ولكن المقلب جاء مصادفة وبدون ترتيب كان الصحفى على كامل فى زيارتى عندما دق جرس التليفون فى مكتبى وكان المتحدث هو صاحبنا نفسه . سألنى أن أزوره فى منزله ولكنى اعتذرت . فسأل عن السبب فأجبته بأن رشدى أباظة هو ضيفى هذه الليلة . صرخ باهتمام شديد :
ـ احلف ..
قلت بدون مبالاة :
ـ واحلف ليه اذا كان رشدى قاعد قدامى .
ـ طيب .. اذا كان رشدى عندك ، ارجوك تيجى وتجيبه معاك .
ـ أسال رشدى الأول .. وبعدين أجاوبك .
ـ أرجوك يامحمود ، والله أنت ما تعرف منزلتك عندى هتكون أد إيه !
لزمت الصمت لحظات وكأننى أسأل رشدى أباظة ، ثم قلت لصاحبنا الملهوف على استضافة رشدى :
ـ مفيش مانع .. بس بشرط .
ـ أنا مستعد وحاضر .
قلت له وكأننى الجنرال ايزنهاور يملى شروطه على القادة الألمان :
ـ أولا رشدى أكول وأنت من أنصار نظرية الطعام مكروه للضيوف .
ـ ثانيا رشدى يشرب كثيرا ، وأنت لا تسمح بأى شراب للضيوف الا فى حدود القهوة والشاى !
راح صاحبنا يصيح على التليفون وكأنه مجنون :
ـ اسمع يامحمود ،خروف مشوى من أعظم فنادق العاصمة .. ما رأيك ؟
ـ عظيم ..
ـ وزجاجتان من أشهر الأصناف ..
ـ ماذا تقول ؟ لا تكفى ياصديقى ، لأن النجم الشهير رشدى الذى يزور عاصمتك لأول مرة ، ويختصك أنت بالذات للسهر فى بيتك . لا أقل من صندوق كامل يأخذه معه بعد انتهاء السهرة .
أجاب مستسلما :
ـ مفيش مانع .. صندوق كامل !

لم يساورني أي شك وأنا في طريقي إلى منـزل صديقنا في أنه سيكتشف الملعوب بعـد دقائق قليلة . صحيح ان الأستـاذ على كامل كان قـريب الشبه من رشدى أباظه ، ولكن على كامل كان أنحف وأقصر . ويستطيع أى انسان شاهد رشدى أباظة أكثر من مرة في السينما أن يتبين الفرق . وقلت لنفسـى ، على العموم سيكون اكتشـافه لشخصية على هو مـادة السهرة . ولكن الذى حدث بالفعل .. كان أغرب من الخيال .

استقبلنا صاحبنـا عند الباب ورحب بالأستاذ رشـدى كثيرا ، ثم تقدمنا إلى الداخل . وبعد أن جلس رشدى في صـدر المكان ، أسرع صـاحبنا إلى فتح التليفزيـون ، ثم فتح النافـذة . ثم فتح الباب . ثم فتح جهـاز الاستريو ، ثم جلس وفتح التليفـون . وراح يتصل بالأصـدقاء . ودار الحديث بينـه وبين الأصدقاء على هذا النحو :

— ما تصدق عندى مين ! رشدى أباظة . آى والله والأستاذ رشدى قاعد قدامى !

ثم يغلق التليفون ويعاود الاتصال :

— ما تصدقين عنـدى مين ! استاذ رشدى أباظـة ، تعالى بنفسك سلمى عليه ، أقول .. تعالى بنفسك .. الكاميرا ؟ مافى مانع ثم يغلق السماعة ويعاود الاتصال .

— أقول رشـدى أباظـة .. تعال اسهـر معانا .. اضحك عليـك أنا ؟ أنت حر.. بكرة تندم .

انتـابني الخوف أن يحضر بعض هـؤلاء المعارف فيكتشفـوا الملعـوب ، وتنتهى سهرتنا إلى مأساة . امسكت بسماعة التليفون ونهرته قائلا :

— الأستاذ رشدى يحب الهدوء .. ما يحب الزحمة !

لزم صـاحبنا الصمت ثـم سرح بعيدا عن المكـان والزمان . حـاولت أن أنعش ذاكرته للـوفاء بوعوده التى التزم بها ، فـاستجاب على الفور ، اتصل هـاتفيـا بفندق شـهير طالبـا .. « خروف مشوى » وسلـطات من كل الأنوع وحلوى فاخرة ، ثم قال للآخر الذى كان يتحدث معه وبدون مناسبة :

— بس خد بالك ، لأن اللى هياكل الخروف أستاذ رشدى !!

بعد ذك لـزم الصمت فلم ينطق بحرف . تصورت أنه سينـاقش (أستاذ

رشدى) فى فيلمه الأخير ، تصورت أنه سيستعرض معلوماته الفنية أمام الأستاذ ، تصورت أنه سيسأله عن أحوال فلانة التى عشقها ، وفلانة التى دخل معارك من أجلها ، وتصورت أنه سيذكر الأستاذ بجلسة معه فى بيت فلانة أوعلانة !! ووضعت يدى على قلبى خوفا من أن يتعرض فى حديثه لفيلم من أفلام رشدى يكون على كامل نفسه لم يشاهده ! ولكن الله ستر ، فلم يفتح صاحبنا فمه بأى كلام . ومر الوقت بطيئا قاتلا بينما القلق ينهش قلبى خوفا من دخول ضيف يكون على علاقة بالأستاذ رشدى الحقيقى ، أوعلى علاقة بالدوبلير .. الأستاذ على كامل .. وحدث ماكنت أخشاه . وصل ضيف عجوز ونظره على قده .. كما يقولون . ثم اكتشفت أن القادم خادم قديم لدى العائلة .

ومد الخادم العجوز يده يصافح الضيوف ، وما إن وقع بصره على الأستاذ على كامل حتى صاح صارخا :

— هاى .. هاه .. هوه دا .. هاى .. هاه .. هادا هاوه .

ابتسم صاحب الدار ابتسامة عريضة ، ثم راح يشجع خادمه على اكتشاف الحقيقة قائلا :

— مين هادا ؟ !

قفز الخادم العجوز قفزة هائلة ودار حول نفسه دورة كاملة ثم قال وكأنه اكتشف سرا حربيا :

— هادا .. هادا .. هادا فريد شوقى !!

أجبت الخادم ضاحكا :

— ياسلام على العبقرية .. مضبوط فريد شوقى !

صاح صاحبنا فى وجه خادمه مؤنبا :

— ياحمار .. ما تفهم أنت .. هذا أستاذ رشدى أباظة .

ألقى الخادم العجوز نظرة أخرى على الأستاذ على كامل ثم قال :

— آه .. فريد شوقى .

نهر صاحبنا خادمه بشدة ، ثم التفت للأستاذ على كامل وقال :

— عفوا أستاذ .. هادا حمار ما يفهم .

لم يـرد على كـــامل على صاحب الدار ، واكتفى برسم ابتسامة عريضة على شفتيه !

وفجأة وقع مـاكنت أخشـاه . جـاء صـديق لصـاحب الـدار ليسلم على الأستاذ (رشتى) أباظـة .. ودخل وصافح رشتى واحتضنه بشـوق شديد ثم حاول أن يلتقط له صورة بكـاميرا كانت معه ولكن الكاميرا لم تكن تعمل بسبب ضعف أصاب البطاريات ، فاستأذن وتركنا مسرعا ليحضر بطاريات جديـدة . ودعوت الله الا يعـود ، واستجاب الله لـدعائى فلم يحضر . وحضر الأكل وجاء به شـاب مصرى لم يتجاوز الثلاثين . ووضـع الطعام على المائدة وتناول الحسـاب من صاحـب الدار ثم نظـر نحونـا بدون اهتمام . ونهره صاحب الدار قائلا :

ـ مالك .. عميت انت ، ماتشوف مين قدامك ؟

أرعش الشاب حاجبيه ونظر نحونا فى اضطراب ثم قال :

ـ لامؤاخذة ، انتو أحسن ناس ، ربنا يزيدكم من نعيم الله !

واعتذر صاحب الدار عن غباء العامل المصرى وقال :

— هـادول مساكين والله ، مـايشـوفـوا أفـلام ولا تليفزيـون ، هـادول يشتغلوا عشان الفلوس وبس !!

أكلنا بفضل الله وشربنا ، وانفضت السهرة على خير ، وعند انصرافنا قلت لصاحب الدار :

ـ فين الصندوق اللى أنت وعدت به ؟

تـردد قليـلا ، ولكن صرخـة خرجت من فمـى جعلته يسرع بـاحضـار الصندوق . وضعـت الصندوق فى السيارة وعـدت إلى صاحبنـا .. وهمست له:

ـ وأنا ؟!

ـ انت إيه ؟!

ـ أنا اللى جبتلك رشدى ؟!

ـ عاوز إيه ؟

ـ «زجاجتين» ...

ـ زجاجة واحدة بس .

ـ كده .. طيب ،ان جبتلك حد تانى !!

ـ طيب طيب ... بس اوعدنى اى فنان يحضر من مصر تجيبه !

ـ حاضر ان شاء الله .

وأسرع صاحبنا الى داخل الدار ، ثم عاد ومعه «زجاجتان» .

فى اليوم التالى كانت العاصمة إياها قد سمعت بقصة الاستاذ (رشتى) الذى قضى الليلة فى بيت الأخ إياه . وتوالت المكالمات التليفونية على منزل صاحبنا .

ـ كيف تصدق ؟

ـ معقول ياأخى رشدى أباظة هنا والجرائد ما تكتب ، والتليفزيون مايقول شىء؟!

ـ ثم هادا الشخص اللى جاء عندك أقصر وأنحف !!

واختفى صاحبنا شهرا لايكلم أحدا . وانقطعت عن زيارته . بطبيعة الحال .

ومرت سنوات طويلة قبل أن أتلقى منه مكالمة تليفونية وانا مقيم فى بغداد . وبعد السلام والكلام طلب منى أن اتصل بصديقه المحامى وابلغه بنبأ وصوله يوم السبت القادم ، وأوصيه بضرورة حجز جناح له بفندق بغداد ، واعداد السهرة المعتادة له بلوازمها من مشروب وبنات ، وأعطانى رقم تليفون المحامى صديقه ووعدته خيرا وعلى بركة الله .

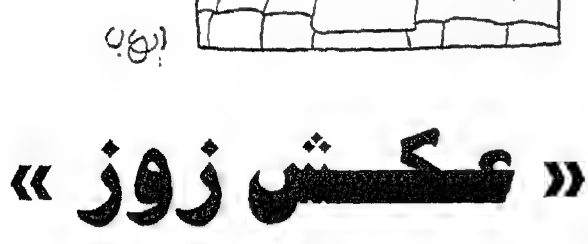
ولم أتصل بأحد ، ولكنى طويت الورقة التى تحمل رقم التليفون وكان الله يحب المحسنين .

بعد أيام كنت فى زيارة صديق مسئول بوزارة الاعلام ، اخرجت الورقة التى تحمل رقم التليفون وعرضتها عليه ، وسألته عن صاحب الرقم إياه . وكانت المفاجأة ... انه رقم أحمد حسن البكر رئيس جمهورية العراق .

ولم أشاهد صاحبى هذا حتى الآن . الرجل الذى كان ضحية ام المقالب على وزن خالتى أم المعارك ، يرحمها الله !







« عكش زوز »

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

ولم تقتصر مقالب العبد لله على حدود مصر والعالم العربى ولكنها خرجت إلى حدود أبعد وأوسع مدى . وأصل الحكاية ان العبد لله كان عضوا فى وفد مصر إلى مؤتمر الشعوب الآسيوية الأفريقية المنعقد فى غانا . وكان الوفد المصرى برئاسة خالد محيى الدين . وكان أكبر الوفود ويضم عددا كبيرا من مشاهير الأدباء أمثال يحيى حقى وعبدالقادر القط واحسان عبدالقدوس . وكان يوسف السباعى هو سكرتير عام المؤتمر باعتباره سكرتير عام المؤتمر الآسيوى الأفريقى بالقاهرة . وجاءت طائرة روسية ضخمة إلى مطار القاهرة حملت أعضاء الوفد المصرى وبعض الوفود الأخرى التى كان أفرادها يعيشون كلاجئين سياسيين فى مصر .

وكان من بينها وفد خليجى يرتدى أفراده العباءة والدشداشة والعقال . وجاء مقعدى بالطائرة إلى جوار رئيس هذا الوفد الخليجى ، وكان إلى جانب العباءة والعقال يحمل فى يده شنطة سامسونايت آخر طراز مكسوة بجلد تمساح مدبوغ بطريقة يسيل لها اللعاب . وعندما حلقت بنا الطائرة فى الجو نظر جارى فى وجهى نظرات فاحصة ثم سألنى :

— أنت محمود السعدنى ؟

— نعم .

— يا هلا .. والله احنا نقرالك ونحبك .

— يا ألف مرحب .

ورحنا نتبادل أطراف الحديث .. حتى حطت الطائرة على أرض الجزائر وبتنا ليلة فى الجزائر تجولنا فيها ليلا فى حى القصبة ، والقصبة كلمة عربية ضليعة على رأى الشيخ عبدالعال ، ومعناها العاصمة ، وكل قصبة فى أى مدينة عربية كانت هى العاصمة القديمة . فلما اتسعت المدن وامتدت ودخلها المستعمرون أطلقوا على العاصمة القديمة اسم الكسبا . وأنتجوا عنها أفلاما ، ولأن القصبة كانت من مخلفات العصور الوسطى ، فلذلك كانت حواريها ضيقة ومساربها ملتوية ومظلمة ، ولأن المستعمرين كانوا يريدون تشويهنا فقد افترضوا أن هذه الكاسبا هى بؤرة للجريمة وماخور للدعارة ومخانة للمخدرات ووكر للجواسيس . وصدقنا نحن أيضا هذه الاشاعة ، وتخلينا عن الاسم العربى القصبة . والتوت ألستنا ونطقناها الكاسبا .

المهم أيها السادة لم تقع لنا أحداث تذكر فى تلك الليلة إلا أن رئيس الوفد الخليجى الذى يحمل شنطة سامسونايت مكسوة بجلد التمساح توقف فجأة أثناء جولتنا وقال للعبد لله :

— أستاذ .. عكش زوز ؟

ولم أفهم فى البداية ولكنه شرح لى الأمر . زوز يعنى زوج ، والمقصود زوج دولارات .. ولما لم يكن معى دولارات ، فقد نفحته زوز استرلينى وتكرر الأمر بعد ذلك فى باماكو عاصمة مالى وفى داكار عاصمة السنغال وفى أكرا عاصمة غانا .. عند هذه المحطة كان رئيس الوفد الخليجى إلى مؤتمر الشعوب الآسيوية ـ الأفريقية قد لهف ثلاثة أزواز ، جمعهم ٦ جنيهات استرلينية .

ولكى تدرك جسامة هذا المبلغ ومدى تأثيره على ميزانية العبد لله أقول لحضراتكم اننى قد غادرت القاهرة ومعى خمسة جنيهات استرلينية كان

مسموحا بالخروج بها لأى مصرى يحصل على تأشيرة خروج من مصلحة الجوازات المصرية ، ولأن العبد لله كان على علاقة صداقة بالرجل المسئول عن إدارة النقد الأجنبى فى الحكومة المصرية وهو الأستاذ محمد الخواجة ، فقد سمح للعبد لله بتحويل ٢٥ جنيها مصريا حصلت بمقتضاها على ١٨ جنيها إنجليزيا فأصبح المجموع ٢٣ جنيها . وأيضا لأننى لاأطيق القيود الأميرية ولاأخضع لها فقد تمكنت من تهريب ورقة مالية من فئة الخمسين دولارا تساوى فى ذلك الزمان ٢٠ جنيها إنجليزيا فيصبح المجموع هو ٤٣ جنيها استرلينيا هى كل ثروتى فى الحياة .

المهم اننا وصلنا أخيرا إلى قرية وينيبا على شاطىء المحيط حيث ينعقد مؤتمر الشعوب الآسيوية ـ الأفريقية فى جامعة نكروما للتكنولوجيا . ونزلنا جميعا فى مساكن طلبة الجامعة . رؤساء الوفود ومنهم رئيس الوفد الخليجى انزلوهم فى أجنحة وأعطوا كل فرد من أفراد الوفود حجرة ، وأعطوا الصحفيين حجرة لكل اثنين ، وكنت سعيد الحظ ، لأننى أقمت فى غرفة واحدة مع المرحوم فيليب جلاب . ولم يكن الجناح هو الميزة الوحيدة التى حصل عليها رؤساء الوفود ، ولكنهم حصلوا أيضا على سيارة بسائق ، والسيارة من النوع الباكار موديل سنة ٦٢ سوداء اللون ، وهذا النوع من السيارات كان مخصصا لكبار المسئولين فى الحكومة الغانية .

وقبل انعقاد المؤتمر بيوم واحد توقفت سيارة رئيس الوفد الخليجى أمام المكان الذى اخترناه لجلستنا اليومية ، وكان مكانا ساحرا فى حديقة الجامعة وتحت شجرة مانجو مثمرة ، كان يتساقط منها بين الحين والآخر ثمار المانجو الناضجة فنسرع إليها ونغسلها ثم نلتهمها . جاء رئيس الوفد الخليجى ونزل من سيارته الفارهة وجلس معنا وبعد فترة دامت نحو ساعتين استأذن فى الانصراف واقترب من العبد لله وهمس فى أذنى قائلا :

ــ عكش زوز ؟

وأسرعت ملبيا الطلب وضربت يدى فى جيبى وأخرجت له زوز من الجنيهات الاسترلينية ناولته إياها فصار الميزان التجارى بينى وبينه لصالح العبد لله بنسبة ٨ جنيهات استرلينية . ولاأكذب عليكم إذا قلت لكم اننى فرطت فى نقودى بنية سيئة ، فالعبد لله مثل أبناء جيله كنا نسمع

قصصا عن ثراء أبناء الخليج وتبذيرهم فى الانفاق وتفننهم فى بعثرة الأموال أحيانــا بسبب وغالبا بـدون سبب ، ثم إن منظر الشنطة التى كـان يحملها معـه كانت تـوحى لمن يـراها بأنها تحمل خيرات كثيرة ، كما ان فكـرتى عن الـرجل وشنطته انـه أرض صالحة للـزراعة وان الأزواز التى حصل عليهـا ماهى إلابذور لاتلبث ان تطرح ثمرا وفيرا .

غاب رئيس الوفـد لمدة يومين انشغل فيهما فى مقابلة الـوفود وفى الاعداد لخطبته النــارية العنترية التى سيلقيهـا فى جلسة اليوم الثــالث ، ثم عاد إلى جلستنا تحت شجرة المانجو ، وأكل معنــا نصف ماجمعناه فى ذلك اليوم ثم شرب الشاى الذى أعـده لنا الشيخ موسى ، وهو مسلم غــانى كان مستعدا لأن يـدفــع حيـاتــه ثمنــا لشريط تسجيل عليـه صـــوت الشيخ مصطفى اسماعيل، وبعد ان انتهت القعدة اقترب منى وهمس فى أذنى :

— عكش زوز ؟

وضربت لخمـة مع العبد للـه ، فلم يعد معى من الأزواز إلا قليــلا ، ولكن لأن الطمع يقل ما جمع فقد أعطيته الزوز ، ولكن لأن الكيل فاض بالعبد لله ، فقد سألته على استحياء :

— أنت مافكيتش الحوالة ؟

— حوالة إيش أنا ما معى حوالة .

— أقصد الشيك .

— أنا ما معى شيكات .

— أمال إيه الحكاية ؟ لازم تروح البنك بنفسك .

— وليش أروح البنك مالى مصلحة هناك .

قلت وقد غلب حمارى وضاق صدرى واستبد بى القلق :

— آه يبقى لازم تروح السفارة علشان تقبض .

— أنا ما أقدر أروح السفارة .

— ليه ؟

— كيف أروح السفارة وأنا زعيم الحزب الاشتراكى .

اشتراكى يـابن المركوب ، أول خليجى أعـرفه فى حيـاتى يطلع اشـتراكى ويلهف من الـرأسمالى العـربى الكبير العبد للـه نصف دستـة من الأزواز ، وكدت أنحنى وأخلع حذائى ليس لضرب الخليجى الاشتراكى ، ولكن لأنهال بالضرب على رأس العبـد لله ، أنـا أستحق الضرب بالفعـل ، لأن هذا المؤتمر الذى نحن فيـه هو مـؤتمر للمناضلين الوطنيين وللمكـافحين السياسيين ، وأعضاؤه مكـافحون أى نعم ووطنيون مافيش كـلام ولكنهم جميعا أنظف من الصينى بعد غسيلـه . كل أعضاء الـوفود المشـتركـة يعيشـون فى المنفى إلاوفد مصر ووفد الاتحاد السوفيتى ووفـد الصـين ، فيما عدا هؤلاء فشعار الآخرين : « عشانـا عليك ياكريم » . ضاعت فلـوسى وأشرفت على الافلاس بفضل السيد رئيس الوفد الخليجى الاشتراكى !

واستبد الغيظ بالعبد لله وفكرت فى طـريقة للانتقام . ولكننى عدلت عن فكرة الانتقام لأن المسئول عن هذا الذى حدث هو غبائى الذى ليس له نظير. ولكنى طلبت من الشيخ الاشتراكى أن يتنـازل عن سيـارتـه لأذهب بها إلى مشوار فى العاصمة أكرا .. فوجئت بـالشيخ الاشـتراكى يقول للعبد لله : خد سيارتى خليها معـاك أنا ما أريدها . ثم رجانى أن أقبل منـه هدية ، ولم أكن فى الواقع فى حاجة إلى رجاء فقبلت الهدية ، وهـى جلباب حرير يابانى وغترة وطاقية شبيكة .

المهم فى اليـوم التـالى ارتـديت الجلباب وركبت السيـارة ونـزلت أكـرا ، وقمت بجولة فى العـاصمة الجميلة لولا الـروائح الكريهة التى تنبعث منها ، لأن مياه الصرف الصحى تجرى داخل العاصمة فى قنـوات مكشوفة وعدت حوالى الرابعة بعـد الظهر إلى وينيبا ، ودخلت جامعة نكـروما وأنا مجعوص آخر انجعاص فى الكرسى الخلفى للسيـارة ، ويدى متشعلقة فى الجلدة التى تتـدلى من سقف السيـارة ، والهواء داخل للسيـارة من النـافذة المفتـوحـة يهفهف الجلباب الحريـر ، أوقفت السيارة عند باب المبنى الـذى ننزل فيه . وبـالصدفـة كان فيليب جـلاب واقفـا عند المدخل ، فما أن رآنى نـازل من السيارة حتـى فتح فمه من شـدة الدهشـة وهرع نـحـوى مرحبـا بسعادة الشيخ ، ثم أمسك بيدى وانحنـى محاولا تقبيلها ، وتقمص العبد للـه الدور فمسحت على رأسـه وقلـت لـه : بـارك الله فيك .. بـارك الله فيك .. وقبل أن

ننفجر ضاحكين فوجئت بخمسة من الصينيين يقفون أمامي مباشرة فى حالة ترصد . انحنى الخمسة حتى لامست وجوههم الأرض ، ثم وقف رئيسهم أمامى وقد ضم أصابع يديه كأنه يصلى ، ودار بيننا هذا الحوار التاريخى الهام :

— سيادة الرئيس اسمح لى أن أسألك أنت رئيس أى وفد ؟

أجبته بلا مبالاة :

— رئيس وفد الجيزة .

وعلى الفور امتدت يده إلى جيبه وأخرج أجندة وقلما وراح يسجل المعلومات .

— متى وصل الوفد ياسيدى إلى المؤتمر ؟

— بالأمس فقط .

— وهل سجلتم وصولكم لدى سكرتارية المؤتمر ؟

— نعم بكل تأكيد .

— وكم عدد أعضاء الوفد ؟

— خمسة عدا الرئيس الذى هو أنا .

كان فيليب جلاب يستمع إلى العبد لله مذهولا دون أن يتدخل بالكلام .

وانحنى الرجل الصينى أمامى عدة مرات ثم قال فى لهجة خطابية :

— سيدى رئيس وفد الجيزة ان لى الشرف أن أقدم لكم دعوة رسمية باسم حكومة الصين الشعبية لزيارة بكين لمدة أسبوع للتعرف على بلادنا ، ونرجو أن نتلقى منكم دعوة لزيارة جمهورية الجيزة العظيمة التى نتابع جهادها وصمودها ضد الامبريالية والاستعمار .

قلت فى لهجة خطابية أعلى :

— وأنا باعتبارى رئيسا لوفد الجيزة أعلن قبولى لدعوتكم الكريمة وأرجو أن تحددوا الوقت لكى نبدأ زيارتنا للصين الشعبية ، ومن الأفضل أن نبدأ الزيارة من غانا وإلى الصين رأسا ، كما أرجو أن تقبلوا دعوتنا لزيارة جمهورية الجيزة العظيمة التى سيتحدد موعدها فيما بعد .

وفوجئت بكل أعضاء الوفد الصينى يصفقون بحرارة ثم أقبلوا لتهنئتى والاشادة بتاريخ جمهورية الجيزة العظيمة . وبعد التحية والترحيب أمسك الرجل الصينى بالورقة والأجندة وطلب منى أسماء أعضاء الوفد الذى سيسافر إلى الصين ، ووعدنى باحضار التذاكر فى اليوم التالى . وذكرت له الأسماء محمود برعى وسعد برعى وأحمد برعى وخليفة برعى ومنصور برعى وفيليب برعى .. ودون الرجل الأسماء ثم انحنى عدة مرات ثم استأذنت منه فى الانصراف ولكنهم وقفوا فى أماكنهم ودخلوا مع بعضهم فى نقاش حاد ، بينما أخذت طريقى مع فيليب جلاب إلى غرفتنا بدون اهتمام . ولم أدرك وقتها أننى تسببت فى وقوع أكبر مشكلة دولية بين الصين وروسيا ومصر . وكانت السبب فى نسف المؤتمر . ولكن كيف حدث هذا ؟



أمه اسمها الاتحاد السوفيتى

مضى اليوم التالى فى أمـان الله ، سـافـرتُ مع فليب جلاب الى اكرا فى سيارة صديقى الخليجى الاشتراكى . وعـدت فى المسـاء ، وجلست تحت شجـرة المانجو استقبل ثمارها النـاضجـة التى تسقط علينا بين الحين والآخر ، ونشرب شاى الحاج موسى الغانى ، ونستمتع بليل غانا الهادىء الذى يعكر هدوءه أصوات غـربية صادرة من الغـابـة القـريبـة ثم أويت الى فـراشى مع رفيق حجـرتى فيليب جـلاب . واستيقظت فى الصباح على يـد تهزنى بعنف وعنـدما فتحت عينى أبصرت وجـه يـوسف السبـاعى ، ومن خلفـه عـدة وجـوه تبينت بعد فترة انها للسادة اعضـاء وفـد الصين الشعبيـة . وتصـورت انهم جـاءوا بـالـدعـوة لـرئيس وفـد الجيـزة ، ولكن اكتشفـت اننـى متهم ، وتهمتـى اننـى نسفـت مـؤتمر الشعـوب الآسيـويـة ـ الأفـريقية ! وقـف يوسـف السباعى وهـو يشير نحوى وقـال بلهجة أشبـه بلهجـة رئيس نيـابـة أمن الـدولـة وسأل الصينيين :

ـ هل هـذا هـو الشخص الـذى قـدم لكم نفسـه على انه رئيس وفد الجيزة ؟

وهز الصينيون رؤوسهم بالايجاب ، وقال يوسف السباعى :

ـ اذن اسمعوا ، هذا الرجل عضو فى وفد مصر واسمه محمود السعدنى وهو صحفى وكاتب ساخر معروف ! وليس امامكم الا أن تعتذروا عن كل كلمة نطقتم بها اثناء جلسة الأمس ، ولابد من تسجيل اعتذاركم فى محضر الجلسة ، وإلا فإنى مضطر لعرض الأمر على سكرتارية المؤتمر لاتخاذ القرار المناسب .

ونظر الصينيون نحوى وكأنهم يلتمسون عند العبدلله الجواب الشافى الذى يخرجهم من هذا المأزق الخطير ، وقلت لهم وأنا مضطجع على السرير أحاول طرد النعاس من عينى :

ـ ما يقوله يوسف السباعى صحيح ، والأمر كان مجرد مزاح لا أكثر ولا أقل !!

ورطن الوفد الصينى بلغة كونفشيوس . وفهمت دون معرفة باللغة الصينية بأنهم يلعنون خاش العبد لله ويلعنون سنسفيل جدودى ، ولكن لم أعبأ بشتائمهم وتركتهم يرغون ويزبدون ، وانتهزت فرصة مغادرة يوسف السباعى للمكان فعدت لمواصلة النوم من جديد . ولكن «فيليب جلاب» جعل النوم يفر من عينى عندما جذبنى بشدة من يدى ، وحثنى على النهوض لمعرفة حقيقة الأمر . وفى الحديقة التى تفصل بين قاعة المؤتمر ومكان الاقامة ، التقيت بسيدة فاضلة تعمل بالجامعة الأمريكية وتقوم بالترجمة الفورية أثناء الجلسات ، وما أن رأتنى حتى أطلقت ضحكة صافية من أعماقها وقالت للعبد لله :

كنت هتدخل التاريخ امبارح ، لأن الحرب العالمية الثالثة كانت هتقوم من وراء مقالبك .

وجلس فيليب جلاب وأنا أستمع اليها وهى تردد لنا ما حدث بالامس :

انعقدت الجلسة كالمعتاد ، ووقف مندوب الكونغو «زائير» وراح يلقى خطابه عن الأحوال فى افريقيا ، وعن التدخل الاستعمارى الامبريالى ، وعن دور عملائه واعوانه فى نهب ثروات افريقيا وقتل احلامها . وفجاة .. وقف رئيس الوفد الصينى وصرخ من اعماقه ، وقال وكأنه عنتر بن شداد على أهبة دخول الحرب :

ـ أيها السادة ، دعونا من هذه الخطب الجوفاء التى ملت الأذان سماعها، لقد اكتشفنا خيانة داخل هذا المؤتمر ولابد من كشفها علنا وعلى رؤوس الاشهاد ، ولقد كنا دائما تساورنا الشكوك حول سكرتارية المؤتمر وانحيازها بالكامل للنظام الذى يحكم الاتحاد السوفيتى ، وكانت تساورنا الشكوك فى أمر السيد يوسف السباعى ، والتزامه بالتعليمات التى تصدرها موسكو . ولكن جاء اليوم الذى تبددت فيه هذه الشكوك وحل محلها يقين ثابت ، ولدينا الدليل القاطع .

هنا حاول مندوب زائير ان يواصل القاء خطابه ولكن رئيس الوفد الصينى نهره بشدة ، وقال له بصوت صارخ :

ـ اسكت ايها العميل الصغير ، فأنت أيضا واحد منهم لأنك لا تتلقى التعليمات فقط ، ولكنك تتلقى النقود ايضا .

وانفعل المندوب الزائيرى ، ولكن رئيس وفد الصين قاطعه قائلا : هل تستطيع ان تدلنا على الطريقة التى جئت بها الى هنا ؟ ورد المندوب الزائيرى قائلا فى لهجة ساخرة :

ـ لقد جئت الى هنا بالطائرة .

ورد مندوب الصين قائلا له :

ـ ولكن من الذى دفع لك ثمن التذكرة ؟

وقال المندوب الزائيرى فى هدوء :

ـ أمى هى التى دفعت ثمن التذكرة .

وسأله المندوب الصينى :

وهل أمك اسمها الاتحاد السوفيتى؟

ورد المندوب الزائيرى ببرود شديد :

ـ أمى اسمها لاشيكا شابلا ، هل ترغب فى رؤية صورتها ؟

وتدخل يوسف السباعى فقطع هذا الحوار الساخر بين المندوب الزائيرى ورئيس الوفد الصينى ، وقال يوسف موجها خطابه لمندوب الصين :

ـ هل تستطيع ان تكشف لنا هذه المؤامرة الآن ، وأن تحيطنا علما بتفاصيلها ؟

وردّ المندوب الصينى :

ــ سأطلعكم على كل شــىء اذا استطعت انت ان تجبر هــذا الببغــاء على التزام الصمت .

وهنا ثــارت ضجة كبيرة فى القــاعة ونهض منــدوب الاتحاد السوفيتى ، وهو عضو باللجنــة المركزية وعضو با لمكتب السياســى ، ولوح بقبضة يده فى وجه المندوب الصينى ، وقال وهو يضرب بيده على المائدة .

ـ أن المنــدوب الصينى اهان الــوفود جميعــا ، هو يحاول عــرقلة اعمال مــؤتمر الشعوب الآسيــوية ــ الأفريقيــة ، لمصلحة من يعمل لحســابهم فى أجهزة مخابرات الغرب .

وانتفض المندوب الصينى وقال متهكما :

ـ مــؤتمر الشعــوب .. وأين هى هــذه الشعوب ، ان اغلب الموجــودين هنا حثالــة .. واغلبهم يعمل فى اجهزة مخابــرات الاتحاد السوفيتى ويعيش على حسابها ، انهم مجرد عرائس خشبية تحركهــا ايد مدربة على أعمال السيرك السياسى .

وتدخل يوسف السباعى مرة أخرى وقال للمندوب الصينى :

ـ نحن فى انتظــار أن نسمع منكم تفاصيل المؤامــرة التى تحدثتم عنها ، والاطلاع على الدليل القاطع الذى تحت ايديكم .

وخيم السكون على القاعة ، وقال المندوب الصينى :

ـ إن فى هذه القــاعة وفدا يمثل دولة افــريقية حديثة العهــد بالاستقلال ، ولكن هــذا الوفــد لم يدرج فى قائمــة الوفــود المشاركــة ، وهى القائمــة التى وضعتها سكرتارية المؤتمر ووزعتها علينا فى جلسة الافتتاح .

ونظر يوسف السباعى فى القائمة التى أمامه . وقال لأعضاء المؤتمر :

ـ إن القائمــة تحوى ٤٢ دولة مشتركة عدا ثــلاث دول اشتركت بصفتها مستمعــة واسماء الدول فى هــذه القــائمة ، ويستطيع المنــدوب الصينى ان يراجع القائمة على المندوبين الموجودين الآن فى القاعة .

وهز المندوب رأسه عدة مرات ، وقال ليوسف السباعى :

ـ عفوا ياسيادة السكرتير العام ، هناك وفد خلت القائمة من اسمه ، وقد تشرفت بلقــاء رئيس الوفــد وأجريت معــه حوارا ووجهت لــه دعوة لــزيارة

الصين وأعلن قبوله لها على الفور ، وهو دليل على أنه وفد محايد بالفعل ، وأنه جاء الى هنا على حسابه ومن حر ماله وليس عالة على الآخرين . وتساءل يوسف السباعى :

- وهل هذا الوفد موجود الآن فى القاعة ؟

ومسح المندوب الصينى القاعة ببصره ثم قال :

ـ للأسف الشديد لم أعثر له على أثر فى الصباح ، ويبدو أنه لم يحضر حتى الآن .

والوفد المحترم الذى اعنيه هو وفد الجيزة ، وهو مكون من خمسة أعضاء غير الرئيس ، وهو صاحب السعادة محمود برعى . والأعضاء هم : سعد برعى وأحمد برعى وسيد برعى الى آخره .. وسعادة رئيس الوفد يستقل سيارة من النوع المخصص لرؤساء الوفود ، وقد أعلن قبوله لدعوتنا له لزيارة الصين الشعبية ، ووعدنا بتقديم دعوة لنا لزيارة جمهورية الجيزة المناضلة التى تخلصت أخيرا من الاستعمار ، وفى نيتها مقاومة كل أشكال الاستعمار أيا كان لونه !

ولم يفطن يوسف السباعى ـ رغم ذكائه ـ الى أن المندوب الصينى كان ضحية هزار من النوع الثقيل ، وكان ينبغى أن يفطن الى ذلك بسبب أسماء أعضاء الوفد التى تنتمى كلها إلى عائلة برعى الشهيرة ! ولكنه قال لرئيس الوفد الصينى :

— على العموم .. كل الوفود موجودة الآن فى القاعة ، وهذه الجلسة بالذات لابد أن تحضرها كل الوفود ، فإذا كان هناك وفد لم يحضر حتى الآن فهو فى طريقه الينا على أيه حال .

ورد المندوب الصينى فى عصبية شديدة :

ـ واذا كان هناك مؤامرة لإبعاد هذا الوفد بالذات عن هذه الجلسة بالذات .ورد يوسف السباعى فى هدوء :

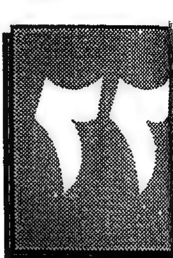
ـ عندئذ سيكون هناك حل لكشف هذه المؤامرة ، ولكى نكتشف من هو المتآمر ؟ هل هو سكرتارية المؤتمر ؟ أم هو رئيس الوفد الصينى ؟ ومضت الجلسة كما كان مرسوما لها من قبل وبعدها اجتمع رئيس الوفد الصينى

بيوسف السباعى ، واتفقا على تفتيش غرف اعضاء المؤتمر فى الصباح الباكر للعثور على أعضاء هذا الوفد المزعوم .

وبالفعل قام رئيس الوفد الصينى مع يوسف السباعى فى الصباح الباكر بتفتيش كل الحجرات ، حتى كان الدور على حجرة العبدلله ، ليتم العثور على رئيس وفد الجيزة .

وصرت بعدها منبوذا من الوفد الصينى والوفود التى تسير فى مداره .. وقابل هذا النفور الصينى حفاوة بالغة من الوفد الروسى .. الشىء الوحيد الذى لم يفهمه رئيس الوفد الصينى هو ركوبى لسيارة رئيس أحد الوفود ، لم يفهم الصينى أن فى بلادنا ظروفا مختلفة وأوضاعا غريبة ، رئيس وفد خليجى من أغنى دول الخليج والجزيرة العربية يرفع راية الاشتراكية ، وكانت حركة كاذبة ، لأن صاحبنا هذا رئيس الوفد صار فيما بعد مليونيرا وبنكيرا يشار اليه بالشيكات ! طائرات خاصة وقصور فى لندن وكان وماربيا ، ولكنه أيام النضال الخنفشارى اضطر الى اقتراض عدة «أزواز» من الجنيهات الاسترلينية اضطرته الى التنازل عن جلبابه وسيارته .

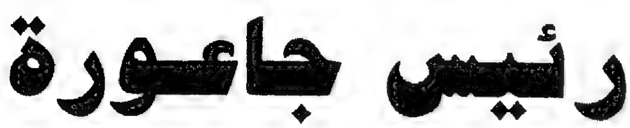
وهكذا وصلت السيارة الى سعادة محمود برعى الشهير بمحمود السعدنى رئيس وفد الجيزة ، احدى الدول المناضلة التى تخلصت من الاستعمار حديثا ، وفى نيتها ان تقاوم كل أشكال الاستعمار أيا كان لونه ، ومهما تكن شعاراته!











رئيس جاعورة

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

انتهى مؤتمر الشعوب الآسيوية الإفريقية بخيره وشره ، وخطب وزير إعلام غانا فى نهاية المؤتمر مخاطبا الحضور قائلا :

ـ لقد استقبلناكم بالترحاب ، واستضفناكم وأطعمناكم أيضا ، والآن انتهى المؤتمر بسلام ، وستغادرون ونيبا الليلة ، وستقوم الوفود بالانفاق على نفسها منذ الآن .

وتفرق المؤتمر بعد خطاب وزير الاعلام ، وسافرت إلى أكرا برفقة الصديق عادل شريف مذيع مباريات التنس الشهير صاحب تعبيرات «ضربة ساحقة ماحقة لاترد ولاتصد» وزوج المذيعة اللامعة سامية صادق .

وعادل شريف لمعلوماتكم من أصول تركية أو ألبانية ، أبيض على أحمر سمين ومن ذوى العيون الملونة ، وكان خلال إقامتنا فى غانا يرتدى «الشورت وقميص حرير نص كم وصندل» من النوع الذى يستعمله المستعمرون الإنجليز فى المستعمرات البريطانية ،

ووصلنا أكرا فى أمان الله ، وعادل شريف يبدو عليه أنه إنجليزى من قلب لندن ، والعبد لله فى زيه التقليدى ، الجلباب الأبيض والشبشب الزنوبة والطاقية الشبيكة والحزام هلا هاالله .. على رأى طاهر أبو فاشا يرحمه

الله.. ودخلنا على هذه الهيئة فندق الامبسادور فى أكرا، وهو أرقى وأغلى فندق فى غرب إفريقيا، وأمام مكتب الاستقبال سألنى الموظف الغانى : من أين ؟ قلت له على سبيل الهزار: رئيس جاعورا . وعندما نطقت بهذه الكلمة انحنى كل الموظفين الذين كانوا فى بهو الفندق، وأشرت إلى المرحوم عادل شريف وقلت لهم : أريد حجرة لسكرتيرى بجوار جناحى مباشرة،

حتى هذه اللحظة كان الموضوع كله مجرد مزاح لا أكثر ولا أقل، ولكن لأن المؤتمر كان يحضره أكثر من رئيس على شاكلة رئيس جاعورا، وكانت هناك تعليمات بنزول الرؤساء زملائى فى أجنحة فاخرة، وتوفير كل سبل الراحة لهم فقد وجدت نفسى فجأة فى الجناح الملكى، وانحنى موظف الاستقبال للعبد لله وهو يسلمنى جواز سفرى المكتوب باللغة العربية، والذى لم يفهم منه الموظف شيئا، ودخلت المصعد ومن خلفى عادل شريف فى هيئة السكرتير المدرب على خدمة الرؤساء،

وخلال الأيام الثلاثة التى قضيتها فى الفندق تركت لعادل شريف مهمة التفاهم مع إدارة الفندق، مكتفيا أنا بالتفاهم مع السكرتير باللغة الجاعورية، وتصورت أن إدارة الفندق تعلم حقيقتنا ولكنها تحب الهزار، ولذلك كنت أرفض زجاجات الويسكى التى يصعد بها الجرسون إلى جناح رئيس جاعورة كل مساء، فلم تكن الميزانية تسمح بتغطية مثل هذه النفقات ! ولكنى تأكدت بعد ذلك بأن الأمر جدوليس به أى أثر للهزار، فقد طلبت من استعلامات الفندق أن تحجز لنا مقعدين فى استاد أكرا لمشاهدة مبارة كرة قدم بين أكبر ناديين فى أكرا، ولم أكن قد شاهدت الكرة الغانية بعد، وذهبت بنا سيارة ليموزين أعدها الفندق، وانفتحت لنا البوابة الخارجية ودخلنا حتى المدرجات، وعندما نزلت من السيارة بالجلباب والشبشب الزنوبة خبط العساكر الأرض بأحذيتهم وضربوا تعظيم سلام لصاحب الفخامة رئيس جاعورة، واحتل فخامة الرئيس الذى هو العبد لله مقعدا فى الصدارة فى مقصورة الاستاد، وجلس عادل شريف فى مقعد خلف صاحب الفخامة الرئيس، وانهالت المشروبات من كل صنف يحملها جرسونات يرتدون الاسموكن والقفازات البيضاء، ونظرت فى أنحاء المقصورة فلم أجد أحدا سوانا،

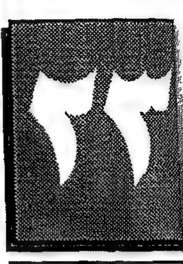
إذن كل هـذه الاستعدادات كانـت لحضرة صاحب الفخـامة وبطـانته ، يبدو أن الفنـدق اتصل بإدارة الاستـاد . ليكون جـاهزا لاستقبال صـاحب الفخـامة ، وشعـرت بالفـزع أثناء المبـاراة فقد أدركت أن مستقبل الكـورة سيكون فى تلك البلاد ، واستبد بى الحماس فصفقت بشدة وهتفت لحارس المرمى الـذى كان مستـواه لايقل عن مستـوى يـانكس الانجليزى ، وبعـد المباراة التفت حولى جماهير النادى الذى نـال تشجيع فخامتى استحسـانا ، وهتفت جماهير النـادى الآخر بسقوط صـاحب الفخـامة ، وتدخلـت قوات الشرطـة لتأديب المشجعين الذين لايعـرفـون العيب ولايتمسكون بأخـلاق الاستاد وأحـاطنى البوليس الغانى بحـزام من العساكر المدججة بـالسلاح وجاءت السيارة الليموزين وأخذت العبد لله وخرجت بصاحب الفخامة من الباب الخلفى !

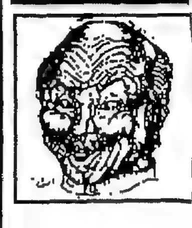
وفى اليوم التالى خرجت فى نفس السيارة إلى السوق ، وطلبت من السائق أن يذهب بنا إلى محل يبيع المصنوعات المحلية ، وإذا بى أجد نفسى فى محل فشر محلات باريس ، كـان المحل يبيع بعض التماثيل الافريقية المصنـوعة من العاج إلى جـانب المشغولات الجلديـة ، مع بعض الأحجار شبه الكـريمة الموجودة فى التربة الغـانية ، وعندما وضعت قـدمى فى المحل انحنى صاحب المحل ومعه عمالـه تحية لصـاحب الفخامـة ، ووضعوا جميع المعـروضات أمامى ، وإذا بـالأسعار نـار تليق بمقام حضرة صاحب الفخـامة ، وعنـدما وجـدت نفسى فى ورطة اعتـذرت عن عـدم الشراء ، ووعدت صـاحب المحل بإرســال رجال الحاشيـة لاختيـار مايليق بفخـامتى ، وزيـادة فى التمويـه سألت صاحب المحل سؤالا على الماشى .. إذا كان يقبل شيكات صادرة عن البنك الجاعـورى ، ورحب صاحب المحل مـؤكدا لفخـامتى ثقته الشـديدة بالاقتصاد الجاعورى !

وانتهت زيارة صاحب الفخامة ، وجـاءت لحظة الحساب ، وأمام موظف الاستعلامات قدموا الفاتورة لسكـرتير صاحب الفخامة ، ووقع عليها عادل شريف ، الحسـاب خـالص وصـاحب الفخـامـة على العين وعلى الـرأس !! وضربت إيـدى فى جيبى وأخـرجت كبشة جنيهـات غـانية « ١٥٠ » جنيهـا تسـاوى جنيها استرلينيا ، وبالتأكيد كسروا دستة قلل وراء العبد لله .

وفى المطــار حاولت بشتى الطـرق إبعاد الســائق والمرافق حتى يتسنى لسكرتير فخـامتى حجز المقاعـد لصاحب الفخامـة فى الدرجة السيـاحية !! وربنـا ستر لأن الحيلة انطلت على المرافق ، فقـد طلبت منـه أن يصحبنى إلى الســوق الحرة ، وذهب الرجل الطيب معى ، وداخ دوخــة الأرملـة وأنا معـه بحثا عن سجـائر فاخرة أبحـث عنها منذ فترة ، اسمهـا سمسون أرضى !! وسترها الله معنـا حتى ركبنا الطائرة وانطلقت بنـا فى الجو ، ولكن بعد عشر دقائق من الطيران والعبد لله الذى هو فخامة رئيس جاعورة يستعد للنوم ، فوجئنا بـالطيار يذيع علينا أنـه مضطر للعودة إلى أكرا لأمـرهام لم يشأ أن يكشف سره للركـاب ، فقلت لسكرتير فخامتي : لابد أنهم اكتشفـوا اللعبة ولابـد أننا سنقضــى الشهور الستــة القـادمة فى سجن أكـرا ، وهـو سجن أجارك الله سجن فى غابة وأشغال شاقة مع ثعابين الكوبرا وأسراب العقارب السوداء ، وبدأت أستعد نفسيا لهذه النهاية التعيسة ، وهممت بالخروج من الطـائرة وتسليم نفسى للبوليس عنـدما تـوقفت المحركـات واستقرت بنـا الطائرة على أرض المطار ، وراح سكرتير فخامتنـا يبحث فى جيوبه عن نقود لعله يجد مـايكفى لتسـديد فاتـورة الفندق ودفع التعـويض إذا لـزم الأمر مقابل عـدم حشرنا فى سجن غانـا الرهيب ، ولكن الطائرة ظلت جـاثمة على الأرض ، ونحن مـرابطون فى مقـاعدنـا دون أن يقتحم أبـوابها طابـور من المخبرين ، وبعد ساعة من الانتظار القلق القاتل أعلن الطيار أن العطل الفنى فى الطائرة قد تم إصلاحه ، وأن الطـائرة فى طريقها إلى الجزائر العاصمة عن طريق داكار .

وفى الجو .. وعلى ارتفاع ٣٠ ألف قدم استراحت أعصــاب رئيس جاعورة وسكـرتيره الفخيم ، فقـد مر الأمـر بهدوء وبـدون مشـاكل وأصبح رئيس جاعورة حرا وبعيدا عن أكرا وبوليسها النشيط ، وأغمضت عيونى وأسلمت نفسى للنـوم ، فى نفس الـوقت الـذى كـان فيـه شخير سكـرتيرى الفخيم يتصاعد فى الفضاء !







بهلول هو المسئول!

يقـولـون إن التعذيب يكون أحيانا احتجاجا على التعـذيب . وهـو قـول صحيح؛ لأننى تعلمت المقـالب من مقلب أكلتـه فى فترة الصبـا لايـزال يلسع فى نـافـوخـى حتى الآن . حـدث هـذا والعبدلله فى العاشرة من العمر . وفى أول أيام عيد الأضحى المبـارك . ولما كان العبـد لله هـو الولـد الوحيد على أربع بنات . مات أخ شقيق أكبر منى لاأذكره لأنـه مات وعمـرى عامـان . ومات أخ شقيق أصغـر منى رأيتـه ولاعبتـه وأنـا ابن تسع سنـوات . وأصبح للعبـد لـلـه مكـانـة خـاصـة فى الأسرة ، فأنـا الـوحيـد الـذى نجـا من مطحنـة الموت، ولم يكن صلاح قـد رأى الـدنيا بعـد ، رآها بعد هذا الحادث الذى وقع للعبد لله أول أيام العيد الكبير بعشرة أعوام !

المهم اننى فى ذلك اليـوم قمت من النوم مبكـرا . وتناولت عيـديتى ريال فضـة كـاملا من بتـوع السلطـان حسين كـامل ، لو معك واحـد منـه الآن تستطيع بيعه للصـائغ بمائة وخمسين جنيها على الأقل ! وارتـديت ملابس العيـد الجديدة وخـرجت من حارتنـا وإذا بى أفـاجأ بعم بهلول واقفـا على نـاصيـة الحارة ومعـه قفـص وعلى القفص صينيـة ، وفى الصينيـة أوراق مطوية .. وبختك يابوبخيت ، وحظك ياصاحب الحظ والنصيب!

وباعتبـارى رجل أعمال منذ مولـودى ومبخت وحظى حديـد ، قررت أن أستثمـر أمـوالى ، ولابـد أننى من أصحــاب النصيب . ولـولعبـت البليـة فسيتحول الريـال إلى عشرة جنيهات .. رأس مال يصلح بدايـة لرجل أعمال يبدأ الطريق .

وقفت أتـابع فى البـدايـة ولا أشترك فى اللعـب . حـول عم بهلـول بعض الصبية من جيلى وثـلاثة رجـال فى سن عم بهلول . كلما تنـاول طفل ورقة مطـوية طلعت على مفيش ، أمـا إذا تناولها رجل خـرج من أحشائهـا بعض الجنيهـات . وببراءة الطفولـة سألت أحد الكبـار عن الورقـة التى اختارهـا فأضمن الربح الوفير .

وكان الرجل طيبا كما توقعت ، فأشــار نحو ورقة ونصحنى بالتقاطها . ومددت يـدى بالفعل والتقطت الورقـة ودفعت فيها قرش صـاغ كان يكفى لشراء رغيفين من أرغفة زمـان . ولكن الورقـة طلعت فاضية . يـاللهول على رأى عمنـا يـوسف وهبى . وضرب شريك بهلول الـذى تحول إلى مستشـار للعبد لله جبهته براحة يده آسفـا على قلة البخت ، واعتذر للعبد لله على سوء تقـديره واختيـاره ، وأشار نحـو ورقة أخـرى ، وترددت بعض الـوقت ثم مددت أصــابعى وقبضت عليها فى حرص شـديد . وعندما تـولى فتحها عم بهلول لم نجد فيها إلاالفراغ .

كان عم بهلول قد رأى الريال واستـولى عليه بعد أن قام بفكه إلى قروش صــاغ . وهمس الرجـل المستشار فى أذنى بأن بهلـول نصــاب ، ونصحنى بألاأوعـه يفتح الـورقـة وإنما أقـوم بنفسى بفتحهـا وسأجـد فيهـا حتما مايحقق أحلامى فى الثراء . ودفعت القـرش والتقطت الورقة التى نصح بها المستشــار ، وحــاول عم بهلـول فتحهـا ولكنى رفضـت . وقمت بفتحهـا بنفسى، ولكن عم بهلـول عصلج بشـدة وراح يـلاعب الـورقة بأصــابعـه ويخفيها فى راحة يده ، وأدركت أن المستشــار صـادق وأن عم بهلول يحاول إفراغ الورقة من الكنز الذى تخفيه .

ورفعت صوتى أهـدد عم بهلول باللجوء إلى الشرطة . وارتعـد عم بهلول لتهديدى فسلمنى الورقة مرعوبـا . وعندما قمت بفتح الورقة كانت دهشتى كبيرة عندما وجـدت بالورقة حتـة بخمسة فضة عوضت خســارتى البالغة التى أصابتنى فى الصميم .

انفتحت شـهيتى بشدة ، لقد بدأ العد التنـازلى للوصول إلى الثراء . وهذه الحتـة بخمسـة هى أول الغيث ثم تنهـال الجنيهـات على رأس العبـد للـه . وانتابنى جنـون حقيقى ، وبدأت التقط الـورق الذى ينصح بـه المستشار ، ولكن الأوراق كلهـا كانت فـارغة ، انه حظ سيـىء هذا الذى حـط على دماغ محسـوبكم ، ولكن لابـد أن ينجلى الليل وينكسر القيـد وأحصل على فـوائد استثماراتى كـرجل أعمال ، لم أفطن إلى أن عم بهلول هـو الذى دس الحتـة بخمسة فى الورقة ليجر رجلى إلى حتفى !

وتحولت إلى مقـامر وأنـا فى العـاشرة ، ولم يعد يهمنى الـربح ولكن كل ماأسعى إليه هـو التعويض . وفى دنيا المقامـرين مثل يقول : ماتبكيش على اللى خسر ابكى ع اللى عايـز يعوض ! وورقة فـارغة وراء ورقة فـارغة حتى فرغت جيوبى تماما من صنف العملة .

شعرت بحـزن شديـد وكأننى فقدت أعز شـىء فى الحياة . جف حلقى وسرت برودة فى جسدى مع أن الجو كـان يميل للحرارة . إلى أين أذهب الآن وفلوس العيد تبخرت ، تبددت أحلامى فى المراجيح وحديقة الحيوان والتهام الكنافة بـالقشطة من دكان الحاج صبحى، والفرجـة على السيرك ومشاهدة الرجل الوحش وهو يصـارع الأسود . أنها أول وأكبر صدمة فى حياتى ولابد من الانتقام الـرهيب ، سأذهب إلى الشرطـة وأقودهم إلى عم بهلـول وأنتزع الريـال الفضة من جيبه بـالعافية . ولكن أين عم بهلـول ؟ لقد حمل القفص والصينية ورحـل . ثم أنه لايخشى الشرطـة وهو معتـاد بين الحين والآخر على النوم فى الحجـز داخل قسم الشرطة ، كما أنـه معتاد إجـرام وتردد على السجون عـدة مرات . أين ذهب عم بهلـول ؟ ليته يعود بقفصـه وصينيته . ليتنى أعثر على ريال آخر أمارس به اللعبة إلى آخر النهار .

لم يعد يعنينى المكسب أوالخسـارة ، ممارسة اللعبة هى الأهم . المقـامر الحقيقى هـو الـذى لايسعى إلى مكسب ولايهتـز لخسـارة ، المهم أن يلعب ويواصل اللعب . ولـذلك فأخطر آفة فى الوجـود هى القمار . لأنك لوسكير ـ لامـؤاخذة ـ ستشرب زجاجـة ثم تترنح . ولوشمام ـ لامؤاخـذة برضـة ـ ستشم تـذكرة أو تـذكرتين ثم تكـف . ولو رجل خلبـوص سيقضى ساعـة أوسـاعتين ثم يغيب فى رحلـة نوم أشبـه بـالموت . ولكن القمار يختلف . لن يمنعك من مواصلة اللعب إلا أن تسقط مغشيا عليك أوتموت !

والغريب أن القمار كان داء بعض عظماء التاريخ المصرى : الزعيم سعد زغلول كان مقامرا من الطراز الأول . كان القمار هو تسليته الوحيدة ، واضطربت أحواله المالية كثيرا بسبب المقامرة ، واضطر إلى بيع أطيانه فى فترة من الفترات ليقامر بثمنها على الموائد الخضراء . والزعيم مصطفى كامل كان مقامرا لايشق له غبار وكان لاتهدأ نفسه إلا على موائد القمار .. والفنان الكبير كامل الشناوى كان مقامرا كبيرا ، ومع ذلك ضبطته ذات مرة وهو نائم على مائدة قمار . والفنان الكبير يوسف وهبى كان مقامرا بطبعه ، قامر بأسرته وبسمعته واشتغل بالتمثيل فى مطلع القرن ، وهى مهنة لم تكن تشرف صاحبها فى ذلك الزمان ! وكل أطباء العالم الكبار فى المهنة يلعبون القمار .

سألت أحدهم مرة عن سر هذه الظاهرة ، فأجاب : لأن مائدة القمار هى المكان الوحيد الذى ينسى فيه الناس أن الجالس معهم طبيب . هناك ظاهرة تستطيع أن تلمسها بنفسك . اجلس مع شلة بينهم طبيب ، لن تمر دقائق حتى يتحسس أحدهم جسده طالبا منه أن يشرح سر الألم الذى يشعر به فى رقبته أو كتفه أو أصابع قدميه ؟ ولكن على مائدة القمار ينسى الناس مهنة الطبيب ويتعاملون معه كمقامر . وهى مسألة تسعد الطبيب الذى يريد الناس أن ينسوا مهنته .

والكاتب الروسى العظيم دستوفسكى كان من المقامرين العظام ، وكتب رواية عن أحدهم أنتجتها السينما الأمريكية بعنوان (المذنب العظيم) وفتى الفتيان صخر شقيق الشاعرة الخنساء كان مقامرا عظيما ، وخسر كل قطيع الابل الذى يملكه فى لعبة القداح ، وهى عبارة عن رماح قصيرة وصغيرة الحجم توضع فى جراب، وكل مقامر يسحب رمحا منها يجد عليه رقما فيكسب من الآخر عددا من الابل يساوى الرقم المكتوب على الرمح . وكانت هذه اللعبة هى المفضلة عند شيوخ العرب قبل ظهور الاسلام وابن الأيهم ملك العرب الذى أسلم فى عهد عمر ورفض أن يصفعه الأعرابى كما صفعه أثناء الطواف بالكعبة ، ثم هرب ليلا من المدينة ولجأ إلى القسطنطينية واعتنق المسيحية ، لم يكن السر فى هروبه هو رفضه لتنفيذ أمر عمر بأن يصفعه الأعرابى ، ولكن سبب هروبه الحقيقى هو اكتشافه

بعد إسلامه أن الاسلام يحرم الميسر ويعاقب عليه . وعاش فى القسطنطينية يقامر حتى باع هدومه ومات فقيرا لايملك من حطام الدنيا شيئا .

والحمد لله لأننى تعلمت الدرس فى العاشرة من العمر . واكتفيت من المعركة التى خسرتها بالانسحاب من الشارع والعودة إلى البيت بعد ساعة واحدة من مغادرتى له . ودخلت إلى غرفة النوم وخلعت ملابسى الجديدة ونمت ، واندهشت المرحومة أمى كثيرا لهذا التصرف الذى كان غريبا على ولد شقى مثلى يعبد الشارع ويكره البقاء فى البيت . ولكننى برّرْت تصرفى بأننى مريض أشعر بدوخة لا أعرف سببها . وبررتها أمى بأنها عين شريرة أصابت المحروس . وأطلقت البخور فى البيت ودعت الأسياد إلى التدخل لانقاذ الولد الحيلة من مصير أخويه اللذين سبقاه إلى دار النعيم .

والحق أقول لحضراتكم : إن حجم الكارثة التى أصابتنى فى ذلك اليوم ، تتضاءل إلى جانبها كارثة أوناسيس إذا خسر مائة مليون فى ساعة زمان ، لأنه إذا ضاع مائة مليون من أوناسيس فسيبقى خمسمائة مليون ، أماهذا الريال الفضة عيدية العبد لله فى عام ١٩٣٧ . هذا الريال الفضة بتاع السلطان حسين كامل .. فكان كل رأسمالى فى الحياة .

ولذلك .. فكل المقالب التى عملتها فى الآخرين ، السبب فيها هو المقلب الذى دبره للعبد لله عم بهلول ، الذى هو بالتأكيد الآن فى نار جهنم ، جزاء الصدمة الشديدة التى أحدثها فى نفس صبى صغير كان يخطو أول خطواته على الطريق !